الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
كلية الآداب والفنون
قسم اللّغة العربية وآدابها

المُعَرَّب اللَّفْظِي فِي اللُّغَة العَرَبِيَّة

-دِرَاسَة مُعْجَمِيَّة فِي شفَاء الغَلِيل فِيمَا فِي كَلام العَرَب منَ الدَّخِيل

لشهاب الدّين الخفاجي (ت. 1069 هـ) نموذجا-

أطروحة دكتوراه في اللّسانيات العربيّة

إعداد الطّالبة:
ليلى صديق

بإشراف الأستاذ الدّكتور:
محمّد عبّاسة

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د.سلاّمي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسًا
أ.د.عبّاسة محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة مستغانم	مشرفًا ومقرراً
د عميش العربي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة شلف	عضوًا مناقشًا
د بن عيسى عبد الحليم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران	عضوًا مناقشًا
د.حنيفي بن ناصر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مستغانم	عضوًا مناقشًا
د.قادة محمد	أستاذ محاضر (أ)	جامعة مستغانم	عضوًا مناقشًا

السّنة الجامعية: 1431-1432هـ/2010-2011م

مقدمة

تتجاوز ظاهرة التعريب عصرنا الراهن إلى العصور السابقة، فمنذ العصر الجاهلي واللّغة العربية تنطوي على ألفاظ غير عربية كالتي وجدت في شعر الأعشى وغيره من شعراء الجاهلية، كما أنّ القرآن الكريم يضمّ مجموعة من الألفاظ المعرّبة، ولكن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أنّ تلك الألفاظ وجدت حقا في القرآن الكريم ولا يخرجه ذلك عن كونه عربيّا، كما وجدت ألفاظ معرّبة في الحديث النّبوي الشريف، ولكنّها مدعاة للشكّ لأنّه روي بالمعنى.

ومن الممكن أن يكون المعرّب أسلوبا وهي مقبولة من الناحية اللغوية، لأنّها تعدّ ترجمة مباشرة من اللغة الأجنبية إلى العربية، على الرغم من اختلافها عن سائر اللغات الأخرى، إلاّ أنّه تغيير على أساس التوسّع المجازي في اللغة العربية، ويضاف إلى هذا أنّ كتب القدماء سجلت كثيرا من الألفاظ المعرّبة التي وقف على تعريبها عرب خلص، وذلك في عصور الاحتجاج باللّغة العربية الّتي حفلت بطائفة من تلك الألفاظ.

فقد حاولت من خلال هذا البحث أن أبرز مفهوم مصطلح المعرّب اللّفظي في اللغة العربية الفصحى، وأن أوَضّح طريقة القدماء العرب في إخضاع اللّفظ الأعجمي لقواعد اللّغة العربية وأقيستها، انطلاقا من البنية الصوتية والصرفية، والنحوية والدلالية لهذه المفردات المعربة، ولكن السؤال الّذي نطرحه هل كان لشهاب الدّين الخفاجي (ت. 1069 هـ) المفهوم نفسه لمصطلح المعرب في كتابه شفاء الغليل؟ وخاصة أنّه استعمل مصطلح الدّخيل، إذًا كيف تعامل مع هذا النوع من الظواهر اللّغوية معجميا في كتابه؟ هل عاملها معاملة الفصيح من الكلام العربي أم لا؟

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع فلأنني أحببته أثناء البحث فيه ولقدرتي على السيطرة عليه، ومن الأسباب الموضوعية أيضا هو الخلط في استعمال مفهوم المعرب اللّفظي لدى بعض الدارسين المحدثين، فنهاك من يربطه بمفاهيم تقنية متعلقة بالسياسة والاقتصاد في البلاد العربية وأنا أردت الوقوف عليه كظاهرة لغوية قديمة حديثة من خلال هذا البحث.

ومن الأسباب أيضا توفر المراجع والمصادر الخاصة بموضوعي هذا في المكتبات بصفة عامة مع ملاحظة أنّه كان هناك نقصا كبيرا حول الدّراسات المعجمية لكتاب شهاب الدّين الخفاجي.

لقد اتّبعت في بحثي هذا منهجا وصفيًا تحليليًا، بحيث وصفت مفهوم المعرّب اللّفظي وطرائق تحقيقه في العربية الفصحى باستعمال قواعد وضوابط نصّ عليها علماء العربية القدماء بالإضافة لذلك وصف وتحليل الطريقة المعجمية التي تناول بها صاحب "الشفاء" هذه الظاهرة اللّغوية من حيث الترتيب والشرح والنظام.

والمنهج الوصفي يستدعي استعمال المنهج التاريخي لأنهما يدخلان في شكل تكاملي، ولأنّ المنهج التاريخي يساعدني في معرفة التغيرات في هذه الظاهرة اللّغوية عبر الزمان والمكان.

وهكذا قسمت البحث إلى مقدمة ومدخل ضمّنته التفكير المعجمي عند العرب، والسماع والتدوين عن العرب، وحركة جمع اللّغة العربية، والتأليف المعجمي في الحضارات الإنسانية، والمدارس المعجمية العربية، وبنية المعاجم العربية، والمعاجم العربية القديمة بين التقسيم المدرسي والنظرية المعجمية، وقد أتبعت المدخل بابين:

ففي الباب الأول ضمنته موضوع المعرّب اللّفظي في اللّغة العربية وهو مقسّم إلى فصلين:

الفصل الأول خصّصته لذكر نتائج احتكاك العربية باللّغات الأخرى، والعربية لغة مؤثّرة ومتأثّرة، وتداخل اللغات، وظاهرة الاقتراض بين لغات العالم، والعربية وعلاقتها بالاقتراض.

أما الفصل الثاني: فقد أفردته لتعريف مصطلح التعريب لغة واصطلاحًا، فذكرت مصطلحاته كالدخيل، المولد، العامي أو المحدث، الاقتراض، الاستعارة، المترجم، ثمّ ذكرت طرائق تحقيقه باستعراض مستويات الدرس اللّغوي لهذا المصطلح اللّغوي في الفصحى.

وفي الباب الثاني من البحث الّذي يمثل القسم التطبيقي من موضوع بحثنا المخصّص للدراسة المعجمية التحليلية لشفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي، وهو بدوره مقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: تعرضت إلى حياة شهاب الدين الخفاجي؛ مولده، ونشأته، وثقافته، وأساتذته، وآثاره، ومنهجه في كتابه شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل.

وأما الفصل الثاني: فدرست فيه بنية المداخل وتقنيات التعريف في اللغة العربية مطبّقة ذلك في كتاب شفاء الغليل، كما أوضحت طرائق ووسائل المؤلّف في كتابه.

وعن الصعوبات التي اعترضتني في هذا البحث فتتمثل في بعض الظروف الصحية الصعبة التي مررت بها وكذا بعض المشاكل الاجتماعية والمهنية.

وأنـا بهـذا البحـث لا أدّعـي الكمـال، فـإن وفقـت فـذلك قصـدي، وإن جانبت الصواب فحسبي أنيّ حاولت.

والله ولي التوفيق

الطالبة: ليلى صديق

تلمسان يوم، الأربعاء 11 ذو الحجّة 1431هـ

الموافق لـ17 نوفمبر 2010م.

المدخل

التفكير المعجمي عند العرب

1- السماع والتدوين عند العرب
2- حركة جمع اللغة العربية
3- التأليف المعجمي في الحضارات الإنسانية
4- المدارس المعجمية العربية
5- بنية المعاجم العربية
6- المعاجم العربية القديمة بين التقسيم المدرسي والنظرية المعجمية

1- السماع والتدوين عند العرب:

يشكل السماع والرواية والتدوين ثلاث طرق في نقل المعرفة لا عند العرب وحدهم، بل عند كثير من الشعوب القديمة، وذلك قبل أن تتحول هذه الطرق في التراث العربي الديني وغير ديني، إلى مفاهيم في صور مصطلحات علمية محددة. وقد نشأت بين هذه الطرق رابطة عضوية في نقل التراث العربي سواء قبل الإسلام أم بعده، وظلت تعمل جنبا إلى جنب حتى نهاية القرن الثالث الهجري تقريبا، عندما تأصلت المعارف والعلوم العربية واتسع نطاقها ونشطت حركة التأليف والترجمة، فتراجع كل من السماع والرواية وغلبت الكتابة أو التدوين[1].

ويعتمد كل من السماع والرواية على ملكة الحفظ والاستظهار، ولا يستخدمان أدوات خاصة، غير أن السماع أقدم من الرواية تاريخا، فهو الوسيلة الأولى للمعرفة، وكان متجذرا في التراث العربي قبل الإسلام، ويرتكز السماع على الأخذ المباشر من المصدر الأصلي، وغالبا ما كان المستمع يتحول إلى الرواية ويصبح راوية، وبهذه الطريقة نقل الشعر الجاهلي جيلا بعد جيل وكذلك بعض المعارف العربية قبل الإسلام، وكان احتفالهم بنبوغ الشاعر في القبيلة أمرا عظيما، إذ كان لكل شاعر راوية يسمع منه ويذيع شعره بين القبائل وهو تقليد ظلّ مستمرا حتى عصر "جرير" (ت.110هـ) والفرزدق (ت.110هـ)[2].

وقد يكون هذا الراوية مجرد راو لا غير، وقد يكون راويا وشاعرا في آن واحد، لذلك تسلسلت حلقات الرواة الشعراء من الجاهلية حتى عصر بني أمية،

---

1)- ينظر: د.حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2003، ص 93.

2)- ينظر: المرجع نفسه، ص 94.

فكان "زهير بن أبي سلمى" راوية "أوس بن حجر" وهما جاهليان، وكان "الحطيئة" -وهو شاعر مخضرم- راوية "زهير"، وكان هدبة بن خشرم" راوية "الحطيئة"، وكان "جميل بثينة" راوية "هدبة"، وكان "كثير عزة" راوية "جميل"، و"السائب السدوسي" راوية "كثير"[1].

وكان لشعراء وعلماء العصرين الأموي والعباسي معرفة كبيرة بتراث الشعراء الجاهليين والمخضرمين والروايات التي تتصل بأخبار هؤلاء الشعراء، تؤكد الدور الهام للسماع والرواية في نقل الشعر وغيره من معارف العرب قبل مجيء الإسلام، غير أن سيطرة السماع والرواية على هذا النحو، لم تحل دون ظهور الكتابة منذ ذلك العصر، فهناك روايات قديمة ودراسات حديثة تثبت أن العرب قد عرفوا التدوين والكتابة قبل الإسلام وخاصة في الحواضر العربية مثل: مكة، ويثرب، وجاء على لسان "ابن النديم" (ت380.هـ) "فأول الخطوط العربية الخط المكي، وبعده المدني، ثم البصري، ثم الكوفي، فأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يمنه اليد وأعلى الأصابع وفي شكله انضجاع يسير..."[2].

كما يقال إنه عند ظهور الإسلام كان في مكة سبعة عشر كاتبا، وفي يثرب أحد عشر كاتبا، كما كان "أكثم بن صيفي" وهو من حكماء العرب يعرف الكتابة ومثل ذلك أيضا كان بعض الشعراء مثل "المرقش الأكبر"[3].

---

1)- ينظر: د.عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية ، بيروت، (د.ت)، ص 60.

2)- ابن النديم: الفهرست، تحقيق د. مصطفى الشويمي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص 65.

3)- ينظر: د. عز الدين إسماعيل: المرجع السابق، ص 13-14.

وعندما نزل القرآن الكريم دعا العرب إلى ضرورة استخدام الكتابة في توثيق بعض المعاملات الاقتصادية؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾[1].

وهو ما يؤكد معرفة العرب للكتابة واستخدامها في حياتهم الثقافية والاقتصادية فتعدد مصطلح الكتابة في القرآن الكريم وفي سورة البقرة بالتحديد، ليبرهن على أن القرآن الكريم لا يخاطب قوما بما لا يعلمون، وإنما يخاطبهم بما يعرفون، والشواهد على معرفة العرب للكتابة قبل الإسلام كثيرة، غير أن الخلاف بين الدارسين من العرب والمستشرقين يدور حول مدى هذه المعرفة وحجم ما دونه العرب قبل الإسلام[2].

أما بعد الإسلام واستقرار دولة المسلمين في المدينة المنورة، فقد دعت الحاجة السياسية إلى الكتابة في بعض أمور الدولة مثل: الأحلاف والمعاهدات؛ كالمعاهدة التي أمر الرسول ﷺ بكتابتها عقب هجرته إلى المدينة لتسوية أمور المهاجرين والأنصار واليهود، وإلى جانب المعاهدات، نجد الرسائل التي بعث بها إلى القبائل، لدعوتهم إلى الإسلام أو لعقد حلف معهم ضد قريش، هذا سوى كتب الأمان وكتب تقسيم الغنائم وغيرها، وكل ذلك يتصل بالعلاقات ونظام الدولة الداخلي.

أما على المستوى الخارجي للدولة الإسلامية، فقد بعث الرسول ﷺ بالرسائل والكتب إلى حكام وملوك الدولة المجاورة، مثل: "المقوقس" في مصر،

---

1)- سورة البقرة، الآية: 282.

2)- ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 95.

و"النجاشي" في الحبشة وغيرهما، وكان زيد بن ثابت يكتب هذه الرسائل للرسول ﷺ، بل يروى أنه كان يترجم للرسول ﷺ ما يرد إليه من رسائل من هؤلاء الملوك والحكام، ومن ثم بدأ السماع والرواية من ناحية والكتابة والتدوين من ناحية أخرى يأخذان أبعادا أكثر عمقا وأهمية في حياة المسلمين[1].

لقد تأكد وجود السماع والرواية في الحياة الدينية والعلمية للمسلمين نظرا لارتباطهما أولا بالقراءة القرآنية ورواية الحديث النبوي الشريف، فالقراءات القرآنية -كما نعلم- عِلم نقلي لا يعرف الاستنباط أو التعليل مثل: العلوم العقلية، لذلك كانت هذه القراءات تعتمد على السماع والرواية من حيث التلقي من المصدر الأصلي لها وهو الرسول ﷺ بل ما زال السماع يمارس حتى اليوم في قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة مضبوطة وموثقة.

وتعد القراءة القرآنية من أهم العلوم النقلية لدى المسلمين وأهم معارفهم، لأنها موثقة بالنص القرآني الذي قامت عليه حياة المسلمين العملية والعلمية بعد ذلك، ولذلك لم يقف القرآن عند حدود التلقي والسماع المباشر، وإنما أصلت بعد وفاة الرسول ﷺ طبقا لقواعد وأصول من حيث الأداء وضوابطه ومن حيث التلقي ومصادره.

كما اتصل أيضا تفسير القرآن الكريم بالسماع ورواية الحديث النبوي الشريف، إذ بدأ التفسير القرآني من بدايته الأولى جزءا من الحديث النبوي الشريف، وهو ما عرف "التفسير بالمأثور" تأكيدا لمعنى السماع والرواية عن الرسول ﷺ الذي كان المفسر الأول لهذا النص الكريم، وكان بالاعتماد على ذلك ورعا

1)- ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 95.

وخشية من أن يقال في القرآن الكريم بالرأي، ولذلك اشتهر بنقل التفسير عن الرسول ﷺ عدد من الصحابة والتابعين، اشتهر منهم: "عبد الله بن مسعود"(ت. 32 هـ) الذي كون مدرسة في الكوفة حملت عنه تفسيرا كثيرا جيد السند، وكان "عبد الله بن عباس" (ت. 68 هـ) أكثر الصحابة تفسيرا، وقد روى عنه كثير من التابعين وهو يعد المؤسس الحقيقي لعلم التفسير، وكان يعتمد على الشعر الجاهلي في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم، وذلك فيما لم يكن يرويه الرسول ﷺ[1].

لقد شاركت الكتابة والتدوين كلا من السماع والرواية في نقل القراءات والتفسير والحديث النبوي الشريف على هذا النحو، ولم يكونا بعيدين عن هذا كله، حيث أدت الكتابة دورا كبيرا في التدوين المعارف الدينية منذ المراحل الأولى في حياة المسلمين، إذ كان النبي ﷺ يأمر بكتابة كل ما نزل من القرآن الكريم، واتخذ لذلك جماعة من الصحابة منهم: "علي بن أبي طالب" (ت. 40 هـ)، و"عثمان بن عفان" (ت. 35 هـ)، و"زيد بن ثابت" (ت. 45 هـ) و"أُبَي بن كعب" (ت. 22 هـ) وكانت الكتابة مساعدة للحفظ والرواية والأخذ المباشر عن الرسول ﷺ[2].

ولم يختلف دور الكتابة والتدوين في عهد خلافة "أبي بكر الصديق" (ت.13هـ) إذ احتلتا مكانا عليا في زمنه عندما نصحه "عمر بن الخطاب" (ت.23هـ) بجمع القرآن الكريم وتدوينه بعد استشهاد عدد كبير من قراء القرآن

---

1)- ينظر: المبرد: الكامل في اللغة والأدب، إعداد علي محمد زينو وعماد حيدر الصبار، مؤسسة الرسالة الناشرون، بيروت، ط1، 2006، ص 568-569.

2)- ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 97.

الكريم في موقعة اليمامة وخشي "عمر" على المحفوظ في الصدور منه أن يضيع، وأخذ "عمر" يراجع "أبا بكر" في جمع القرآن وتدوينه حتى اقتنع بالفكرة، فعهد إلى "زيد بن ثابت" بجمعه وتدوينه اعتمادا على الحفظة الموثوق بهم والمشهود لهم بالسماع والإتقان من صحابة رسول الله ولما جمع المصحف ودوّن حفظ في بيت "أبي بكر" ولما توفي خلفه "عمر" انتقل المصحف إليه، وبعد وفاته انتقل إلى "حفصة" ابنته وأم المؤمنين وكان ذلك هو الجمع الأول للقرآن الكريم.

أما الجمع الثاني فكان في عهد الخليفة "عثمان بن عفان"، عندما أخذ القراء في الأمصار البعيدة يختلفون في طرق الأداء والقراءة ولم يكن بين أيديهم ما يرجعون إليه، فأفزع ذلك بعض الصحابة فهرعوا إلى الخليفة الذي أمر أن يدون للناس مصحف إمام يرجعون إليه، فأخذ مصحف "حفصة" وأمر "زيدا بن ثابت" وجماعة من الصحابة بتدوين القرآن الكريم، ثم أمر أن تكتب نسخ أخرى من مصحفه ويحرق ماعدا ذلك، وأرسل بالمصاحف إلى مكة والكوفة والبصرة ودمشق وغيرها من الأمصار الإسلامية، ومن ثم مضى القراء يقرئُون الناس على حرف هذا المصحف الإمام، غير أن فروقا حدثت في الأداء فيما يعرف بعد ذلك بالقراءات السبع.

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة كتابة الحديث النبوي الشريف وكان بعض الصحابة والتابعين يستعينون بالكتابة على الحفظ والرواية، بل يقال أن الرسول ﷺ رخص لنفر من الصحابة في كتابة الحديث، غير أن السماع والرواية ظلا مسيطرين على نقله وروايته طوال القرن الأول حتى تولى "عمر بن عبد العزيز" خلافة المسلمين (ت. 101 هـ) فأمر بتدوينه[1].

---

1)- ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 98.

ويعد الحديث المصدر الثاني بعد القرآن في التشريع الإسلامي، ولما توفي الرسول ﷺ وانتشر الصحابة في البلاد المفتوحة أخذوا يروون كتاب الله وسنة رسوله أينما ذهبوا، ولم يتركوا أي صغيرة أو كبيرة من أفعاله وأقواله إلا أحصوها وتناقلوها، واشتهر منهم جماعة بكثرة الرواية مثل: "أبي هريرة" (ت.59هـ) و"عبد الله بن عمر" (ت.74هـ)، و"ابن عباس" (ت.68هـ)، و"أنس بن مالك" (ت.93هـ) وغيرهم كثير، حتى إذا مات الصحابة خلفهم التابعون يروون ما سمعوه منهم. وبذلك أخذ الحديث ينتقل من جيل إلى جيل، وتعددت طرق الرواية من خلال مصطلحات ومفاهيم تحولت بعد ذلك على علم "مصطلح الحديث" الذي يتناول فيه العلماء دراسة السند والمتن معا وفق أصول ومعايير في جرح أو تعديل الرواة، وتعد أول مدونة للحديث النبوي الشريف بالمعنى الدقيق لكلمة تدوين كانت "لأبي شهاب الزهري" (ت.124هـ). ثم أخذ التصنيف والتأليف في الحديث وتدوينه يكثر ويتسع من بعده وسرعان ما ظهرت، بعد ذلك كتب الصحاح المشهورة مثل: "موطأ مالك" (ت179هـ) و"صحيح البخاري" (ت.256هـ) و"صحيح مسلم" (ت.261هـ)[1].

وعلى هذا الشكل اكتسب السماع والرواية مكانة دينية وعلمية في نقل القرآن الكريم والقراءات والتفسير والحديث النبوي الشريف، وقد واكبت الكتابة هذا النشاط الشفوي طوال القرنين الأول والثاني من الهجرة، ولا يكاد نقل اللغة يختلف من ذلك كثيرا إلا أن عناية العلماء بجمع ألفاظ اللغة وأشعار العرب في الجاهلية والإسلام تأخرت إلى عصر بني أمية وإن كان النشاط اللغوي ومحاولة

1)- ينظر: المرجع نفسه.

دراسة اللغة قد بدأ مبكرا على يد "أبي الأسود الذؤلي" (ت.69هـ) كما هو معروف، غير أن هذه الحركة لم تأخذ مداها إلا على يد مجموعة من العلماء واللغويين في البصرة والكوفة حيث تعاقبت أجيال من هؤلاء العلماء الذين اتخذوا من الرواية والكتابة معا أداتين لنقل لغة العرب، كما تتمثل في كلامهم وأشعارهم وذلك لمواجهة "اللحن" الذي أخذ يتفشى على ألسنة المتكلمين بالعربية من المستعربين، الموالي والمولدين بل امتد أيضا لبعض العرب(1).

وكل ما يمكن أن نستخلصه مما سبق، وهو أن هناك توازيا ملموسا بين حركة التدوين لدى العرب منذ عصر ما قبل الإسلام، وحجم المدونات التي أنجزت، وتوافر الوسائل الصالحة للتدوين فيها.

وتشكل أيضا عناصر متكاملة يؤثر غياب عنصر منها أو النقص فيه على العنصرين الآخرين، ومن ثم يمكن أن نقول أنها نشأت وتطورت، ونمت بمعدل واحد واستجابة لمطالب الحياة العربية والإسلامية في خطها النامي الصاعد من الجاهلية إلى زمن العباسيين.

وينبه "عز الدين إسماعيل" على أن حركة التدوين هذه قد ظلت إلى نهاية القرن الثالث الهجري مصاحبة للرواية الشفوية ولا شك في أن الاعتماد على الرواية في بادئ الأمر كان أكثر، ثم نشطت حركة التدوين حتى صارت معادلة للرواية، وهي المرحلة التي برزت فيها ظاهرة "السماع"، ثم غلب التدوين في المرحلة الثالثة،

1)- ينظر: البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق د.درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2004، ج1، ص 69، وفي غيرها من المواضع من الكتاب.

وهي المرحلة التي كانت فيها المعارف والعلوم العربية قد تأصلت واتسع نطاقها ونشط التأليف فيها(1).

وأما ظاهرة "السماع" فقد كانت تعني أن يقرأ التلميذ على أستاذه ما دونه من كلامه، فإن أقره الأستاذ كان من حق التلميذ أن يروي هذا الذي دونه منسوبا إلى الأستاذ، والهدف من هذه العملية هو توثيق المادة أو المعلومات التي دونها، ومن ثم يمكننا أن نقول أن السماع أي التدوين ثم القراءة على الأستاذ ثم الرواية، كان أسلوبا حرص عليه الآخذون سبيل العلم منذ وقت مبكر وظلوا ملتزمين به حقبة طويلة من الزمن، وكان الهدف الأساسي من هذه العملية هو إسناد المادة وتوثيقها، لأن مجرد نقل المادة من كتاب إلى كتاب دون هذا التوثيق إنما يعرضها للتحريف والتصحيف، أما الرواية عن طريق السماع فهي الجديرة بأن يوثق فيها(2).

2- حركة جمع اللغة العربية:

لقد بدأت حركة جمع اللغة أو التراث القولي للعرب بناءً على دوافع دينية من ناحية ولغوية علمية من ناحية أخرى، فقد زحف اللحن من الكلام على النص القرآني مما شكل تهديدا مباشرا لحياة المسلمين، ولأن القرآن الكريم نزل على طريقة العرب في الكلام، فكان من الضروري استنباط القواعد والأصول اللغوية لهذا الكلام حفاظا عليه وتيسيرا لفهمه واستنباط أحكامه، ثم إتاحة الفرصة للأعاجم الذين لا يحسنون العربية لكي يتعلموها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بجمع

1)- ينظر: د.عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية، ص 49.

2)- ينظر: المرجع نفسه، ص 50.

المادة اللغوية التي تستنبط منها القواعد والأصول اللغوية، واستغرق هذا العمل قرنا كاملا تقريبا حتى استوى علما أطلق عليه "علم العربية أو النحو".

واعتمدت حركة الجمع هذه على السماع والرواية، كما اعتمدت بقية معارف المسلمين فيما يتصل برواية القراءات والتفسير والحديث النبوي الشريف، ثم حلت الكتابة محل الرواية بعد أن سارا جنبا إلى جنب والتزم رواة اللغة بما التزم به رواة الحديث الشريف من توثيق للمادة اللغوية المروية بل حرص بعضهم على إثبات ذلك فيما كتبوه من الرسائل اللغوية[1]. كما اتفق عدد من الدارسين على أن جمع اللغة العربية مر بمراحل ثلاث هي:

المرحلة الأولى: جمع الكلمات حيثما اتفق، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويستمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات فيدون ذلك على حسبما سمع من غير ترتيب إلا السماع.

المرحلة الثانية: جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، واتسمت هذه المرحلة بكتب ألفت في الموضوع الواحد، فألف "أبو زيد الأنصاري" كتابا في المطر، وكتابا في اللّبن، وألف "الأصمعي" كتابا في النخل والكرم، وكتابا في الشاء وكتابا في الإبل، وكتابا في أسماء الوحوش، وكتابا في الخيل، وكتابا في النبات والشجر،...الخ[2].

ومثال ذلك ما أورده "الأصمعي" في كتاب النخل والكرم: "من صغار النخل الجثيث، وهو أول ما يطلع من أمه، وهو الودي والهراء والفسيل، ويقال للفسيلة إذا أخرجت قلبها قد اتسغت، وشحمة النخل هي الجمّار، والسعف هو

---

1)- ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 99.

2)- ينظر: د.رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، (د.ت)، ص148.

الجريد عند أهل الحجاز، واحدته جريدة، وهو الخُرص وجمعه خرصان، والخلب الليف واحدته خلبه"[1]، وهذا النوع من التآليف يطلق عليه اسم الرسائل اللغوية.

المرحلة الثالثة: وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة، وأول من وضع هذا المعجم هو "الخليل بن أحمد الفراهيدي" صاحب معجم العين.

لقد أبدى علماء اللغة حرصا شديدا على أن تبقى العربية سليمة نقية خالية من اللحن، ودفعهم هذا الحرص إلى اصطناع منهج صارم في جمع المادة اللغوية التي يعتدون بها فحدّدوا لها إطارا زمانيا ومكانيا تمثل في:

أ- الإطار الزماني: اعتمد علماء اللغة في جمع مادتهم اللغوية على روايات النثر أو الشعر في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وعصر بني أمية، وبداية العصر العباسي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، وسموا هذه الفترة الزمنية بعصر الاحتجاج أو عصر الاستشهاد، ولم يعتد بما جاء بعد ذلك من روايات النثر أو الشعر، عدّوا ما جاء بعد هذا العصر فاسدا لا يحتج به، وإن استباح بعض هؤلاء العلماء الأخذ عن فصحاء البادية حتى منتصف القرن الرابع الهجري[2]، وقسّم علماء العربية الشعراء إلى أربع طبقات:

- طبقة الجاهليين: كزهير، وطرفة، وعمر بن كلثوم، وامرئ القيس وعنترة...الخ.

---

1)- ينظر: د.رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، ص148.

2)- ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

- طبقة المخضرمين: وهم الذين شهدوا الجاهلية وصدر الإسلام، أي امتد بهم العمر حتى شهدوا العصرين: الجاهلي والإسلامي، كالخنساء، وحسان بن ثابت، وكعب بن زهير، ولبيد بن ربيعة...الخ.

- طبقة الإسلاميين: وهم الذين عاشوا في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، كجرير والفرزدق، والأخطل، والبعيث...الخ.

- طبقة المولدين أو المحدثين: وهم الذين عاشوا في بداية العصر العباسي مثل: بشار بن برد، وأبو نواس، والبحتري، وأبو تمام[1].

وقد أجمع علماء اللغة على أن شعراء الطبقتين الأوليتين يحتج بشعرهم، بغير نزاع، أما الطبقة الثالثة فمعظم اللغويين يرون صحة الأخذ بشعرها، غير أن بعضهم كان يأبى الاحتجاج بهم، وأما الطبقة الرابعة فقد رفض اللغويون الاحتجاج بشيء من شعرها، فيما عدا الزمخشري (ت.528هـ) صاحب معجم "أساس البلاغة" هو الذي أجاز ذلك[2]؛ إذ استشهد في تفسير أوائل سورة البقرة ببيت من شعر أبي تمام وقال: "وهو أن كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة، فهو من علماء العربية، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقنعون بذلك، لوثوقهم بروايته وإتقانه"[3].

وجدير الذكر أن "أبا تمام" جمع بعض أشعار العرب في الجاهلية في كتاب سماه "ديوان الحماسة" وهذا كتاب يعتدّ به عند أهل اللغة، في الوقت نفسه لا يعتدّ

1)- ينظر: د.رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، ص149.

2)- ينظر: البغدادي: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ، ج1، ص6.

3)- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الطباعة المصرية، بولاق، 1281هـ، ج1، ص 86-87.

بشعر "أبي تمام"، الأمر الذي جعل "الزمخشري" يسوي بين ما يرويه من أبيات الشعر في كتابه: الحماسة وبين ما يقوله هو من أشعار.

ب- الإطار المكاني: حدد علماء اللغة بيئات لغوية معينة يأخذون منها اللغة، ولم يقوموا بجمع اللغة من كل القبائل العربية، بل اختاروا بيئات وقبائل معينة، تشتهر بالفصاحة، فقد أخذوا عن قريش لأنها أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وإبانة عما في النفس، وأما الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب بعد قريش هم: قيس، تميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أخذ معظم الغريب، وفي الإعراب والتعريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين[1]، ولم يؤخذ عن سكان الحضر قط وعن سكان البراري ممن يسكن أطراف بلاد العرب، التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، لأنه بمخالطتهم غيرهم من الأمم فسدت ألسنتهم.

ومن ذلك يقول ابن خلدون في الفصل السابع والثلاثين من المقدمة: "ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم، وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة

1)- د. رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، ص 150-151.

الملكة بمخالطة الأعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية"[1].

ومن خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن علماء اللغة وضعوا لأنفسهم أساسين هامين في جمع اللغة:

الأساس الأول: كلما قربت القبيلة من بيئة قريش، كانت أقرب إلى الفصاحة، وإلى الأخذ والاستشهاد بكلامها.

الأساس الثاني: على قدر توغل القبيلة في البداوة تكون لغتها خالية من كل شائبة لغوية.

3- التأليف المعجمي في الحضارات الإنسانية:

قبل الخوض في هذا العنصر من الدراسة يجب أن نعرف لماذا تؤلف المعاجم؟ وما هي أقدم الحضارات الإنسانية التي عرفت هذا النوع من التأليف المعجمي؟

كان السبب الأول والأهم للتفكير في تأليف المعاجم هو البحث عن معنى لفظ في لغة أجنبية، لذلك يعد "المعجم الزوجي" أو "معجم الترجمة" من أقدم المعاجم في التأليف المعجمي عبر التاريخ، نجده معروفا في العراق القديم، إذ جاء الساميون من جزيرة العرب في غضون الألف الثالث قبل الميلاد، وأسسوا لهم حضارة ودولة ونظما اجتماعية أخذت معظم عناصرها من حضارة السومريين - سكان العراق قبل الساميين- وكان مما أخذوه عنهم الدين والكتابة، فاضطروا إلى تعلم اللغة السومرية، وترجموا أساطرهم وشرائعها وآدابها إلى لغتهم الأكادية

---

1)- ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، ط7، 1989، ص 555.

السامية، ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى عمل مجاميع لغوية زوجية؛ أي قواميس سومرية أكادية، لا تشبه ما قد تفكر فيه عند سماع كلمة قاموس الآن، فهي ألواح من الفخار مقسمة إلى أعمدة أولها للسومري، والثاني للعلامة المسمارية العامة التي تعبر عنه في اللغتين، لأن هذه العلامة كانت ذات قيمة دلالية لا صوتية، بقيت في الخط المسماري منذ أن كان "هيروغليفيا" (أي تصويريا) لا مقطعيا كما هو الشائع فيه بعد ذلك، وفي عمود ثالث يسجل معنى ذلك باللغة السامية الأكادية ثم البابلية أو الآشورية.

وقد وجدت من هذه الألواح نماذج قيمة جدا في مكتبة الإمبراطور الآشوري "آشور بانبيبال" في "نينوى" وهذه المجموعة محفوظة الآن في المتحف البريطاني في لندن[1].

ويأتي سبب آخر في تأليف المعاجم في التاريخ الإنساني، وهو البحث عن معاني الألفاظ النادرة الاستعمال أو الغريبة في داخل اللغة نفسها، وتذكر مصادر التاريخ أن المعاجم اللغوية الأبجدية أو معاجم الغريب، ظهرت منذ العصور القديمة لتكون خزائن تحيط بمادة اللغة كلها، ويذكرون أن الشرق الأقصى -وبخاصة الصين- أعطى مؤلفات هذا النوع منها: معجم يرجع إلى سنة 150 قبل الميلاد، اسمه "شوو-أوان" من تأليف "هو-شن"، ومعجم آخر من سنة 530 بعد الميلاد ألفه "كو-يي-وانج" واسمه "يو-بيين"[2].

---

1)- ينظر: د.حسن ظاظا: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص 122-123.

2)- ينظر: المرجع نفسه، ص 123.

وكـذلك وضـع اليونـان والرومـان معـاجم مـن هـذا النـوع منهـا معجـم "هلاديـوس" Helladius السـكندري، في القـرن الرابـع الميلادي، ومعجـم "يوليـوس بولـوكس" Julius Pollux، وهـو مرتـب بحسـب الموضـوعات، وهـذان المعجمـان يونانيـان[1]. وفي عهـد الإمبراطـور الرومـاني "أغسـطس" حـوالي مـيلاد المسـيح، ظهـر معجـم "فاليريوس فلاكـوس" Valerius Flacus وعنوانه "معاني الألفـاظ"، كمـا ألـف "هزيشيوش" Hesyshius السـكندري في القـرن الرابـع الميلادي معجمـات للهجـات والتعبيرات وألف "أمونيوس" Ammonius السكندري معجما لمعاني "المشترك"[2].

كما عـرف الهنـود أيضـا العمـل المعجمـي بوضـعهم معجمـات لألفـاظ اللغـة "السنسـكريتية" مرتبـة علـى الحـروف وقـد قيـل أن هـذه اللغـة كانـت ترتـب حروفهـا بحسب مخارجها، ابتداء من أقصى الحروف مخرجا إلى أدناها[3].

فقـد وضـعوا معجمـات خاصـة بـالمترادف والمشـترك، وأقـدم المعـاجم الكاملـة هـو معجـم "أمارسـتها" والـذي اشـتهر باسـم "أماراكوسـا" الـذي وضـع قبـل القـرن السـادس الميلادي وهـو معجـم مترادفـات في ثلاثـة أبـواب، ألحـق فيـه فصـل عـن المشترك اللفظي وآخر عن الكلمات غير المنصرفة، وكلمات التذكير والتأنيث، وقد رتـب المؤلـف جـزء المترادفـات بحسـب الموضـوعات، وجـزء المشـترك اللفظـي بحسـب الحروف السـاكنة في أواخر كلماته.

1)- ينظر، د.حسن ظاظا: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، ص128.

2)- ينظر، المرجع نفسه.

3)- ينظر، محمد علي عبد الكريم الرديني: المعجمات العربية دراسة منهجية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 2006، ص 20.

ووضع بعد ذلك "ساسفانا" معجمه الخاص بالمشترك اللفظي حوالي بداية القرن السادس ميلادي، ورتب الموضوعات التي على أساسها وضعت الكلمات ترتيبا، فقد شرح أولا الكلمات التي تحتاج لبيان معناها إلى بيت كامل، ثم الكلمات التي تحتاج نصف بيت ثم تلك التي تحتاج إلى ربع بيت[1].

ووضع "هيماكانورا" معجما في المشترك اللفظي أيضا يقع في سبعة أبواب، الستة الأولى على التوالي للأسماء ذات المقطع الواحد، المقطعين، الثلاثة إلى الستة، أما السابع فيعالج الكلمات غير المتصرفة، وإلى جانب ترتيب الكلمات بحسب عدد مقاطعها، نظرا إلى الحرف الأول والحرف الساكن الأخير[2].

أما فن تأليف المعاجم عند العرب فبدأ بعد مجيء الإسلام بفترة، وهذا الفن يعد جزءا من الدراسات العربية بفروعها المختلفة، متعلقة بالقرآن الكريم، وتوضيح آياته، وتبيين معناه، واستنباط أحكام الشريعة منه، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها، بالبحث في دلالة اللفظ، واشتقاق الصيغ، وتركيب الجمل، والأسلوب والصور الكلامية واختلافها باختلاف المقام، وحتى تلك الدراسات التي تتعلق بالرسم الإملائي، والفلك، والرياضة...الخ، وكل هذه الدراسات قامت أساسا، لخدمة الدين الإسلامي، لغرض فهم القرآن الكريم، مصدر التشريع الإسلامي، ودستور المسلمين[3].

فقد اتصل الدين باللغة، اتصالا وثيقا في العصور الإسلامية كلها، وكان الباعث على اهتمام علماء اللغة، بجمع الشواهد اللغوية، وتقعيد اللغة، باعثا دينيا،

1)- ينظر، محمد علي عبد الكريم الرديني: المعجمات العربية دراسة منهجية، ص 20.

2)- ينظر، المرجع نفسه.

3)- ينظر، د. رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999، ص108.

هـو ضـبط نصـوص القـرآن الكـريم، وتعلـيم الطـلاب لغـة القـرآن، وجـدت منـاهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية، على المنح بين المعارف الدينية واللغوية، في الكتاتيب والمساجد والمجتمعات، ثم في المدارس المنظمة فيما بعد، ومن ثم كان اللغوي غالبا رجل دين، ولا ترى عالما من علماء اللغة القدامى، إلا كان مقرئا، أو مفسرا، أو محدّثا، أو متكلما، أو فقيها[1].

نعلـم أن القـرآن الكـريم، نـزل بلغـة فصـحى، تعلـو عـن مسـتوى العامـة مـن العرب، ولذلك أخذ الناس في الصدر الأول للإسلام، يسألون كبار الصحابة، عن تفسير آياته، وغريب ألفاظه، وتحدثنا الروايات الإسلامية، بأن الصحابي المشهور "عبد الله بن عباس" كان يسأل عن معنى ألفاظ معينة من القرآن الكريم، فيفسرها للناس، ويستشهد على تفسيرها بأبيات من الشعر العربي.

وقد جمعت كل هذه الأسئلة وإجاباتها في كتاب مستقل، باسم "سؤالات نـافع بـن الأزرق إلى عبـد الله بـن عبـاس"، نشـره إبـراهيم السـامرائي، ببغـداد سـنة 1968، كمـا ذكرهـا السـيوطي في النـوع السـادس والثلاثـين، مـن كتابـه "الإتقـان في علوم القرآن"[2].

ويجمـع جـل الدارسـين علـى أن تفسـير "ابـن عبـاس" للقـرآن نـواة للمعـاجم العربية؛ فقد بدأت الدراسة في هذه الميدان، من ميادين اللغة، بالبحث عن معاني الألفـاظ الغريبـة في القـرآن الكـريم، ولـذلك نجـد التـأليف الأولى في المعـاجم كانـت

---

1)- ينظر، د.رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص 108.

2)- المرجع نفسه، ص 109.

تحمل اسم "غريب القرآن"، وأقدم مؤلف يحمل هذا الاسم، هو لأدبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت.141هـ).

لقد شعر العلماء منذ الصدر الأول للإسلام، بحاجتهم إلى الشعر العربي، للاستعانة به، وفي فتح مغاليق الألفاظ، والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، فانكبّوا عليه يروونه، ويحفظونه، ويدرسون أساليبه ومعانيه، وما يدور فيه من ذكر لأيام العرب ووقائعهم، ولولا هذا الباعث الديني، لاندثر الشعر الجاهلي، ولم يصل إلينا منه شيء.

ويقول ابن عباس: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن، الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه...، وإذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"[1].

وهكذا نلاحظ أن دراسة القرآن الكريم، كانت من دواعي الاهتمام بالشعر، كما كانت أحد الأسباب التي أسهمت في نشأة المعاجم العربية.

وقد عرف التأليف المعجمي الأول لدى اللغويين القدماء العرب لونا من ألوان المعاجم، من شأنه أن ينظم ألفاظ اللغة حسب الموضوعات، بمعنى أن المعجمي يجمع الألفاظ المتصلة بالخيل أو النبات أو أوصاف النساء... ويضمها تحت عنوان يجمعها معا، فنجد "كتاب الخيل" أو "كتاب النبات" أو "كتاب أوصاف النساء"، وكان أبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد الأنصاري وسواهم من الرواد الأوائل، قد جاءت إلى أذهانهم الفكرة التي تحاول جمع الألفاظ حسب

---

1)– جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية بيروت، (د.ت)، ج1، ص 119.

الموضوعات؛ وهذا النوع من التأليف عرف باسم الرسائل اللغوية الصغيرة وهي أيضا نواة للمعاجم العربية.

وهذا النوع من الرسائل قد استقى اللغويون مادتها من أفواه البدو؛ ومن هؤلاء: أبو ثروان العكلي، وأبو الجراح العقيلي، وأبو حزام العكلي، وأم الحمارس البكرية، وأبو شنبل الأعرابي، وأبو صاعد الكلابي، وأبو الغمر العقيلي، وغنية الكلابية، وقريبة الأسدية، وأبو مرة الكلابي، وأبو مهدي الباهلي، وأبو مهدية الكلابي...وغيرهم[1].

فكان اللغويون القدماء، يجولون في الجزيرة العربية، يسألون البدو، ويكتبون عنهم، وقد سأل الكسائي (ت.189هـ) "الخليل بن أحمد" قائلا: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج الكسائي إلى البادية، ورجع وقد أنفذ خمسة عشر قنينة حبر، في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ[2].

ومن بين ما وصلنا من بعض هذه الرسائل اللغوية، ما ألفه اللغوي العربي الكبير "عبد الملك بن قريب الأصمعي" (ت.216هـ) بقيت لنا المؤلفات التالية:

1- الإبل.
2- الخيل.
3- الشاء.
4- الوحوش.
5- الفرق.
6- خلق الإنسان.
7- النبات والشجر.

والرسائل اللغوية هي على شكل مجاميع لغوية، تحتوي كل منها على الألفاظ الخاصة بموضوع معين، واشتهر في هذا النوع من التأليف عدد من اللغويين

1)- ينظر، د.رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص 230.

2)- ينظر، ابن النديم: الفهرست، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002، ص 67، 103.

ككتـاب " أبي حنيفـة الـدينوري" (ت.290هـ)، في النبـات، وكتابـه في "الأنـواء"، وكـان أسـتاذه "أبـو يوسـف يعقـوب بـن إسـحاق بـن السـكيت" (ت.244هـ) قـد اشتهر في هذا اللون من التأليف أيضا وكتب في النبات، والأصوات، والفروق، كما اشتهر في هذه الطبقة "أبو حاتم السجستاني" و"ابن خالويه"... وغيرهم.

وظهرت كتب جامعة لمادة اللغة مرتبة بحسب الموضوعات، وهذه الكتب قد تأثرت بكتاب "الغريب المصنف" لأبي عبيدة في طريقته ومادته وفيما يلي بعض المعاجم ذات الترتيب الموضوعي:

1- الألفاظ الكتابية؛ لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني (ت.320هـ): وهو أول كتـاب يصـل إلينـا بعـد "غريـب المصـنف"، متبعـا لمنهجيـه مـن الترتيـب، وهـو كتـاب صـغير نسـبيا، يحتـوي في أبـواب السـتة والسـتين والثلاثمائـة، علـى عبـارات الأدب الجـزل، بصـورة تجمـع في كـل بـاب، مـا يتصـل بناحيـة معنويـة معينـة مـن المترادفات، والصيغ والاستعارة، والأمثال...الخ[1].

2- جواهر الألفاظ؛ لقدامة بن جعفر (ت.337هـ): وهو كتاب يتوخى فيه مؤلفه، الإرشاد العملي إلى الأسلوب الجزل، والعبارات المتأنقة، في الموضوعات المختلفـة الـتي قسـمها علـى 372 بـاب، ويقـول المؤلـف في مقدمتـه: "هـذا كتـاب يشـتمل علـى ألفـاظ مختلفـة، تـدل علـى معـان مؤتلفـة، وأبـواب موصـونة، بحـروف مسـجّعة مكنونـة، متقاربـة الأوزان والمبـاني، متناسـبة الوجـوه والمعـاني، توثـق أبصـار

1)- ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص 260.

الناظرين، وتزوق بصائر المتوسمين، وتتسع بهذا مذاهب الخطاب، وينفسخ معها بلاغة الكتاب"[1].

3- متخير الألفاظ؛ لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي (ت.395هـ): وهذا أيضا كتاب في الألفاظ الجزلة، والعبارات الرائعة، التي تعلو على المبتذل المسترذل، وتنزل عن الغريب الوحشي، وقد رتبه مؤلفه على حسب الموضوعات، في 114 بابا، ملأها بالكثير من ألفاظ الشعراء وعباراتهم. وهو يروي في كتابه عن الكثير من اللغويين، كالأصمعي، وأبي عبيدة، وابن الأعرابي، وأبي زيد الأنصاري، والفراء وغيرهم[2].

4- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء؛ لأبي هلال العسكري (ت.395هـ): وقد أراد به مؤلفه، أن يفي بما عجزت عنه جميع كتب الأسماء والصفات عن بلوغ غايته[3].

وقد قسمه إلى أربعين بابا، تنتظم مظاهر الحياة المختلفة، وفي كل باب مجموعة من التفريعات، التي يحتاج إليها الموضوع، وهو مقتصد في الشواهد الشعرية.

5- مبادئ اللغة؛ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت.421هـ): وهو كتاب صغير، يحتوي على أبواب قصيرة، في السماء والكواكب، والمياه والجبال، والكسوة والنار، والطعام والشراب، والسلاح والخيل، والسباع والطير، والشجر والنبات، وغير ذلك.

---

1)- ينظر، قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1932، ص2.

2)- ينظر، رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص 262.

3)- ينظر، المرجع نفسه، ص 263.

ويقول رمضان عبد التواب في هذا الكتاب: "ومما يلفت النظر في هذا الكتاب أن الإسكافي يفسر الكلمة العربية أحيانا، بكلمة فارسية الأصل، مثل قوله: " المِسْحُ: اَلْبِلاَسُ، وجمعه: أمساح ومسوح...، وَالْسَطْلُ: يقال له الطّسُ والطسّة...، والمثقب بالفارسية: جفْت، ولعله ألف هذا الكتاب للفرس، الذين يتعلمون العربية"[1].

6- فقه اللغة وسر العربية؛ لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت.429هـ): ألف الثعالبي هذا الكتاب للوزير أبي الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي وذكر في مقدمته عددا من العلماء، الذين اعتمد عليهم في تصنيف كتابه هذا، فقال: وتركت والأدب والكتب، أنتقي منها وأنتخب، وأفصل وأبوّب، وأقسم وأرتّب، وأنتجع من الأئمة مثل: الخليل، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي والفراء، وأبي زيد، وأبي عبيدة، وأبي عبيد، وابن الأعرابي، والنضر بن الشميل، وابن دريد، ونفطويه، وابن خالويه، والخازرنجي، والأزهري، ومن سواهم من ظرفاء الأدباء، الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء..."[2]، ويحتوي كتاب "فقه اللغة" على ثلاثين بابا، مقسمة إلى حوالي ستمائة فصل.

7- المخصص في اللغة؛ لأبي الحسن علي بن السيده الأندلسي (ت.458هـ): وهو أكبر كتاب وأهم مصنف في المعاجم العربية، ألفه صاحبه على الترتيب الموضوعي، قال "رمضان عبد التواب" في هذا الكتاب: وقد نص ابن سيده في مقدمته على مصادره التي رجع إليها، ووضع في داخل نصه، أسماء

---

1)- رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص 264.

2)- أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وأسرار العربية، شرحه د.ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004، ص 37-38.

الأعلام الذين استخدم مصادرهم في عناية فائقة تبعث على الاحترام والإعجاب، فهو يعزو كل قول إلى صاحبه، ويعلق على هذا القول أو ذاك أحيانا.

ومن مقدمته نرى أنه اعتمد على كثير من الرسائل اللغوية التي ألفها ابن السكيت، وثعلب، وأبو حنيفة الدينوري، والفراء والأصمعي، وأبو زيد وأبو حاتم السجستاني، والنضر بن شميل، إلى جانب جمهرة اللغة لابن دريد وكتاب العين للخليل بن أحمد والبارع للقالي..."[1].

8- كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ من اللغة وغريب الكلام؛ لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل، المعروف بابن الأجدابي (ت.600هـ): وهو كتاب صغير جدا، لم يذكر فيه مؤلفه شيئا عن مصادره، ولم يرد ذكر عالم من علماء اللغة، ما عدا موضعا واحدا، ذكر فيه أبو زيد والأصمعي وأبو عبيدة، وليس في الكتاب إلا شاهدا شعريا واحدا، وقد قصد مؤلفه إلى ذلك قصدا، فهو يريد لكتابه أن يكون صغير الحجم، واضح العبارة، خاليا من التطويل والاستشهاد، ليسهل على طالب اللغة الانتفاع به وحفظه[2].

وبهذا الكتاب نكون قد عددنا معظم ما ألف من المعاجم ذات الترتيب الموضوعي وهناك من جعلها في قالب واحد وأسماها بالمدرسة، ونقرأ في معظم الكتب اللغوية الحديثة "مدرسة المعاني أو الموضوعات".

1)- رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص265-266.

2)- ينظر، المرجع نفسه، ص267.

وقبل الكشف عن أهم الأنظمة التي سارت عليها أهم المدارس المعجمية العربية، لابد من بيان حقيقة حروف المعجم والتي تعرف بحروف الهجاء العربية أو الأبجدية العربية.

لقد أخذ العلماء العرب أحرف الهجاء الفينيقية وفق ترتيبها الذي عرفته، وهي اثنتان وعشرون حرفا فترتيبها مقطعة كما يلي: أ ب ج د، هـ و ز ، ح ط ي ، ك ل م ن ، س ع ف ص، ق ر ش ت، أما الأحرف العربية الزائدة عن هذه فهي الستة التالية: ت خ ذ ض ظ غ، وقد أطلق العرب عليها اسم الروادف لأنهم أردفوها بحروف الكلمات الست الأولى، مؤلفين منها كلمتي: ثخذ، ضظغ، ومجموع هذه الكلمات الثماني يطلق عليه اسم "الأبجدية العربية"[1].

كانت كتابة القرآن الكريم في أول عهدها بحروف خالية من أي إعجام أو شكل، فلما زاد اختلاط العرب بغيرهم من المسلمين وفشا اللحن بينهم، خيف على القرآن الكريم من قراءة غير العلماء له، فقام "أبو الأسود الدؤلي" في زمن معاوية "بن أبي سفيان"، بضبط أواخر الكلم في المصاحف بالنقط، فجعل علامة الفتحة نقطة من فوق الحرف، وعلامة الكسرة نقطة من أسفله، وعلامة الضمة نقطة بين يديه، ونهج الناس هذا النهج، واستعملوا مداد أحمر في النقط مخالفين بذلك لون الحروف.

وبهذا العمل حال "أبو الأسود الدؤلي" دون اللحن الناشئ عما نسميه اليوم "الجهل بالإعراب"، فإنه ما كان ليحول دون تحريف الكلم، نظرا لتشابه كثير

1)- ينظر، د.عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 1994، ص19-20.

من حروف العربية في رسمها، فالجيم كانت تلتبس على القارئ بالحاء أو بالخاء، والدال بالذال، والراء بالزاي، والسين بالشين، والعين بالغين، وكان ممن انتبه إلى هذا الأمر وخشي مغبته "الحجاج بن يوسف الثقفي"(ت.40هـ) أمير العراق في خلافة "عبد الملك بن مروان" (ت.86هـ)، فأمر كتّابه أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات، فيقال إن "نصر بن عاصم" (ت.89هـ) قام بذلك، فوضع النقط أفرادا وأزواجا، وخالف بين أماكنها، فغير الناس بذلك زمانا لا يكتبون إلا منقوطا[1].

وكان "نصر بن عاصم الليثي" (ت.89هـ) جميل الخط يتقن الرسم والتصوير، فمضى بأمر من "الحجاج بن يوسف" يعيد ترتيب الحروف الأبجدية، وأحب أن يجمع بين الحروف المتشابهة، ويلحق كل أخ بأخيه، فأخذ من كلمة "أبجد" حرفيها الأولين، وألحق بثانيهما كلاًّ من التاء والثاء، لتشابه رسمها مع رسم الباء، معجما الباء بنقطة واحدة والتاء بنقطتين، والثاء بثلاث نقط على ترتيب العدد، ثم عاد إلى كلمة أبجد فأخذ الجيم ووضعها بعد الثاء، ثم ألحق بها كلاًّ من الحاء والخاء لأنها متشابهة الرسم، معجما الجيم بنقطة من تحتها، والخاء بواحدة من فوقها، تاركا الحاء مهملة بين شبيهتيها بحكم التناظر، ثم عاد إلى دال "أبجد" فوضعها مهملة بعد الخاء وألحق بها أختها بالرسم الذال بعدما أعجمها بنقطة من فوقها.

وهكذا أنهى "نصر بن عاصم" ترتيبه للحروف الأبجدية إلى أحرف "كلمن" فوضعها بترتيبها في الأبجدية متلاحقة كما هي، بعد أن أعجم النون بواحدة من

---

1)- ينظر، د.عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص 24-25.

فوقها، حتى لا تلتبس بمثل الباء والتاء، ثم ختم ترتيبه لحروف العربية بالباقي منها وهي: الهاء، والواو، والياء، تبعا لترتيبها في حروف الأبجدية، بعد أن أعجم الياء بنقطتين من تحتها، خوفا من التباسها بالباء أو التاء أو النون، إذا ما توسطت الكلمة، تاركا الهاء والواو بلا إعجام لانفراده ما وعدم وجود شبه لأحدهما بين الحروف تستعجمان به[1].

وإذا كان المعجم العربي اليوم مدينا بترتيب حروفه، إلى "نصر بن عاصم الليثي" (ت.89هـ)، فلا بد من الإشارة إلى أن ترتيب نصر لم ينتشر إلا في أواخر القرن الثاني للهجرة، ويرى عدنان الخطيب سبب تأخر انتشاره يعود إلى طبيعة المعاصرة عند الناس آنذاك[2]. ووردت هذه الحروف في التآليف عند العرب بمصطلحات متعددة منها: حروف الأبجدية، حروف الهجاء، حروف الألفباء، حروف المباني، حروف المعجم، وقد عرف "أبو القاسم الزجاجي" في كتابه "إيضاح علل النحو" حروف المعجم بقوله: "حروف المعجم التي هي أصل مدار الألسن عربيها وعجميها"[3]، وهو بقصد نطق جميع الألف بهذه الحروف، ويضيف "السيوطي" (ت.911هـ) معرفا إياها بقوله: "فأما حد حروف المعجم فهي أصوات غير مؤلفة ولا مقترنة ولا دالة على معنى من معاني الأسماء والأفعال والحروف، إلا أنها أصل تركيبها"[4].

---

1)- ينظر، د.عدنان الخطيب: المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص27.

2)- ينظر، المرجع نفسه، ص 28.

3)- جلال الدين السيوطي: كتاب الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتاب العربي، ط1، 1984، ج2، ص16.

4)- المصدر نفسه، 17/2.

أما تسميتها بحروف الأبجدية فهو من الكلمة الأولى (أبجد) وحروف الهجاء نسبة إلى التهجي؛ أي التدرج في النطق وحروف الألفباء نسبة إلى صوتي الهمزة والباء وهما أول الحروف؛ والألفبائية تعريب لكلمة (Alphabet) المصطلح الذي عمّ جميع اللغات التي سارت في كتابتها وفق الأبجدية الفينيقية وحروف المعجم وقد أوضحنا القول فيها سلفا، وحروف المباني، لأن منها يتألف بناء الكلم[1]، ويرى عبد القادر عبد الجليل أن علماء العرب ساروا وفق ثلاثة أنظمة ترتيبية لهذه الحروف:

أولا: نظام الأبجدية (أبجد، هوز، حطي): وقد استخدموا هذا النظام في الحسابات الفلكية والنجوم والطوالع، وسموه حساب "الجمل" حيث منحوا كل حرف من الحروف معدلا رقميا وفق الآتي: أ=1، ب=2، ج=3، د=4، هـ=5، و=6، ز=7، ح=8، ط=9، ي=10، ك=20، ل=30، م=40، ن=50، س=60، ع=70، ف=80، ص=90، ق=100، ر=200، ش=300، ت=400، ث=500، خ=600، ذ=700، ض=800، ظ=900، غ=1000[2].

ثانيا: النظام الهجائي: الذي يتألف من حروف الأبجدية وفق ترتيب آخر: همـــــزة، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي[3].

---

1)- ينظر، د.عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية-دراسة في البنية التركيبية-، دار صفاء، عمّان، ط1، 1999، ص72.

2)- المرجع نفسه، ص73-75.

3)- المرجع نفسه، ص76.

ثالثا: النظام الصوتي: وهو ترتيب هذه الحروف وفق مخارجها، مبتدئين بالأبعد، وهي حروف الحلق حتى حروف الشفة، وهذا النظام أول من اتبعه "الخليل بن أحمد الفراهيدي": ع ح هـ خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط د ت/ ظ ث ذ/ ر ل ن/ ف ب م/ و ا ى، وسيبويه تلميذ "الخليل بن أحمد" يرتب هذه الحروف صوتيا، بترتيب يخالف ما وضعه أستاذه: همزة أ هـ ع غ خ/ق ك/ ج ش ي ض/ ل ر ن/ ط د ت/ ص ز س/ ظ ذ ث/ ف ب م و[1]، وفي هـــــذه الأنظمة الألفبائية، والصوتية، سار ترتيب المعجم العربي، وانتظم في مدارس.

4- المدارس المعجمية العربية:

أولا: مدرسة التقليبات الصوتية: وهي التي اتبعت في ترتيب المعجم مخارج الحروف، بدءا بحروف الحلق، ثم اللسان، ثم الشفتين، ثم حروف الجوف، وهذه المدرسة تضع الكلمة وجميع تقليباتها تحت أبعد الحروف مخرجا، فمثلا مادة (ضرب) وتقليباتها: ضبر، ورضب، ربض، برض، يبحث عنها في باب الضاد، لأنه أبعد الحروف مخرجا في المادة[2].

ورائد هذه المدرسة ومبتكرها "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (100هـ-175هـ) صاحب أول معجم شامل في تاريخ اللغة العربية هو معجم "العين" حيث قال في شأنه "ابن خلدون": "وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركّبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي... ورتب

1)- ينظر، د.عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص76.

2)- ينظر، رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، ص152.

أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب المخارج، فبدأ بحروف الحلق ثم بعده من حروف الحنك ثم الأضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آخر وهي الحروف الهوائية، وبدأ من حروف الحلق بالعين لأنه الأقصى منها، فلذلك سمي كتابه بالعين لأن المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ، ثم بيَّن المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي أكثر لقلة استعمال العرب له لثقله ولحق به الثنائي لقلة دورانه، وكان الاستعمال في الثلاثي أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدورانه وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين"[1].

وقد جمع الخليل في معجمه الكلمات المكونة من أصل لغوي واحد في موضع واحد، مراعيا الجانب الصوتي في الحروف، فهو يبدأ تقليب الأصل اللغوي بأبعد الحروف مخرجا، ثم يتبعه لما يليه في المخرج، ثم الذي يليه، إلى أن ينتهي مخرجه من الشفتين، ومن ثم فهو يبدأ بالحروف الحلقية، ثم يثني بالأحرف الثلاثة (ب ر ع) يكون له تقليبات ستة، فيذكر هذه التقليبات بادئا بالألفاظ التي تبدأ بحرف (العين) لكونه أبعد الحروف الثلاثية مخرجا، حيث يخرج من الحلق فتكون (عرب، عبر) ثم يتبعها بالألفاظ التي تبدأ بحرف (الراء) لكونه من الحروف اللسانية فتكون (رعب، ربع)، ثم يردفها بالألفاظ التي تبدأ بحرف (الباء) لكونه من الحروف الشفوية فتكون (بعر، برع)، وهذه الطريقة تعرف بالتقليبات الصوتية[2].

1)– ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، ط7، 1989، ص 548–549.

2)– ينظر، د.صلاح رواي: المدارس المعجمية العربية نشأتها، تطورها، مناهجها، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1990، ص37–38.

وقد انتهج نهج "الخليل"، فألف معجمه على نظام التقليبات الصوتية، عدد من اللغويين منهم:

1- أبو علي القالي، مؤلف معجم "البارع".

2- الأزهري، مؤلف معجم "تهذيب اللغة".

3- الصاحب بن عباد، مؤلف معجم "المحيط" و معجم "الجوهرة".

4- ابن سيده، مؤلف معجم "المحكم المحيط الأعظم".

وهناك نوع آخر من التقليبات، حيث يتم حسب أول الحروف ترتيبا من الناحية الأبجدية فالأصل اللغوي (ب ر ع) السابق، وتقليباته الستة، توضع تحت أول حرف فيه، فيكون هكذا: برع←بعر، ربع←رعب، عبر←عرب، وقد ابتكر هذه الطريقة وربما تفرد بها "ابن دريد" في معجمه "جمهرة اللغة"[1].

ثانيا: مدرسة الأبنية: وهي تقوم على أنها تراعي في ترتيب الكلمات الحركة إلى جانب الصوت الساكن، فكل كلمة في اللغة لابد أن تتكون من عنصرين هامين: الأول: يسمى الحروف الصامتة: الضاد والراء والباء في ضرب.

والثاني: يسمى الحركات المصاحبة لحروف الكلمة ما عدا الحرف الأخير، وعن طريق هذين العنصرين.

يعرف مثلا أن كلمة فرِج على وزن فعِل بكسر الراء، وأن كلمة عَبرة بفتح العين على وزن فَعلة تختلف عن كلمة عِبرة بكسر العين، فلكل كلمة في اللغة لها وزنها الّذي يميّزها عن باقي المفردات.

---

1)- ينظر، المرجع نفسه، ص38.

وتتناول هذا النوع من المعاجم الوحدات اللغوية في إطار الظواهر الصرفية بشكل عام، وأطلق عليها "عبد القادر عبد الجليل" مصطلح "المعاجم الصيغية" إلى جانب مصطلح "الأبنية" وقسمها إلى مجاميع ثلاث، اعتمدت حصر الألفاظ تحت كل بناء[1]:

- المختصة بأبنية الأفعال.
- المختصة بالمقصور والممدود.
- المختصة بالمذكر والمؤنث.

فمن المجموعة الأولى كتاب "فعلت وأفعلت" لـ"أبي حاتم السجستاني" الذي حقّقه خليل عطية ونشره عام 1979، وكتاب "فعلت وأفعلت" لـ"الزجاج" الذي نشره "محمد بدر الدين" عام 1326هـ ومحققا عام 1368هـ لـ"محمد عبد المنعم الخفاجي"، واختصت هذه المرحلة صيغتين اثنتين من صيغ الأفعال هما "فعل" و"أفعل" وليس كل الأفعال، ولعل السبب فيما يبدو، لصلة هذين البنائين مسألة التعدي واللزوم، فضلا عن كونهما يشكلان مظهرا من مظاهر لهجات القبائل، ويرى "عبد القادر عبد الجليل" في هذين المعجمين تخليطا في المواد وتداخلا في الشرح، وعدم التبويب، السمات البارزة، الذي يمكن ملاحظتها وتسجيلها على كتابي السجستاني والزجاج[2].

أما الكتاب الثالث الذي يتسم بوضوح المنهج والترتيب لمواده فهو ديوان الأدب وهو أول معجم كامل تتبع نظام الأبنية في القرن الرابع الهجري ومؤلفه إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الفارابي المتوفى عام 450هـ..

---

1)- ينظر، د. عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص 53.

2)- المرجع نفسه، ص 54.

وقد قام مجمع اللغة العربية بالقاهرة بطبع هذا المعجم بتحقيق أحمد مختار عمر، وظهر في خمسة أجزاء، جاء الجزء الخامس منها خاصا بالفهارس وقد أثنى عليه العلماء، ووصفوه بأرفع الصفات فسموه: الجامع لديوان الأدب ووصفوه بأنه ميزان اللغة ومعيار العربية[1].

"يعتمد الفارابي في أسس التقسيم، على تسمية كل باب بكتاب: كتاب السالم، وهو الصحيح غير الأجوف، والمثال، والناقص، وكتاب المضاعف، وهو ما كانت العين واللام من جنس واحد، وكتاب المثال، وهو ما كان أوله واو أو ياء، وكتاب ذوات الثلاثة، وهو ما كانت العين إحدى الصوائت، وهو الفعل الأجوف، وكتاب ذوات الأربعة، ما كانت لامه صوت صائت، وهو الناقص، وكتاب المهموز"[2].

وقد اعتمد التشطير، فكل كتاب مقسم إلى شطرين، الأسماء أولا والأفعال ثانيا، والشطر إلى بوابات، حسب التجرد والزيادة، ورتب معجمه ترتيبا هجائيا، معتمدا الحرف الأخير، دون الأول، "وألّف ابن القوطية (ت.367هـ)، محمد بن عبد العزيز، كتاب الأفعال، الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام هي: فعل، وأفعل، والرباعي، والأفعال الثلاثية خاصة ورتب الأفعال كل قسم على الترتيب الهجائي الذي اختاره، ويتسم منهجه بالاضطراب، والصعوبة، ووعورة المسلك في البحث"[3].

1)- ينظر، د. رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعاجم، ص155.

2)- د. عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص55.

3)- د. عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص 55.

وصنّف"السرقسطي سعيد بن محمد المعاقري"(ت.400هـ)، كتاب "الأفعال" الذي حققه "حسين شرف" وصدر عام 1975-1980 عن مجمع اللغة العربية.

كما اعتمد "السرقسطي" على "ابن القوطية" في بناء كتابه، ولكنه اعتمد الترتيب الصوتي في ترتيب مواده وهو كالآتي: الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الضاد، الجيم، الشين، اللام، الراء، النون، الطاء، الدال، التاء، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الذال، الثاء، الفاء، الباء، الميم، الواو، الياء، ويلاحظ على منهج المؤلف الاضطراب والتشعبات في التقسيم، مما يولج الباحث في متاهات ويرهقه أكثر مما يفيده[1].

وثالث هذه الكتب: كتاب الأفعال لـ"ابن القطاع أبو القاسم علي بن جعفر السعدي" (ت.515هـ) طبع في حيدر آباد سنة 1360هـ؛ ويدور هذا الكتاب في فلك "ابن القوطية"، على الرغم من تصريحه في المقدمة على عيوبه التي كانت سبب وراء تأليف الكتاب.

اتبع "ابن القطاع" تقسيم كتابه على عدد حروف الهجاء، ورتبه على الترتيب الهجائي المعروف، والكتاب يخلو، إلا ما ندر من التشعبات والتقسيمات التي نلحظها عند سابقيه، وأبوابه في: فعل وأفعل، والثنائي المضعف، والمهموز، والمعتل، والثنائي المكرر، والرباعي الصحيح، والخماسي والسداسي.

ومن كتب هذا الباب، كذلك كتاب "شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم"، لـ"نشوان بن سعيد بن نشوان اليمني" من علماء القرن السادس الهجري

---

1)- المرجع نفسه، ص56.

قسّم المؤلف كتابه على عدد حروف الهجاء، مرتبة حسب النظام الألفبائي المعروف[1].

أما كتب المقصور والممدود، فهي مما يختص بأبنية الأسماء، موضوع أولاه القدماء اهتماما خاصا، ومن مصنفات هذا النوع من المعاجم:

1- كتاب المقصور والممدود للفراء (ت.207هـ).

2- كتاب المقصور والممدود لأبي علي القالي (ت.356هـ).

3- كتاب المقصور والممدود لابن ولاد (ت.332هـ)[2].

وفي مؤلفات الأبنية الخاصة بالأسماء، تناولت موضوع التذكير والتأنيث في الأسماء والأفعال والنعت قياسا وحكاية.

- التذكير والتأنيث لأبي حاتم السجستاني تحقيق إبراهيم السامرائي.
- التذكير والتأنيث لأبي حاتم سهل بن محمد تحقيق ابتسام مرهون.
- المذكر والمؤنث لابن بكر الأنباري تحقيق طارق الجنائي.
- المذكر والمؤنث لأبي العباس المبرد تحقيق رمضان عبد التواب.
- المذكر والمؤنث لابي موسى الحامض تحقيق رمضان عبد التواب.
- المذكر والمؤنث ليحيى بن زياد الفراء تحقيق مصطفى الزرقا[3].

ثالثا: مدرسة القافية: وهذه المدرسة تقوم على تجريد الكلمة من الزوائد، والاعتماد على أصولها، وجعل الحرف الأخير بابا، والحرف الأول فصلا، مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع، فمثلا كلمة "أخذ" نبحث عنها في باب الذال،

1)- ينظر: عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص 56-57.

2)- المرجع نفسه، ص 57.

3)- ينظر، عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص 57-58.

فصل الألف، ورائدها ومبتكرها "أبو بشر اليمان البندنيجي" (ت.284هـ)، وهي تعتمد على الحرف الأخير من الأصل اللغوي مما يطلق عليه العروضيون اسم (القافية)، ويرى "رجب عبد الجواد إبراهيم" أن مبتكر هذه المدرسة ورائدها الجوهري؛ قال: "ورائد هذه المدرسة هو أبو منصور إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب معجم: تاج اللغة وصحاح العربية والمشهور بالصحاح، وهناك من الباحثين من اعتبر أبا بشر بن اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ت.284هـ) صاحب كتاب: التقفية في اللغة هو رائد مدرسة القافية لأنه توفي قبل الجوهري بنحو مائة عام تقريبا"[1].

ومن أهم عيوب هذه المدرسة، صعوبة البحث عن الكلمة التي يكون آخرها واوا وياء، ولعل هذا هو الذي حمل الجوهري على أن يجمع الواوي والبائي في باب واحد واقتدى به في ذلك الفيروز آبادي في القاموس المحيط، ومرتضى الزبيدي في تاج العروس ومن أشهر أتباع هذه المدرسة بعد البندنيجي والجوهري في هذا الترتيب عدد من اللغويين منهم:

- الفارابي مؤلف معجم (ديوان الأدب).
- الصاغاني مؤلف معجم (العباب الزاخر).
- الزنجاني مؤلف معجم (تهذيب الصحاح).
- ابن منظور مؤلف معجم (لسان العرب).
- الفيروز آبادي مؤلف معجم (القاموس المحيط).
- الزبيدي مؤلف معجم (تاج العروس).

1)- د.رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، ص 156.

▪ الرازي مؤلف معجم (مختار الصحاح)[1].

رابعا: مدرسة المعاجم الدلالية: لقد تناولت المعاجم الدلالية مستوى معينا من مستويات اللغة العربية، حيث اتجهت في مسارها لوحدات لغوية محددة، وركزت نشاطها في البحث والكشف عن أسرارها من الوجهة الدلالية مصنفة إيّاها هجائيا، خدمة لغرض ديني وآخر لغوي، وقد ضمت هذه المعاجم الأنواع الأربعة الآتية[2]:

أ- معاجم ألفاظ القرآن الكريم: مثل معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (ت.502هـ) وقد صدر في بيروت عام 1972 بتحقيق نديم مرعشلي.

- و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت. 213هـ) حققه فؤاد سزكين، وكذلك "تفسير غريب القرآن" لابن قتيبة (ت. 276.هـ).

- و"قاموس القرآن" لزين العابدين سجاد صدر في عام 1954 باللغة الأوردية ويتعرض بالشرح للألفاظ الصعبة والغريبة في القرآن الكريم مع إسهاب في شرح دلالاتها.

- رسالة الكلمات غير العربية الواقعة في القرآن الكريم، وجمع وتصنيف حمزة فتح الله صدر في القاهرة عام 1902، وقد اعتمد الترتيب الهجائي دون مراعاة الأصول وغيرها من المؤلفات من هذا النوع[3].

---

1)- د. صلاح رواي: المدارس المعجمية، ص 38-39.

2)- ينظر، د.عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص 41.

3)- ينظر، عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص 42-43.

ب- معاجم ألفاظ الحديث: سجل علماء اللغة العرب القدماء كأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي والأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة سبقا تأليفيا في هذا الجانب، على الرغم من عدم الالتزام في الشرح والتفسير، والترتيب الهجائي المعروف، الذي لم يتبع إلا في بداية القرن السادس الهجري، ويغلب على هذه التآليف شرح عام، وفق مجريات الأحاديث موضوعيا، مراعاة لدلالة الألفاظ، والبعض ممن ألف في هذا الباب رتّب الكتب على الأساس الهجائي للحرف الأول فقط[1].

ومن مصنفات هذا الباب:

- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري (ت.606هـ)، ويعد هذا المعجم مجموع معجمين هما: معجم أبي عبيد الهروي لألفاظ الحديث، ومعجم أبي موسى الأصفهاني، وهما من رجال القرن الرابع الهجري، رتب ابن الأثير مؤلفه وفق أوائل الحروف دون مراعاة للزوائد والأصول، وصدر في القاهرة بين عامي 1963-1965.

- الفائق في غريب الحديث للزمخشري حيث رتبه على وفق منظور الأبجدي للحرفين الأول والثاني مهملا الحرف الثالث، ويبدو أنه بسبب وضع الحرف الأول الذي يحدد باب الوحدة اللغوية، والفصل الذي يحدده الحرف الثاني، صدر بتحقيق محمد ابن الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي في القاهرة عام 1366هـ.

1)- ينظر، المرجع نفسه، ص 44-45.

- وهنـاك مؤلفـان للنظـر بـن شميـل (ت.213هــ) وأبي عمـرو الشـيباني (ت206ه) ومحمد بن المستنير (قطرب) (ت.216ه) وأبي زيد الأنصاري[1].

ج- معـاجم المصـطلحات العلميـة العربيـة: وقـد ضـم هـذا الصـنف مـن المعاجم عددا من التأليف نذكر منها:

- التعريفات: لأبي الحسن علي بن محمد الجرجاني (ت.816ه) وصدر في تونس عام 1971.

- كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي التهانوي: يعد المعجم العربي أثرا كبيرا في ميدان المصطلحات العلمية، والفاروقي التهانوي هندي الأصل، صرف غايته في وضع هذا المعجم الدلالي، واضعا في فكره أنه إذا كانت البادية وأعرابها مصدر للشعر واللغة في القرن الثاني للهجرة، فإن الحواضر، بدءا من القرن الثالث للهجرة صعودا، ومع التنوع والاتساع في الميادين العلمية، أوجدت هذه المصطلحات، تلبية لاحتياجاتها المادية والمعنوية في حياتها ولمسايرة التطور الحاصل للحضارة الإسلامية[2].

د- معـاجم المعرب والـدخيل: ومـن أشـهر مـن ألـف في هـذا البـاب أبـو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت.540ه) من علماء الحديث وفنون الأدب ومعجمه هو "المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم" الذي حققه ونشره أحمد محمد شاكر في القاهرة عام 1969، "من أوفر الكتب التي صنفت الألفاظ الأعجمية المعربة حتى زمن المؤلف، وقد أوضح المنهج والغاية، مفصحا أنه بحث في

1)- ينظر، عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص45.

2)- ينظر، د.عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية، ص 46.

الألفاظ الدخيلة الوافدة من اللغات غير العربية، التي شقت طريقها إلى القرآن الكريم وسير الرسول ﷺ وصحابته، وفي شعر العرب وأخبارها، ومن هذه اللغات الفارسية والنبطية (الآرامية)"[1].

ونظرا لصعوبة المسلك، باعتماد الترتيب الهجائي، لما يتطلبه من إخضاع لموازين العربية، مما لا يأتي والألفاظ الدخيلة، فقد اعتمد كل حروف الكلمة، ولذا خرج عن مسلك المعجميين، ولاقت الوحدات المؤلفة بهذا المعجم شروحا دلالية واشتقاقية وافرة.

– شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل لشهاب الدين الخفاجي صدر في القاهرة عام 1325هـ وهناك طبعات أخرى بتحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي صادرة من المكتبة الأزهرية للتراث، وطبع أيضا من دار الكتب العلمية ببيروت بتحقيق محمد كشاش 1998م، وهذا المعجم سيكون موضوع دراستنا في هذا البحث بإذن الله تعالى.

– ومن تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل لطه باقر، صدر ببغداد عام 1980م، ويعد من أوفر ما كتب في هذا الباب تأصلا، وما عرف في ميدان المعرب والدخيل[2].

وقال زكي قاسم في شأن هذا المعجم: "ولعل المحاولة التي قام بها الباحث العراقي (طه باقر) في كتابه "ومن تراثنا اللغوي القديم..." أفضل ما عرفته العربية من مباحث في هذا النوع من المعاجم حتى الوقت الحاضر"[1].

---

1)– المرجع نفسه، ص 47.

2)– ينظر، د.عبد القادر عبد الجليل: المدارس المعجمية،.ص47.

هـ- معاجم الأضداد: هي معاجم تشتمل على ما جاء في اللغة العربية من ألفاظ تقع على الشيء وضده في المعنى، وهذه الألفاظ الأضداد قليلة معدودة في كلام العرب، ولا ينتظم الأضداد -فيما بين أيدينا من كتب لها-؛ أي ترتيب إنما تسرد سردا، باستثناء كتاب "الأضداد" لأبي الطيب اللغوي إذ أن الأضداد فيه مرتبة على حروف المعجم، وهو أول كتاب في الأضداد يتبع فيه مؤلفه هذه الطريقة، على أن أبا الطيب لم يلتزم هذه الطريقة التزاما دقيقا في ترتيب الألفاظ الداخلة في باب حرف من حروف المعجم، وإنما أورد الألفاظ في كل باب كيفما اتفق له الأمر من غير أن يراعي ترتيب الألفاظ حسب حروف موادها الأصلية[2].

وقد ألف في هذا الموضوع كتبا عدة، ألفها علماء كبار من علمائنا الأقدمين نذكر منهم: "أبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي" (ت.212هـ)، و"أبا حاتم سهل بن محمد السجستاني"، و"أبا يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت" (ت.244هـ)، و"أبا علي محمد المستنير المعروف بقطرب" (ت.206هـ)، و"ابن الأنباري" (ت.327هـ)، و"أبا الطيب اللغوي" (ت.351هـ) و"ابن الدهان" (ت.569هـ)، و"الصاغاني" (ت.650هـ) لكن يبقى كتاب "أبي الطيب اللغوي": الأضداد في كلام العرب من أفضل ما كتب في هذا الموضوع، لما فيه من شواهد موثقة، وعبارات صحيحة[3].

---

1)- د.رياض زكي قاسم: المعجم العربي، بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، دار المعرفة بيروت، ط1، 1987، ص 26.

2)- ينظر، المرجع نفسه، ص 27-28.

3)- ينظر، رياض زكي قاسم: المعجم العربي، ص28.

و- معاجم الإبدال: وهي معاجم تشتمل على ما جاء في اللغة العربية من كلمات تميزت بأن كل اثنين منها تعبران عن معنى واحد، ولا يختلف لفظهما إلا في حرف واحد، نتيجة تطور صوتي حدث للكلمة على مر العصور، أو نتيجة فارق لهجي بين منطقتين لغويتين في الجزيرة العربية أو نتيجة التصحيف والتحريف اللذين عرفتهما العربية بعد رسم النقط والحركات، وقد كتب أبو يوسف بن السكيت في هذا الموضوع، رسالة سماها "القلب والإبدال" جمع فيها نحو 300 كلمة وجاء من بعده أبو الطيب اللغوي في كتابه "الإبدال" وقد نشر هذا الأخير في جزئين[1]، وبشكل عام فكل اتجاه من اللفظ إلى المعنى يندرج في المعجم اللغوي، أما الشكل المعاكس، المتجه من المعنى إلى اللفظ المقابل فهو معجم المعاني.

خامسا: مدرسة الأبجدية العربية: وهي التي اتخذت ترتيب المعجم على الحروف الهجائية، مبتدئة بالهمزة منتهية بالياء مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرابع، ويعد أبو عمرو الشيباني (94-206هـ) هو رائد هذه المدرسة بمعجمه "الجيم"، وقد كان الشيباني معاصرا للخليل بن أحمد ولكنه لم يسلك دربه، بل ارتاد سبيلا أخرى حيث اعتمد على الأبجدية العادية: أ، ب، ت، ث، ج، ح،...الخ ولكنه لم يراعي في الترتيب إلا الحرف الأول فقط، ولم يعتد بالحرف الثاني أو الثالث، فهو يذكر في باب الهمزة كل حرف مبدوء بها دون أن يراعي ما بعدها من حروف في الترتيب، فهو قد ذكر في باب الهمزة هذه الكلمات على هذا الترتيب الأوق، الألب، الأفق، الأزوح، المأموم، وآخر كلمة ذكرها في هذا الباب هي: الإدة مع أن حقها أن نذكر قبل أول ذكرها في معجمه، ولهذا السبب

1)- ينظر، المرجع نفسه، ص 28، 29.

لم تنسب المدرسة إليه وإنما نسبت إلى أبي المعاني محمد بن تميم البرمكي الذي قام بترتيب صحاح الجوهري على حروف الهجاء المعروفة مراعيا الحرف الثاني أو الثالث والرابع من الكلمة[1]. ومن أشهر أتباع هذه المدرسة:

1- أحمد بن فارس في معجمه "مقاييس اللغة"، ومجمل اللغة.

2- الزمخشري (ت.538هـ) مؤلف معجم أساس البلاغة.

3- محمد بن عبد القادر الرازي (ت.760هـ) صاحب مختار الصحاح، وهو اختصار لصحاح الجوهري.

4- أحمد بن محمد الفيومي (ت.772هـ) صاحب معجم المصباح المنير.

5- المعلم بطرس البستاني... مؤلف معجم "محيط المحيط في اللغة واصطلاحات العلوم".

6- الشرتوني... مؤلف معجم "أقرب الموارد في فصيح العرب والشوارد".

7- الشيخ عبد الله البستاني... مؤلف معجم "البستاني".

8- الأب إلياس معلوف... مؤلف معجم "المنجد".

9- منير البعلبكي... مؤلف كتاب "المورد".

10- مجمع اللغة العربية بالقاهرة... مخرج "المعجم الوسيط"[2].

5- بنية المعاجم العربية:

تتشكل بنية المعاجم العربية من ثلاثة عناصر أساسية مهما كان نوعها؛ لغوية، أو موسوعة، أو مختصة وهي كالآتي:

1)- ينظر، د.رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات للدّلالة والمعجم، ص 157.

2)- ينظر: د.صلاح رواي، المدارس المعجمية، ص 39، 40.

1- جمع الرصيد المفرداتي: يرتبط عدد مفردات اللّسان بتعدد شؤون المتكلمين وتشعب حاجاتهم الاجتماعية، وتكوّرهم الحضاري والتقني، وتبعا لذلك فإنّ وظيفة المعجم تتغيّر من مدينة إلى أخرى وتظلّ غير قارّة، متأثّرة بعاملين مهمين هما:

أ- عامل الزمان: فالمعارف تتطور واللّسان أبدًا يواكب هذا التطور.

ب- عامل الحاجة: وهو عامل يجعل المعجم تابعًا لحاجة الناس من الباحثين والقرّاء.

وبذلك تتحدّد نوعية رصيد الوحدات المعجمية أو الرصيد المفرداتي المتمثل في الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية، وتتحدّد حجمه من حيث الكفاية المفرداتية والدلالية؛ فتاج العروس للزبيدي (ت.1205هـ) مثلاً تضمّن أكثر من 120 ألف مدخل، ولسان العرب لابن منظور احتوى على 80 ألف مدخل، والمعجم الوسيط لمجمع اللّغة العربية في القاهرة ضمّ 46000 مدخل والمقصود بالمدخل هنا؛ هو الصيغة اللّغوية المستقلّة التي تصحّ أن تقع مفردة برأسها في المعجم، وهو الكلمة المراد تعريفها[1].

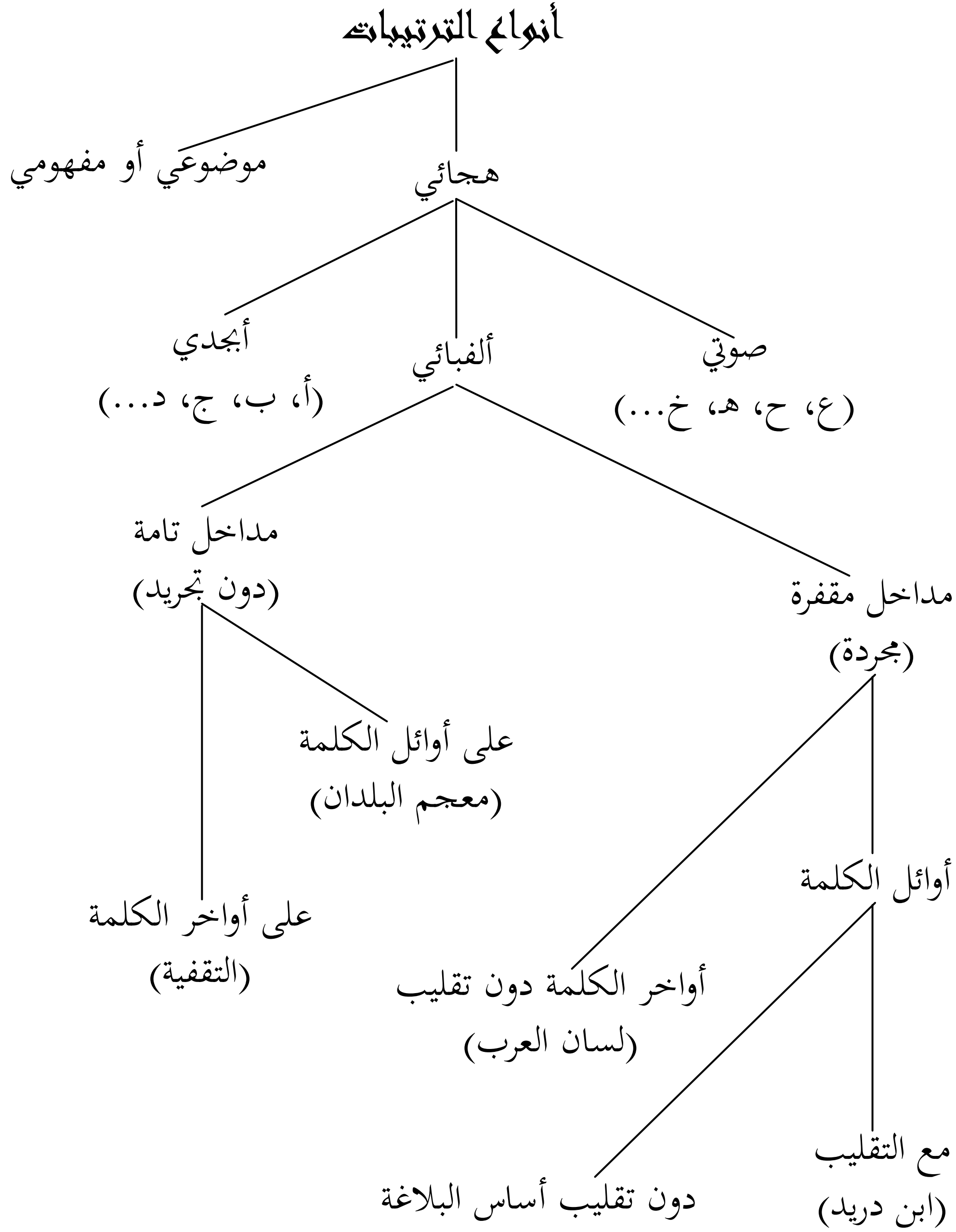
2- الوضع: ويقصد به ترتيب المداخل وفق نظام معين، وقد سلك العرب مناهج متباينة في ترتيب معاجمهم كما أسلفنا الذكر، حتى كادوا أن يأتوا على جميع الاحتمالات، فظهر عندهم منذ البداية ترتيبان منطقيان هما الترتيب الموضوعي أو

1)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، ط1، 1997، ص20-21.

كما يسميه حلام الجيلالي الترتيب المفهومي، وهو نظام ترتب فيه المداخل وفق حقول دلالية موضوعية، والترتيب الهجائي الّذي يوزع المداخل وفق حروفها.

وقد تولّدت عن هذا الترتيب عدّة أنواع من الترتيبات يمكن إجمالها في المخطط الآتي[1]:

1)- المرجع نفسه، ص22-23.



ولقد سلك القدماء في ترتيب الحروف الهجائية أشكالاً وأنماطًا متباينة ألفبائية وأصواتية أبجدية، وداخل هذه الأشكال نلاحظ اختلافا بين المشارقة والمغاربة كما يتّضح من الجدول التالي[1]:

1)- حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص25.

أنواع ترتيب حروف الهجاء

الترتيب الأبجدي وقيمة الحرف				الترتيب الألفبائي			الترتيب الصوتي		
العربية القديمة	المشرق العربي	المغرب العربي	قيمة الحرف	نصر بن عاصم	المغرب العربي	الأندلس	الخليل	سيبويه	القالي
أ	أ	أ	1	أ	أ	أ	ع	ا/ء	ء/هـ
ب	ب	ب	2	ب	ب	ب	ح	هـ	ع
ج	ج	ج	3	ت	ت	ت	هـ	ع	ح
د	د	د	4	ث	ث	ث	خ	ح	غ
هـ	هـ	هـ	5	ج	ج	ج	غ	غ	خ
و	و	و	6	ح	ح	ح	ق	خ	ق
ز	ز	ز	7	خ	خ	خ	ك	ق	ك
ح	ح	ح	8	د	د	د	ج	ك	ج
ط	ط	ط	9	ذ	ذ	ذ	ش	ج	ش
ي	ي	ي	10	ر	ر	ر	ض	ش	ض
ك	ك	ك	20	ز	ز	ز	ص	ي	ص
ل	ل	ل	30	س	ط	ط	س	ض	س
م	م	م	40	ش	ظ	ظ	ز	ل	ز
ن	ن	ن	50	ص	ك	ك	ط	ن	ط
س	س	س	60	ض	ل	ل	ت	ر	ت
ع	ع	ع	70	ط	م	م	ذ	ط	د
ف	ف	ف	80	ظ	ن	ن	ظ	د	ظ
ص	ص	ص	90	ع	ص	ص	د	ت	ذ
ق	ق	ق	100	غ	ض	ض	ث	ز	ث
ر	ر	ر	200	ف	ع	ع	ر	س	ر
ش	ش	س	300	ق	غ	غ	ل	ص	ل
ت	ت	ت	400	ك	ف/ف	ف	ن	ظ	ن
ث	ث	ث	500	ل	ق/ف	ق	ف	ذ	ف
خ	خ	خ	600	م	س	س	ب	ث	ب
ذ	ذ	ذ	700	ن	ش	ش	م	ف	م
ض	ض	ظ	800	هـ	هـ	هـ	و	ب	و
ظ	ظ	غ	900	و	و/لا	و	ي	م	ا
غ	غ	ش	1000	ي	ي/ء	ي	ا/ء	و	ي

3- التعريف: يقصد بالتعريف (La définition) التحليل الدلالي للمدخل أو الكلمة المقصود شرحها، ويتكون من عدّة شروح معنوية، يختلف كلّ تفسير عن الآخر، ويشكّل معنى أو مصطلحا معجميًا متداولاً، ويتخذ المعجم في تعريب المداخل وتوضيحها مجموعة من المناهج والوسائل لتعريف المداخل ويتشكل التعريف من عدّة مستويات تختلف من معجم إلى آخر(1).

أ- مستويات التعريف: تختلف مستويات التعريف من حيث حجم المعلومات من معجم إلى آخر، فإن كان المعجم ثنائي اللّغة يكتفي بذكر المقابل اللّفظي؛ فإن المعجم اللغوي يوفر مجموعة من المعلومات الخاصة بالنظام اللّساني، والتوضيح الدلالي، والتأثيل، والتأريخ، ومجال الاستعمال، ويرى "حلام الجيلالي" أن مستويات التعريف في أي معجم لا تخرج عن الحدود والسمات التالية:

- معلومات لغوية تتّصل بالنظام اللّساني وتشمل النطق والرسم الإملائي والصيغة الصرفية والعلاقات النحوية.

- معلومات دلالية تتّصل بمعنى المدخل آنيًا وتطوريًا، بما في ذلك الدلالة المركزية والدلالة السياقية.

- معلومات عامة ثقافية، وحضارية تتصل بالتأثيل والتأريخ ومستوى الاستعمال ومجالاته.

- إطاره البيداغوجي العام، يزوّدنا بالنسبة لكل وحدة معجمية أو مفرداتية بصورها الصوتية المجردة وكذلك بالخصائص الدلالية التي ترتبط بها(2).

ب- مناهج التعريف: ليس هناك منهج معيّن يتوقف عليه المعجم، في تعريف المداخل، فكلّ منهج وكلّ طريقة توصلنا إلى معنى الوحدة المعجمية بسهولة

1)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص26.

2)- ينظر: المرجع نفسه، ص26-27.

ووضوح فهي طريقة مقبولة ومحبّذة، قال حلال الجيلالي: "وتستثمر المعاجم اللّغوية بخاصة أكثر من عشرين منهجا"[1]، وهذه المناهج موزعة في تصنيفات سنتعرض لها في الفصول اللاحقة.

جـ- وسائل التعريف: والمقصود بالوسيلة كل ما ساعد التعريف على توضيح المعنى وتقريب الفهم، ومن أهم الوسائل التي يستعين بها التعريف، السياقات اللّغوية والشواهد المقيدة والصّور والرسوم التوضيحية والرّموز والمختصرات[2].

6- المعاجم العربية القديمة بين التقسيم المدرسي والنظرية المعجمية:

لقد سبق وأشرنا إلى أهم المدارس المعجمية العربية القديمة مستندين في ذلك على أهم الدراسات العربية الحديثة التي عالجت أهم القضايا المعجمية العربية، والملاحظ عليها أنّها اتخذت التقسيم المدرسي منهجا لها وأساسا في تأليف بعض الكتب والأبحاث في المعجمية، في صنّفت المعاجم العربية إلى مدارس، ومحاولة إيجاد القواسم المشتركة للربط بين مجموعة من المعاجم لإدراجها في مدرسة واحدة، ويرى حلام الجيلالي أن كثيرًا ما كانت سمة المدرسة عند هؤلاء الدارسين لا تتجاور الجانب التطبيقي المتجسّد في الترتيب الشكلي لمداخيل المعجم، ولم تكد تصل إلى العمق النظري المعجم، وصلة ذلك بنظرة المعجمي إلى اللّغة، وعلاقة ذلك بجمع المادة اللغوية وترتيبها وتعريفها وضبط دلالتها.

1)- حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص27.

2)- ينظر، المرجع نفسه، ص28.

ولعلّ ذلك السبب هو ما جعل جل دراساتهم تقليدية لا تستند إلى نظريات علم اللّسانيات الحديث الّذي يؤكّد على الربط بين النظرية والتطبيق، وعلى صلة النظرية المعجمية بالبعد الفكري والاجتماعي للمعجمي؛ إذ لاشكّ في أن لكلّ معجمي خلفيات فكرية، واتّجاهات فكرية مذهبية تشكّل لديه بعدًا نظريًا يكون له الأثر المباشر في بنية معجمه من حيث الجمع والوضع والتعريف[1].

ونظن إنّ إغفال بعض الدّارسين المحدثين للجانب النظري الفكري للمعجمين القدماء سببه اعتقادهم وإيمانهم بفكرة التقليد عند المعجميين القدماء في تأليفهم المعجمي، قال محمد أحمد أبو الفرج: "هناك ظاهرة عامة واضحة في المعاجم العربية، نحب أن نلفت النّظر إليها هنا، وهي أن المتأخرين اعتمدوا على السابقين لهم عامة إلى حدّ بعيد، ورغم ذلك فقد كان هناك تميّز في المعاجم سنشير إلى بعضها على طول دراستنا هذه، ولكن الروح العامة كانت روح التقليد، فعندما ألف ابن دريد معجمه الجمهرة بعد تأليف الخليل للعين، وحاول أن يرتب الألفاظ فيه بطريقة مختلفة لاعتقاده أن ترتيب العين كان صعبًا على الدارسين اعترف بالتبعية له فقال عنه، "وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد"[2].

ويعدّ التقسيم المدرسي للمعاجم العربية، تقسيم وصفي قديم في الدراسات العربية يتخذ ترتيب المداخل المعجمية أساسا له، وقد أخذ به جل الدارسين المحدثين، فذهب "حسين نصار" إلى تقسيم المعاجم العربية إلى أربع مدارس هي:

---

1)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص33.

2)- محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديثة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ط، 1966م، ص27. وينظر: جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، المكتبة العصرية صيدا، 1987، ج1، ص94.

– مدرسة الترتيب المخرجي: ويضع فيها كتاب العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت.175هـ)، والمحيط الصاحب بن عباد (ت.385هـ)، والمحكم لابن سيده (ت.458هـ).

– مدرسة الترتيب الألفبائي على أول الكلمة: ويدرج تحتها كلاًّ من: جمهرة اللّغة لابن دريد (ت.321هـ) وكتابي مقاييس اللّغة والمجمل لأحمد بن فارس (ت.375هـ).

– مدرسة الترتيب الألفبائي في آخر الكلمة: ويدرج تحتها الصحاح للجوهري (ت.400هـ) والعباب للصاغاني (ت.650هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت.711هـ)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (ت.817هـ)، وتاج العروس للزبيدي (ت.1205هـ).

– مدرسة الترتيب الألفبائي بدون تقليب: ويضع تحتها كلاً من "أساس البلاغة" للزمخشري (ت.538هـ)، ومعاجم اليسوعيين، كالمنجد للويس معلوف (1946م)، وأقرب الموارد للشرتوني (1919م) وغيرهما، ومعاجم المجمع اللّغوي في القاهرة كالمعجم الوسيط والمعجم الكبير.

ويتبع عدنان الخطيب التقسيم السابق نفسه مع إضافة كتاب الحروف للشيباني (ت.206هـ)، و"المصباح المنير" للفيومي (ت.770هـ) إلى رمز معاجم مدرسة الترتيب الألفبائي بدون تقليب، وضاق ديوان الأدب للفارابي (350هـ) إلى مدرسة الترتيب الألفبائي على آخر الكلمة[1].

ويضع أحمد مختار عمر المعاجم العربية ضمن ثلاث مدارس فقط وهي:

---

1)– ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص34–35.

- مدرسة الترتيب المغربي: ويضع تحتها كلاّ من العين، والبارع، وتهذيب اللّغة والمحيط، ومختصر العين للزبيدي (ت.382هـ).

- مدرسة الترتيب الألفبائي على أول الكلمة: ويضمنها كلاّ من: الجمهرة، ومقاييس اللّغة، وأساس البلاغة.

- مدرسة الترتيب الألفبائي على أواخر الكلمة: ويضع فيها الصحاح، والعباب، ولسان العرب، وتاج العروس[1].

ويرى حلام الجيلالي أنّه ليس هناك أيّ رباط فكري أو نظري، يربط بين المعاجم التي يجعلها حسين نصار تنتمي إلى مدرسة واحدة، لأن الترتيب الشكلي للمداخل يظلّ تابعا للتأسيس النظري للمعجم وليس العكس، وهذا يجعل الترتيب الشكلي ذاته في حاجة إلى تبرير في بعض المعاجم التي وضعها في مدرسة واحدة كالجمهرة ومقاييس اللغة مثلاً، والملاحظة نفسها تقال إلى تقسيمات كل من "عدنان الخطيب" و"أحمد مختار"، و"عز الدين إسماعيل"...الخ[2].

ونستنتج من هذا كلّه أن الشيء الوحيد الّذي اعتمده معظم الدارسين المحدثين في تقسيماتهم للمعاجم إلى مدارس هو طريقة ترتيب المداخل ويرى في ذلك حلام الجيلالي أنّه لا يرقى إلى أن يكوّن مدرسة حقيقية من حيث التأسيس النظري؛ لأن المدرسة في تعريفها تطلق على جماعة من الباحثين تعتنق مذهبًا واحدًا، والمذهب في تعريفه: مجموعة مبادئ وآراء متّصلة ومنسّقة لفكر أو مدرسة،

---

1)- ينظر، المرجع نفسه، ص35.

2)- ينظر، المرجع نفسه، ص37.

وبــذلك تكــون المدرســة وليــدة عــدد مــن الأشــخاص في زمــن معــيّن أو أزمنــة متلاحقة[1].

ويبدو أن التأسيس العلمي للمدرسة في مجال المعجمية أقرب إلى النظرية التي هي: "فرض علمي يربط عدّة قوانين بعضها ببعض، ويعيدها إلى مبدأ واحد يمكن أن نستنبط منه حتما أحكامًا وقواعد"[2].

ونستنتج من هذه التعاريف، أن المدرسة تتشكل نتيجة عدّة عوامل من أهمها:

- اتّجاه فكري أو مذهبي في علم واحد يؤمن به أصحاب هذه المدرسة أو تلك.

- عمق نظري يتباين مع نظريات أخرى مغايرة، ويؤدّي إلى استنباط أحكام وقواعد.

- مواكبة زمنية ومكانية، تطول أو تقتصر، تتسع أو تضيق حسب عمر هذه الأفكار، وحسب الضرورة الاجتماعية الداعية إلى تلبية حاجات النّاس[3].

أما إذا أردنا أن نميّز بين أهم المعاجم وفق النظريات الموظفة عبر المسار التطوّري للمعجم، فيمكن أن نتوقف لاستقراء أهم المحطات الكبرى للمعاجم العربية وهي:

1- مرحلة المعاجم الابتكارية: وتعدّ معاجم هذه المرحلة المرجع الأساسي للّسان العربي الفصيح، وحتى قبيل نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

---

1)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص38.

2)- أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، عالم الكتب، ط4، 1982، ص160.

3)- ينظر، حلام الجيلالي: المرجع السابق، ص38-39.

وقد سار الرصيد اللّغوي لهذه المرحلة طبيعيا، وخضع لناموس التطور والنمو منذ العصر الجاهلي، واستجاب لأكثر مستجدات العصر الإسلامي في الألفاظ والدلالات المولّدة غالبًا، كما اكتملت أهم النظريات المعجمية المبتكرة في هذه المرحلة[1].

ويظهر من خلال هذه المرحلة بروز أهم النظريات المعجمية المبتكرة نجملها فيمايلي:

أ- نظرية العين الصوتية: وهي نظرية شمولية تترصد الظاهرة اللّغوية، وتحاول حصر الطاقة التوليدية للغة، وذلك بما يمكن حصره وتشكيله من ألفاظ وكلمات في حدود الحروف الهجائية العربية بطريقة رياضية، ثم التمييز المستعمل من المهمل والفصيح من الدخيل عن طريق الصوت قبل السماع أو الرواية في الغالب.

ويعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أول مبتدع لهذه النظرية المعجمية ساعدته في ذلك عدّة عوامل إلى استنباط هذه النظرية، ويرى حلام الجيلالي أن أهم هذه العوامل هي فكرة اعتقاده بنظرية المحاكاة في نشأة اللّغة، وهي نظرية تكاد تتفق وميولاته المعتزلية التي تحكّم العقل[2].

ب- نظرية جمهرة اللغة: وهي نظرية تقوم على أساس إثبات الشائع من اللّغة، أو ما يعبّر عنه بالآني المستقر أو السنكروني (Synchronique) مع أبعاد المهجور والحوشي والمستنكر والغريب.

1)- حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص41.

2)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري ، ص42.

ويتضح من هذه النظرية كانت على يد اللّغوي أبي بكر محمّد بن ابن الحسن بن دريد (ت.321هـ) في كتابه (جمهرة اللّغة)؛ قال في مقدمة معجمه: "وإنّما أعرناه هذا الاسم، لأنّ اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشي والمستنكر والله المرشد للصواب"[1].

والملاحظ على ابن دريد تسجيله للرصيد اللّغوي الشائع، فهو لا يحاول حصر كل ما تكلّمت به العرب كما فعل الخليل، بل يسجّل المشهور منه، ولو كان غير صحيح، كما اعتنى عناية كبيرة بالمعرّب والدخيل، حتى أن مصطلح "دخيل" ينسب إلى ابن دريد، قال ابن منظور: "كلمة دخيل أدخلت في كلام العرب وليست منه استعملها ابن دريد في الجمهرة"[2].

كما نستنتج من هذا أن ابن دريد يعتمد في جميع الرصيد اللّغوي على الآنية ليسجل ما يفرضه الواقع الاستعمالي من الكلمات الحضارية التي لا يتم وضعها إلا عن طريق التوليد بنوعيه اللّفظي والدلالي، وهذا الاتجاه في جمع المادة اللغوية يختلف عمّا عني به الخليل في نظريته الصوتية كما يختلف عمّا عناه أصحاب المعاجم الأخرى التي اعتمدت الصحيح من الكلمات وحدها دون المحدثة والمولّدة[3].

وقد اتّخذ الترتيب الألفبائي عوض الترتيب الصوتي، وذلك ليس لصعوبته بل لشهره الترتيب الألفبائي وشيوعه؛ لأنّه كما يقول: "وأجريناه على تأليف

---

1)- ابن دريد: جمهرة اللّغة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج1، ص19.

2)- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1968، ص241 مادة (دخل).

3)- حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص55.

الحروف المعجمة إذ كانت بالقلوب أعبق وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة، وطالبها من هذه الجهة بعيد عن الحيرة ومشفيا على المراد"[1].

ويرى حلام الجيلالي أن نظرية جمهرة اللّغة قد وجدت لها تطبيقات في ضوء علم اللّغة الحديث الّذي يعتبر اللّغة كائنا حيًّا ينمو ويتطوّر، وبذلك تجسّدت أسس هذه النظرية من جديد في المعجمية العربية الحديثة التي سارت في الاتجاه الوصفي؛ وبخاصة في معاجم النصف الثاني من القرن العشرين[2].

ج- نظرية الصحاح اللّغة: وهي نظرية معجمية تقوم فكرتها على أنّ اللّسان العربي قد اكتمل في نمو تطوّره؛ فيجب الالتزام بالصحيح من الألفاظ، وإغلاق باب التوليد والاجتهاد، وبذلك رسموا الحدود الاحتجاجية لانتهاء رواية اللّغة وجعلوا الحدود المكانية شبه جزيرة العرب والحدود الزمانية آخر القرن الثاني للهجرة لعرب الأمصار، وآخر القرن الرابع لعرب البوادي.

وقد بدأت بوادر هذه النظرية تظهر مع أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت.370هـ) في كتابه تهذيب اللّغة، حيث أفصح عن اتجاهه هذا في مقدمة المعجم حين علّل تسميته بهذا الاسم؛ قال: "وقد سمّيت كتابي هذا تهذيب اللّغة لأنّي قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالتها الأغبياء عن صيغتها، وغيّرها الغتم عن سنتها، فهذبت ما جمعت في كتابي من

1)- ابن دريد: جمهرة اللغة، 18/1.

2)- حلام الجيلالي: المرجع السابق، ص57.

التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطوري الكتاب بالحشو الّذي لم أعرف أصله والغريب الّذي لم يسنده الثقات إلى العرب"[1].

ونفهم من كلام الأزهري هذا أنّه رمى إلى هدفين في معجمه وهما:

- تصحيح اللّغة من التصحيف والخطأ.

- تنفيذ اللغة مما دخلها من الألفاظ غير الصحيحة.

وإذا كانت نظرية الصحاح قد ظهرت بوادرها مع الأزهري فقد اكتملت دعائمها مع الجوهري في أواخر القرن الرابع الهجري (ت.400هـ) في كتابه "تاج اللّغة وصحاح العربية" الّذي يهدف فيه قبل كلّ شيء إلى الاكتفاء بإثبات الصحيح من مفردات اللّغة، قال جلال الدين السيوطي: "أوّل من التزم الصحيح مقتصرا عليه الإمام نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، ولهذا سمي كتابه بالصحاح، وقال في خطبته: قد أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللّغة التي شرّف الله منزلتها، وجعل علم الدّين والدنيا منوطًا بمعرفتها، على ترتيب لم أسبق إليه وتهذيب لم أغلب عليه، بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم آل في ذلك نصحًا، ولا ادّخرت وُسعًا"[2].

وأضاف ياقوت الحموي في معجم الأدباء قائلاً:"كتاب الصحاح هو الّذي بأيدي النّاس اليوم وعليه اعتمادُهم، أحسن الجوهري تصنيفه، وجوّد تأليفه؛ وقرّب

---

1)- الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964، ج1، ص54.

2)- جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، 97/1.

متناوله، بدل وضعه على قريحة سالمة ونفس عالمة، فهو أحسن من الجمهرة؛ وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولاً من مجمل اللّغة"[1].

ويرى بعض المحدثين أن هناك عدّة عوامل فكرية ولغوية أدّت إلى ظهور هذه النّظرية في ذلك العصر، من أهمها الاقتصار على الصحيح من مفردات اللّغة، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، وكذلك على أساس أن اللغة قد اكتملت ولا يجوز الوضع أو القياس أو التوليد أو الإضافة على ما سبق، أن تكلمت به العرب قبل القرن الرابع الهجري على أكبر تقدير؛ بنظرية الصحاح في إطار هذه المبادئ تكون قد أهملت عددًا كبيرًا من الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية المولّدة والدخيلة مما جعل بعض المعاجم العربية القديمة تقف باللّغة زمانيا ومكانيا، وهذا أمر يجري في عكس التطور اللّغوي للغة العربية[2].

كما أنّ هذه النظرية قد وجدت لها أنصارًا كثيرين خلال مرحلة المعاجم الابتكارية قبل القرن الخامس الهجري و"وظفت في معاجم عديدة كالبارع للقالي (ت.356هـ) وتهذيب اللغة الأزهري (ت.370هـ) والمجمل لابن فارس (ت.395هـ) والصحاح الجوهري (ت.400هـ) وغيرهم"[3].

كما امتدت جذور هذه النظرية إلى ما بعد القرن الرابع الهجري، فلم يستطع أن يتخلّص منها أكثر المعجميين التقليديين، كابن سيده الأندلسي (ت.458هـ) وابن منظور (ت.711هـ) في لسان العرب وغيرهما[4].

---

1)- المرجع نفسه، 1/98-99.

2)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص60.

3)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص61.

4)- جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، 1/49.

وأدى بهم هذا النهج إلى إهمال عدد من الألفاظ كالمصطلحات العلمية التي ابتكرت على يد كبار العلماء في الطب، والنبات، والرياضيات، والفلك، والتاريخ والجغرافية وحتى في العلوم الشرعية كالفقه والتفسير، ولهذا السبب نظن أنّه ألفت معاجم مختصة لتدارك بعض النقص الحاصل في المعاجم السابقة الذكر في جانب المصطلحات العلمية، فألف الخوارزمي (ت.387هـ) موسوعته "مفاتيح العلوم".

وهذه النظرية قد تتعارض معطياتها وعلم اللّسان الحديث الّذي يعطي مجال الاستعمال في لغة المتكلم أهمية في الدرس اللّغوي الحديث، ولأنّ اللغة وعاء التجارب ودليل النشاط الإنساني ومظهر السلوك اليومي الّذي تقوم به الجماعة[1]. ولكلّ عصر ومنتجات علمية وحضارية وحركة فكرية مستمرة، والمعجم لا يستطيع أن يرصد مفردات قرن دون الآخر بل يواكب عجلة التاريخ والتطور الإنساني.

د- نظرية التأصيل: ويرى حلام الجيلالي في أنها نظرية اشتقاقية دلالية، تقوم فكرتها على أساس البحث في الأصول المعنوية للكلمات[2]، ويدخل في هذا الإطار النظري نوع من أنواع المعاجم المسماة المعاجم التأثيلية (Etymologique) والتي تعالج اللّفظ من زاويتين: زاوية تأثيلية أو أخرى تأصيلية، فبالمعجم التأثيلي وهو الّذي يبحث في أصول أشكال الألفاظ ليردها إلى اللسان الأصلي الّذي انبثقت عنه لأول مرّة، أما المعجم التأصيلي، فهو يبحث في أصول معاني

1)- تمام حسان: اللّغة بين المعيارية والوصفية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الحديدة، 1980، ص07.

2)- حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص62.

الكلمات من حيث تشعّب معاني الجذر الواحد وإمكان ردها إلى المعنى الأصلي للمعنى الجذري[1].

لقد لاحظ بعض الدارسين اللغويين المحدثين أن ابن فارس (ت.395هـ) قد انفرد بهذه النظرية في معجمه مقاييس اللّغة، إذ لم يسبقه أحد ولم يخلفه أحد ومن المعجمين القدماء. فهو بهذا يعدّ أول مؤسس لمعجم الاشتقاق الدلالي في العربية، وإن كان مسبوقا بفكرة الاشتقاق عمومًا، وقد اكتفى ابن فارس في معجمه بالجانب التأصيلي للمعاني المشتركة التي تدور حولها مشتقات الجذر الواحد ولم يتجاوزه إلى معالجة الجانب التأثيلي ليرد الكلمات المعرّبة عبر العربية إلى أصولها الأجنبية؛ وذلك على الرغم من أنّه ينبّه على اللّفظ الدخيل لا يستقيم مع نظريته[2].

كما أطلق ابن فارس على التأصيل الاشتقاقي مصطلح (المقاييس)، فهو يرى أن مشتقات أي جذر عربي صحيح، مهما تشعّبت أو تفرعت معانيه، يمكن إرجاعها إلى أصل معنوي واحد أو عددًا من الأصول المعنوية المشتركة.

ويتّضح مما سبق أن ابن فارس كان همّه الأوحد هو محاولة الربط بين معاني مشتقات الأصل الواحد بواسطة أصول عامة تتفرع عنها فروع مستعينًا بفكرة الاشتقاق.

ونستنتج من المرحلة الابتكارية في التأليف المعجمي عند العرب، أنّها أفرزت نظريات معجمية هامة تتجاوز التقسيم المدرسي المعروف لدى الدارسين المحدثين،

1)- المرجع نفسه، ص63.

2)- ينظر: المرجع نفسه.

وتتمايز من حيث نظرياتها إلى اللّغة العربية: "بحيث يمكن في ظلها تصنيف الطاقة التوليدية للغة إلى عدّة أرصدة، يمثل كل رصيد نظرية معجمية مستقلة بذاتها"[1].

2- مرحلة المعاجم التقليدية: تبدأ هذه المرحلة بمسافة زمنية تبدأ من القرن الخامس الهجري إلى نهاية القرن الثاني عشر تقريبًا مع الزبيدي (ت.1205هـ) في تاج العروس، ويرى بعض الدارسين المحدثين أنّ هذه الفترة تميزت بركون الابتكار المعجمي، بالتزام أغلب المعاجميين بالنظريات والمناهج المعيارية القديمة التي لا تواكب التطورات الحضارية وما لها من أثر في الرصيد اللّغوي من حيث تغيّره الدلالي، ونموّه المطرد، وبذلك تأخذ المعجم العربي عدّة قرون عن النهضة المعجمية الحديثة[2].

والملاحظ أيضا من خلال مادة أهم المعاجم التي ألفت في هذه المرحلة، أن أغلب المعجميين قد التزموا من حيث جمع المادة وتوليدها بالحواجز الاحتجاجية التي رسمها الأقدمون، وبذلك دخلت المعاجم العربية في فترة صار اللاحق يقلّد فيها السابق، ولم تعد مادة حية يجمعها اللغويون من الناطقين بها بلسانهم، فعلى الرغم من تطورات دلالات الكثير من الألفاظ، وظهور الآلاف من الألفاظ الحضارية، وانكماش الكثير منها ابتداء من العصر العباسي، لم يسجّل مصنّفوا المعاجم أكثر الدلالات الجديدة، قال رمضان عبد التواب في هذا الشأن: "ولا نعلم فيما عدا الأزهري وابن جنّي لغويا آخر، أضاف إلى ما جمعه علماء القرنين الأول والثاني مادة جديدة؛ فقد اقتصرت جهود اللاحقين على تنظيم ما جمعه

1)- حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص64.

2)- المرجع نفسه، ص68.

أسلافهم، ولم يحاول واحد منهم أن يدوّن ملاحظاته على الفروق بين تلك اللغة القديمة، لغد البدو في القرون الأولى، ولغة معاصريه، فلم يحاول واحد من علماء القرن الخامس الهجري مثلاً أن يبين لنا المعنى الّذي يفهمه معاصروه من لفظة جمعها زميل له في القرن الثاني الهجري، كما أنّه لم يبيّن لنا كيف كان معاصروه ينطقون بهذه اللّفظة في أحاديثهم، وهل كان هذا اللّفظ لا يزال على قيد الحياة، أم أنّه كان قد اندثر، ولحقه البلى، وأصبح في زمة التاريخ اللّغوي"[1].

وبهذا النهج في التأليف المعجمي قد ضاع الكثير من المصطلحات العلمية والألفاظ والمعاني المبتكرة في العصر العباسي. قال حلام الجيلالي: "قد أصبحت مصطلحات لغوية أو علمية مثل: (الزاوية المجسمة، الجبر، المقابلة، حجم، معادلة، مساحة...) وغيرها من المصطلحات الرياضياتية التي استعملها الخوارزمي محمد بن موسى (ت.235هـ) صاحب كتاب الجبر والمقابلة، في القرن الثالث الهجري، لا يستطيع صاحب لسان العرب الّذي عاش في القرن السابع الهجري ولا صاحب تاج العروس الّذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري، أن يسجلها"[2].

ولكننا لا نستطيع أن ننكر جهود بعض المعجميين العرب في هذه المرحلة التقليدية، بإضافاتهم وابتكاراتهم النظرية في المجال المعجمي مثل ابن سيده (ت.458هـ) في المخصّص، حيث حاول أن يرتب مواد المعجم وفق نظرية الحقول الدلالية، وكذا الزمخشري (ت.538هـ) في معجمه أساس البلاغة حيث ابتدع فكرة المعجم الدلالي، قال فيه حسين نصّار: "رأى القرن الخامس اتجاها جديدًا في

---

1)- رمضان عبد التواب: لحن العامة والتطور اللغوي، القاهرة، ط1، 1967، ص62.

2)- حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص69-70.

تأليف المعاجم العربية، بظهور أساس البلاغة للزمخشري، فقد ألف محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري أبو القاسم جار الله فخر خوارزم معجمه على أسس تختلف كل الاختلاف عما شاهدناه إلى ذلك الوقت في المعاجم الأخرى، ويظهر هذا الاتجاه أو ما يظهر في عنوان الكتاب نفسه فهو ليس بمحيط، ولا صحيح، ولا تهذيب، ولا بارع في اللّغة، وإنّما (أساس البلاغة)"[1].

كما نستنتج من هذه المرحلة التقليدية في تأليف المعاجم، أنّها ظلّت محتفظة بما رسمه الأقدمون في حدود احتجاجية في جمع اللغة، والاقتصار على الصحيح دون المولّد والدخيل حديثًا، وإن كان من الألفاظ الحضارية المتداولة في عصرهم، كما أنّها لم تقدّم أية نظرية معجمية تواكب التطوّر اللّغوي فتفتتح باب الوضع، والقياس، والتوليد وتسجيل الرّصيد اللغوي الوظيفي مع إسقاط الألفاظ الميتة أو المهملة.

وفيما يخص المادة المعجمية عند أغلبيتهم في نظر بعض المحدثين ظلت مختلطة بكثير من المعارف والثقافات العربية، كما حشو المعاجم بالأعلام العربية والأعجمية، وأسماء الأماكن والقصص والخرافات، مما يعدّ خلطًا بين المعجم الموسوعة ويؤدي إلى تضخمها[2].

وأما من حيث الترتيب فقد ظلت المداخل غير مرتبة داخليا، مما صعب المهمة كالباحثين عن الكلمات الصعبة، وظلّ أكثر المعجميين مرتبطا بمن سبق في الترتيب مع العلم أن الترتيب عند أصحاب المعاجم الابتكارية كان في الغالب خاضعًا لنظرياتهم المعجمية.

1)- د.حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوّره، دار مصر للطباعة، ط4، 1988، ج1، ص654.

2)- حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص73.

والملاحظ في تعريف المواد لم يبتكر التقليديون؛ أيّ منهج يفرّق بين أنواع المداخل، ويعرفها تعريفًا علميًا، فكثيرًا ما عرفوا الكلمات بعضها ببعض عن طريق ذكر المرادف أو الضدّ أو الشبيه أو النصّ على أن الكلمة معروفة، وأثناء إثبات الشواهد لم يميّزوا بين المعجم والنظام اللّساني مما جعلهم يعالجون كثيرًا من القضايا الصوتية والصرفية والنحوية عن طريق الشواهد دون أن يكون لذلك اتصال بدلالة الكلمة؛ فكثيرًا ما تعدّدت الشواهد دون تعدّد الدلالي للكلمة المراد تعريفها؛ فأدّى ذلك إلى وصم المعاجم العربية بسمة القصور، وإلى وجود ثغرة معجمية تقدّر بالقرون[1].

3- مرحلة المعاجم التجديدية: تعد الفترة المتأخرة من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) مرحلة نهضوية في الوطن العربي على عدّة أصعدة، ضمنها نجد توجّها جديدا في المعجمية العربية، ويبدو أن ذلك جاء نتيجة لضرورات حضارية علمية وتربوية دعت بإلحاح إلى سلوك طريقة جديدة في تصنيف معاجم حديثة، قادرة على مسايرة التطوّر اللّغوي والعلمي، من أجل تسهيل على الباحثين العرب بما يحتاجون إليه من ألفاظ حضارية ومصطلحات علمية وتعريفات دقيقة لما يصادفه في حياته اليومية.

ونجد الدواعي التي طرحت قضية تجديد المعاجم العربية في العصر الحديث تتمثل أهمها فيما يأتي:

أ- انتشار التعليم المبرمج: فقد كان للنهضة العالمية الحديثة أثر كبير في تطور المسار العلمي واللغوي، وبات هذا التطور كفيلا بتوجيه الأنظار العربية إلى العناية بالتعليم المبرمج وباللّغة العربية العلمية التي أصبحت تفتقد إليها مجالات

1)- المرجع نفسه، ص74.

متخصصة، ويحدد بعض الدارسين العرب أن النهضة العلمية في البلدان العربية لم تنطلق إلاّ في أواخر 1860م، وما رفقته من تدريس للمواد العلمية وتأليف الكتب في تخصصات مختلفة وتوفير المكتبات العامة.

ب- ظهور الطباعة: ويعدّ ظهور الطباعة في الوطن العربي عاملاً مباشرًا في طرح قضية تجديد المعاجم العربية، حيث ساعد على طبع المعاجم القديمة أو اختصارها لتسهيل عملية انتقائها، وتحرير البحوث والدراسات حولها تصحيحًا ونقدًا، كما ألّفت عدّة دراسات تصف المعاجم العربية، فكتب المستشرق الهولندي (دوزي) (R. DOZY) (1830م-1883م) تكملة للمعاجم العربية كما أخرج المستشرق البريطاني إدوارد لين (E. Lane) معجمه (مدّ القاموس) ثنائي اللّغة، ويعدّ هذا الأخير أول من حاول من المستشرقين الاستعانة بأمهات الكتب لاستخلاص المفردات من تراكيبها الأصلية[1].

ج- قصور المعاجم القديمة: فقد أصبحت المعاجم القديمة في نظر المحدثين العرب غير قادرة على مواكبة التطورات الحاصلة، وإمداد القارئ أو الباحث العربي بما يحتاجه من ألفاظ حضارية ومصطلحات علمية، لوجود ثغرة معجمية استمرت زهاء العشرة قرون، ومن هنا أدرك الباحثون المحدثون العرب أن المعاجم التقليدية غير مؤهلة لإمدادهم بما يحتاجون إليه من دلالات حديثة وتعريفات دقيقة وترتيب منسق للمداخل يسهّل عملية البحث عن الكلمات، ووجدوا أنفسهم مضطرّين إلى تجديد المعاجم العربية[2].

---

1)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص76.

2)- ينظر: المرجع نفسه، ص77.

د- نشوء المجامع اللغوية: وهي هيئات علمية مختصة، وكان لنشوئها دور كبير في خدمة اللّغة العربية وبلورة نظرية المعجم العربي، ودفعه نحو التجديد ونقله من العمل الفردي إلى العمل الجماعي، فتوالى ظهورها في الوطن العربي منذ أوائل القرن العشرين وكانت كلها تهدف إلى خدمة اللّغة العربية وجعلها مسايرة للتطورات العلمية الحديثة، ونذكر أهمها باختصار:

- مجمع اللّغة العربية بدمشق: أنشئ سنة (1337هـ-1919م) ومن أهم أهدافه العناية باللّغة العربية والدين الإسلامي ويصدر هذا المجمع مجلة فصلية تهتم بشؤون اللغة العربية ونشر الدراسات حول قضاياها[1].

- المجمع العلمي اللبناني: أنشئ عام (1343هـ-1928م) وأهم أهدافه المحافظة على اللغة العربية والرفع من شأنها، غير أن هذا المجمع سرعان ما تعطّلت أعماله.

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة: وقد تأسس عام (1351هـ-1932م) وكان يسمّى وقتئذ "مجمع اللّغة العربية الملكي" من أهم أغراضه أن يجعل اللّغة العربية مواكبة لمطالب العلوم والفنون المتقدمة، وملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وقد صدر عن المجمع عدد من المعاجم من أهمّها: المعجم الوسيط، والمعجم الوجيز.

- المجمع العلمي العراقي: تأسس سنة (1363هـ-1945م) ومن بين أهدافه السعي لجعل اللّغة العربية تواكب شؤون الحضارة العصرية، وإحياء التراث العلمي والأدبي ووضع المعاجم، وهو يصدر مجلة المجمع العلمي العراقي لنشر أبحاثه.

---

1)- ينظر، المرجع نفسه، ص78.

- مكتـب تنسيق التعريـب بالربـاط: وقـد أنشـئ سـنة (1383هـ-1962م) ثم أصبح تابعًا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تأسست سنة 1970م، وهو مكتــب يهــدف إلى تنســيق الجهــود لتطــوير اللّغــة العربيــة عــن طريــق توحيــد المصطلحات وتعريفها ونشر المعاجم، وهو يصدر مجلة فصلية "مجلة اللّسان العربي" تعنى بتوحيد المصطلحات بالوطن العربي.

- مجمع اللغة العربية بـالأردن: تأسـس سـنة (1396هـ-1976م) عـن اللجنة الأردنيـة للتعريـب بالترجمـة والنشـر، ولا تختلـف أهدافـه عـن المجـامع السـابقة، فهـو يسعى إلى إحياء التراث العربي الإسلامي ووضع المصطلحات العلمية وتوحيدها.

- المجمـع العلمـي اللّغـوي السـعودي: أنشـئ سـنة (1404هـ-1983م) وهـو يحرص على تحقيق الأهداف السابقة.

- المجمـع الجزائـري للغـة العربيـة: أنشـئ سـنة (1406هـ-1986م) ومـن أهـم أهدافه إيجاد مصطلحات علمية دقيقة، تأخذ بعين الاعتبار الاستعمال الوظيفي للكلمات حيث تعود اللغة العربية من جديد كما كانت في عصورها الذهبية: لغة إبداع وأداة احترام[1].

ولقـد شـهد العصـر الحـديث انطلاقـة جديـدة مـن تجديـد المعـاجم وهـي محاولات لأفراد في شكل محاولات فردية؛ ووجدوا أنفسهم محاصرين بين اتجاهين في التـأليف المعجمـي؛ اتجـاه تقليـدي إذ لم يجـرؤ علـى الحـذق أو الزيـادة في الـتراث المعجمي واللغوي أو في التصرف في ضبط دلالة ألفاظه، واتجاه الثاني هـو تحرري تجديدي، وينظر إلى اللّغة نظرة وصفية في ضوء نظريات علم اللغة الحديث، ومن

---

1)- ينظر: حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص80.

بين أهم الأفراد المؤلفين الجدد نجد "أبا الطيب الفاسي الشرقي" وكتابة الجاسوس على القاموس الّذي انتقد فيه القاموس المحيط للفيروز أبادي.

كما يعدّ فارس الشدياق (1888م) بعده من أهم للمجددين في حقل المعاجم العربية، غير أنّه في نظر بعض الدارسين المحدثين لم يستطع أن يقدم نموذجا تطبيقيا للمعجم العربي الحديث[1].

وظهر عن مؤلفين في الحقل المعجمي الحديث مثل بطرس البستاني (1883م) بمعجمه (محيط المحيط)، وتلاه سعيد الخوري الشرتوني (1919م)، وكذا الشيخ أحمد رضا حيث صدر معجمه "متن اللغة" سنة (1958م)، وقد وضعه بتكليف من المجمع العلمي العربي بدمشق وصدر في خمسة مجلّدات كبيرة الحجم.

والملاحظ مما سبق أنه رغم الجهود المضنية التي بذلها هؤلاء الأفراد، لا تكاد تخلو أعمالهم من قصور في عدّة نواحي منها كالنظرة المزدوجة إلى اللغة المحكومة بقانون المحافظة على التراث، كما تركه الأقدمون، فلم يجرؤوا على التخلّي على ألاف الكلمات التي هجرها الاستعمال وأصبحت في حكم النسيان، كما أن اعتناءهم بالكلمات والدلالات الحديثة يظلّ يشوبه نوع من الحذر، ولم يتمكّنوا من ضبط الصلة بين المعجم والنظام اللساني، وأما التعاريف فظلّت تفتقر منهج محدّد، وغالبًا ما اكتفوا بمنهج التعريف الاسمي[2].

وتبقى ملامح المعجم المعاصر جماعية، وصناعة تشترك فيها أمّة كاملة، نظرًا إلى التطوّر الهائل في المجالات الحضارية والتخصصات العلمية والفنية، ولكلّ عصر

---

1)- ينظر: المرجع نفسه، ص82.

2)- ينظر، حلام الجيلالي: المعاجمية العربية قراءة في التأسيس النظري، ص88.

تميزه جهود معجمية تعكس تصوره وواقعه العلمي والفكري بصفة عامة ومن أمثلة المعاجم المعاصرة: "المعجم الوسيط" والّذي صدر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة نجده في الطبعة الثالثة في سنة 1986م، وهو يعد بحق أوّل معجم يصدر عن هيئة مختصة ويخضع لعدّة قرارات مجمعية، وذلك باعتباره معجمًا جماعيًا صادرًا عن مؤسسة لغوية عليا[1].

1)- ينظر: المرجع نفسه، ص91.

الباب الأول

المعرّب اللّفظي وطرائق تحقيقه

الفصل الأول: احتكاك اللّغة العربية باللّغات الأخرى.

الفصل الثاني: المعرّب اللفظي مصطلحاته وطرق تحقيقه في الفصحى.

الفصل الأول

احتكاك اللّغة العربية باللّغات الأخرى

1- عوامل تكوين اللغة المشتركة (الفصحى).
2- تـداخـل الـلـغـات.
3- ظاهرة الاقتراض بين لغات العالم.
4- العربية وعلاقتها بالاقتراض.
5- مفهوم الكلمة أو اللّفظ في اللغة العربية.

1- عوامل تكوين اللغة المشتركة (الفصحى):

إن اللغة كائن حي، ويعتري هذه اللغة ما يعتري الأحياء من غنى وفقر ومن سعة وضيق ومن انتشار أو انحصار، ومن تجمع وتفرّق، ومن عزّة وبلّة، ومن حياة وموت، وتتأثّر اللغة بحضارة الأمّة ونظمها وتقاليد واتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها وشؤونها الاجتماعية والاقتصادية...، وما إلى ذلك. فكلّ تطوّر حدث في ناحية من هذه النواحي إلاّ وينعكس تأثيره في أداة التعبير، ولذلك تعدّ اللغات أصدق سجلّ لتاريخ الشعوب، فكلّما اتّسعت حضارة أمّة، نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعدّدت فيها فنون القول، ودخلت فيها ألفاظ جديدة عن طريق الوضع، والاشتقاق، والاقتباس أو الاقتراض للتعبير عن المسمّيات والأفكار الجديدة، فتحيا هذه اللغة وتتطوّر عبر الزمن وتصبح أكثر مناعة وصلابة ضدّ أي صراع لغويّ مع اللغات الأخرى.

واللّغة العربية أصدق مثال عمّا نقول، بحيث أصبحت بعد فترة وجيزة من نزول القرآن الكريم لغة العلوم العقلية كـ(الطّب، والكيمياء، والفلك، والطبيعة)، مثلما هي لغة العلوم النقلية كـ(الفقه، والتفسير، والكلام)، بل غدت لغة العلم الأولى التي لا تضاهيها لغة في القرون الوسطى، وخلّفت آثارا تشهد بعبقرية علماء العرب المسلمين على مرّ العصور.

وإذا ما حاولنا إعطاء حدّ لمصطلح اللغة العربية، جاء في أساس البلاغة: "لغوت بكذا... لفظت به وتكلّمت، وتقول لغة العرب أفصح اللغات، وبلاغتها أتمّ البلاغات، وهم يلغون في الحساب يغلطون، ولاغَيته غَازلته"[1].

---

1)- الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (لَغو).

كما جاء في اللّسان: "أن اللغة اللّسن، وحدّها أنّها أصوات، يعبِّر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوة أي تكلّمت، أصلها لغة ككرة وقلّة، وفي المحكم: الجمع لغات ولغون"[1].

وقال السيوطي (ت.911ه) في تعريف لفظة لغة: "وأما تصريفها فهي فعلة من لغوة أي تكلمت، وأصلها لغو، وقالوا لغوا، وقالوا فيها لغات ولغون كثبان وثبون. وقيل منها لغي يلغى إذا هدى، وكذلك اللغو، قال تعالى: ﴿**إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾[2]؛ أي بالباطل وفي الحديث: من قال في الجمعة صه فقد لغا: أي تكلّم"[3].

ولا يخرج تعريف القدماء للغة عن كونها أصواتا يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، ولم تستطع التعريفات الحديثة للغة أن تتجاوز ما قاله ابن جني (ت.392هـ) في كتابه الخصائص في بابا القول على اللغة وماهي؛ قال فيه: "أمّا حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضه هذا حدّها وأما اختلافها فما سنذكره في باب القول عليها: أمواضعة هي أم إلهام؟"[4].

فاللغة هي الإنسان وهي مظهر حقيقته وعلى الرغم من أن التعريف الصحيح لنشأة اللغة يضعها في قمة الأشياء المكتسبة التي حصل عليها الإنسان بكفاحه، فإن ذلك لا يلغي تدخّل علم الله وقدرته على إيحاء اللغة، لأنّه هو الّذي أهّل الإنسان لاستخدامها وزوّده بالملكة القادرة على الاهتداء إليها، فاللغة هي

---

1)- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1992، مادة (لغا).

2)- سورة الفرقان، الآية: 72.

3)- السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة العصرية صيدا، بيروت، د.ط، 1987، ج1، ص7.

4)- ابن جنّي: الخصائص، 87/1.

أوّلا وأخير خلق من الله تعالى لقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[1]، وتنتمي اللغة العربية إلى الأسرة اللغوية الكبيرة الحامية السامية، وقد حملت أمانة الحضارة الإسلامية عبر القرون لملايين البشر وبها نزل القرآن الكريم بلسان العربيّ المبين.

أمّا طفولة اللغة العربية قبل ظهور المسيحية، فليس بين أيدينا نصوصا عربية ترجع إلى تلك العهود، فأقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادي. وليس معنى هذا أن اللغة العربية لم تكن موجودة قبل المسيحية، أو أنها أحدث من شقيقاتها كالعبرية مثلا، بل يؤكّد لنا المستشرقون أن اللغة العربية مألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم، أكثر ما احتفظت به الساميات الأخرى. ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات السامية وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل، وفيها صيغ كثيرة لجموع التكسير، وغير ذلك من الظواهر اللغوية؛ ويؤكّد لنا الدارسون أنّها كانت سائدة في السامية الأولى التي انحدرت منها كل اللغات السامية المعروفة الآن[2].

لقد نشأت اللغة الفصحى أو اللغة المشتركة بين جميع القبائل العربية، ونمت وازدهرت قبل مجيء الإسلام لعدّة أسباب أو عوامل منها الحاجة إلى اتّصال تلك القبائل قبل الإسلام، ومنها ضرورة التفاهم في المؤتمرات الثقافية التي كانت تعقد وتسمّى بالأسواق، فكان لابدّ من وسيلة لغوية تجمع تلك القبائل[3].

وليس هناك ما يقرّب بين الجماعات المتنافرة كاللّغة الموّحدة التي تجمع شملهم وتلمّ شتاتهم، فبدأت العوامل والظروف السياسة والثقافية تتهيّأ لتجعل مكّة

1)- سورة الروم، الآية: 22.

2)- ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، القاهرة، ط9، 1995، ص34.

3)- ينظر: المرجع نفسه، ص40.

مركزا لتلك الوحدة، تستقبل القبائل الوافدة إليها لحجّ البيت الّذي قدّسه العرب قبل الإسلام. ومن أجل التبادل التجاري في الأسواق والتي كانت مجالا للثقافة بين معظم القبائل العربية ولعقد المناظرات الأدبية من شعر وخطابة...الخ. ويذكر الرواة أن عدد الأسواق قبل الإسلام كان في الأرجح ثمانية أسواق أشهرها عكاظ وهي سوق عامة للعرب كانت تعقد حول مكّة في أوائل شهر ذي القعدة، وسوق المجنة التي كانت تعقد بعضها في أوائل هذا الشهر، ثم سوق ذو المجاز المنعقدة في شهر ذي الحجة وسوق خيبر بعض أشهر الحج[1].

وقد كان أهل مكّة يختلطون بالوافدين فيسمعون منهم كما يسمع منهم هؤلاء فنبتت بذلك البذرة الأولى للغة مشتركة بين سائر القبائل، ونمت وازدهرت بتوالي نفوذ القبائل إلى هذه الأسواق. وقد حملت هذه الوفود تلك اللغة المشتركة إلى قبائلهم فانتشرت بين أنحاء الجزيرة العربية ولكنها لم تنتشر على ما يرجّح إلاّ بين الخاصة فقط من أبناء القبائل المختلفة وهم أولئك الشعراء والخطباء[2].

وهكذا توحّدت القبائل في لغة أدبية مختارة الألفاظ يعمد إليها الشاعر أو الخطيب، واستحقت أن تروى آثارها ويعتزّ بها طويلا. ولما جاء الإسلام ازدادت هذه اللغة نموّا وازدهارا بنزول القرآن بها، فقوّى تلك الوحدة اللغوية وزاد في شمولها، لأنّها صارت الأساس في تأدية الشعائر الدينية، ولم يكن الأسلوب القرآني في متناول جميع العرب وإنّما تحدّى العامة والخاصة منهم.

فقد أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع سورة طه، ويروى أنّ جماعة من قريش بعثوا عتبة بن ربيعة إلى النبيّ (ص) ليكلّمه، وكان حسن الحديث،

1)- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص40.

2)- ينظر: د. رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص79.

عجيب الشأن بليغ الكلام، وأرادوا أن يأتيهم بما عنده، فقرأ النبيّ ﷺ سورة فصّلت من أوّلها حتى إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[1]، فوثب عتبة مخافة العذاب ثم أسلم[2].

ومن أهم العوامل أيضا في تكوين اللغة المشتركة هو انتقال أهل مكّة بتجارتهم في أماكن مختلفة وارتحالهم بها إلى اليمن في الشتاء وإلى الشام في الصيف، كانوا لا يستقرّون إلاّ بمقدار الزمن الّذي يحدّده له البيع والشراء، وهذا النشاط الاقتصادي أتاح لهم الغنى والثراء واحتضان الدين الجديد[3].

ولهذا كله كانت اللهجة القرشية من أقوى اللهجات أثرا في تكوين اللغة العربية الفصحى، وتتميّز تلك اللغة المشتركة بأنها فوق مستوى العامة ولا تنتمي صفاتها أو عناصرها إلى بيئة محلية معينة فهي مزيج من كل اللهجات العربية؛ قال محمد الأنطاكي: "وهذه الفصحى ليست لهجة قبيلة عربية معينة وإن سمّيت في بعض الأحيان بالقرشية بل هي مزيج لطيف من اختيار أنيق لخصائص اللهجات القرشية كثيرة أهمّها القرشية وتميمية"[4].

وللفصحى كيان مستقل عن جميع اللهجات وانهضمت بعض صفاتها، وخير مثال على ذلك أن الروايات القديمة تجمع على أنّ البيئة الحجازية (قريش وما جاورها) تسهّل الهمز والبيئة البدوية (تميم وما جاورها) تحقّق الهمس، وقد أخذت

1)- سورة فصلت، الآية: 13.

2)- ينظر، د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص43.

3)- ينظر، رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص 80.

4)- محمد الأنطاكي: دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، ط4، ص90.

اللغة العربية المشتركة تحقيق الهمز من تميم، فأصبح الخطيب أو الكاتب أو الشاعر يحقّق الهمز في كلامه عندما يستعمل اللغة العربية المشتركة[1].

وهناك من يرى أن فكرة اللغة المشتركة الأدبية بإزاء اللّهجات العربية عبارة عن أسطورة خيالية واعتقاد وهمي؛ نجد من بين هؤلاء الدارسين عبد الرحمن حاج صالح؛ قال: "يعتقد الكثير من الباحثين المعاصرين أن ما يسمّيه الناس بالعربية الفصيحة أو الفصحى كان يمثّل في الحقيقة لغة خاصة بالتعبير الأدبي كالشعر مثلا وذلك لسببين اثنين: الأول هو أن الشعر (والقرآن كذلك) قد جاء كلّه بلغة موحّدة. والثاني اقتناعهم بوجود لهجات مختلفة من قبيلة إلى أخرى ومن شرق الجزيرة إلى غربها. ومن ثمّ اعتقادهم أنّ لغة التخاطب كانت مختلفة عن اللغة الأدبية ومختلفة باختلاف اللهجات. والحق أن هذه الفكرة غريبة عن العرب ولم يشر أيّ مؤلّف عربيّ في القديم إلى وجود لغة عربية منفصلة عمّا سمّوه باللّغات... ولم يثر مثل هذا التمييز بين العربية ولغة التخاطب -عند الفصحاء- إلاّ بعد أن نقلت هذه الفكرة من البلدان الغربية إلى الأوساط المثقّفة العربية في عصرنا هذا وأصل هذا التصوّر يرجع إلى ما لاحظه علماء الغرب (أو ما يظنّونه أنّه كذلك) في الحالة اللغوية لبلاد اليونان قديما لوجود لهجات محلية ولغة أدبية موحّدة سمّيت عندهم بال Koinè فقاسوا الحالة اللغوية العربي في زمان "الفصاحة العفوية" على الوضع اللغوي اليوناني القديم فسمّوا اللغة الفصحى Arabic Koinè. وهذا في الحقيقة مجرّد إسقاط للزمان الحاضر على الماضي أي مجرّد تسوية بينما هو حاصل بالفعل في زماننا هذا (ومنذ زمن تحوّل عربية التخاطب إلى عاميات محلية) وبينما كان حاصلا في زمان الفصاحة السليقيّة، وحجّتهم التي يعتمدون عليها للدفاع عن هذا التصوّر هي

---

1)- ينظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة العربية، ص 82-83.

وجود ما يشبه اللّهجات عند العرب قديما ومن جهة أخرى استحالة أن تكون في زعمهم لغة التخاطب اليومي العفوي في أيّ زمان كان هي لغة الأدب"[1].

كل ما يمكن قوله أنّنا لا يمك إسقاط لغة على لغة من حيث الدرس والتقعيد، فلكلّ لغة خاصّيتها من حيث البنية والصوتية والصيغية والتركيبية، واللغة العربية الفصحى تختلف عن بقية لغات العالم.

وتتكوّن العربية الفصحى من بعض الصفات الصوتية والنحوية والتعبيرية من لهجاتها القديمة وهذا ما نقرأه في بعض الكتب العربية القديمة والحديثة[2].

2- تداخل اللغات:

لا أحد منّا ينكر أنّ اللّغات تتداخل وتتلاقح كلّما اتّصلت إحداها بالأخرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وأنّ أيّ لغة من لغات العالم كما تؤثّر في غيرها، فإنّها أيضا تتأثّر، وإنّه من "المتعذّر أن تظلّ لغة بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى"[3]، ويرى فندريس أنّ تطوّر اللغة مستمر في معزل عن كلّ تأثير خارجي يعدّ أمرا مثاليا لا يكاد يتحقّق في أيّة لغة بل على العكس من ذلك فإنّ الأثر الّذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثيرا ما يؤدّي دورا هاما في التطوّر

---

1)- د. عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص147-148.

2)- ينظر: محمد الأنطاكي: دراسات في فقه اللغة، ص90-91.

3)- رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص258.

اللغوي، ذلك لأنّ احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاكها يؤدّي حتما إلى تداخلها[1].

وأهم ناحية يظهر فيها التداخل هي الناحية المتعلّقة بالمفردات أين تنشط حركة التبادل بين اللغات ويكثر اقتباسها بعضها من بعض، ولهذه الظاهرة اللغوية عواملها التي يتتبّعها الدارسون عبر مسيرة الصّراع اللغوي بين اللغات من أجل البحث عن الأسباب التي تجعل لغة ما أكثر انتشارا من لغة أخرى ودرجة صمودها أمام غزو اللغات الأخرى لها.

وذكر عبد الصبور شاهين أن أهم هذه العوامل يتمثّل في الجانب الحضاري والثقافي للغة في التأثير والتأثر بين اللغات، والعامل الثاني هو كثرة الناطقين باللغة[2].

ويمكن حصر تلك الأسباب والعوامل التي تؤدّي إلى التأثير والتأثّر بين اللغات كالتالي:

1- الغلبة في الصّراع، والانتصار في الحرب؛ والمقهور مولع بتقليد الغالب، وخاصّة إذا كان للمنتصر حضارة وثقافة ورقي وليس للمنهزم شيء من ذلك "فقد كانت اللاتينية قديما إحدى لغات الفرع الإيطالي من مجموعة (الهندو الأوروبية)، منحصرة في منطقة ضيّقة من إيطاليا، وأصبحت بعد انتصارها في الصّراع لغة رسمية لكلّ من: إيطاليا والبرتغال، وفرنسا، والألب، وألبانية"[3].

---

1)- ينظر: فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص34.

2)- ينظر: عبد الصبور شاهين: دراسات لغوية –القياس في الفصحى والدخيل في العامي-، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986، ص226.

3)- د. توفيق محمد شاهين: علم اللغة العام، أم القرى، 1980، ص129، 131.

2- الهجرة القومية المكثّفة، أو الاستعمار الثقيل بقضيضه؛ سبب رئيسي من أسباب التأثير والتأثر وانتشار اللغات.

3- وتتأثّر اللغات بالاحتكاك عن طريق المجاورة أو التجارة وكذلك أثناء الحروب؛ فالانجليزية والفرنسية والألمانية والبرتغالية –مثلاً- تتقارض المفردات وتأثرت ببعضها البعض بسبب الحروب التي قامت في أوروبا.

والحروب الصليبية نقلت إلى اللّغات الأوربية، كثيرا من الألفاظ العربية قد تعدّ بالمئات؛ وذكر بعض العلماء أن الإسبانية أخذت من العربية أكثر من أربعمائة لفظة في شؤون البحرية وحدها[1]، فضلا أنّ المعاملات التجارية قد أثرت كثيرا، ونقلت أسماء الأشياء من المنتجات الفلاحية أو الصناعية التجارية المتبادلة وما يلزمها.

4- والملاحظ أيضا أن للعلاقات الثقافية والحضارية بين الشعوب أثر عميق في التبادل والتأثير والتأثر بين اللغات في العالم.

كما نجد أحيانًا لغتين متعايشتين، ولا تستطيع إحداهما التغلب على الأخرى، ويرجع ذلك إلى عراقة كل منهما في الثقافة والحضارة، أو لقلة الأفراد المهاجرين والفاتحين. فاللاتينية مثلا لم تتغلب على الإغريقية، لعراقة الأخيرة في الحضارة، والتركية (لغة الإمبراطورية العثمانية) أبان عظمتها وسطوتها، لم تستطع التغلب على أية لغة في البلاد التي خضعت الإمبراطورية، إذ ليس للتركية حضارة سابقة، فضلاً عن أنّهم لم يمتزجوا بأصحاب البلد التي حكموها زمانًا ليس بالقصير[2].

1)- ينظر: المرجع نفسه، ص131.

2)- توفيق محمد شاهين: علم اللغة العام، ص131.

ونتيجة للتعايش بين اللغات يقع التأثير والتأثر بين اللغات المتمثل في اقتراض الألفاظ، فيتسع نطاق اللّغة وتزداد حيويتها، وتلك سنة اللغات حين التعايش والاحتكاك والتجاور.

وقد نجد أن اللّغة العربية كغيرها من اللّغات في العالم عبر التاريخ تداخلت مع اللّغات الأخرى حين احتكت واتصلت بالأمم المجاورة بسبب الحروب والمعاملات التجارية والثقافية، فأثرت وتأثرت حسب قانون التجاور والصراع.

3- ظاهرة الاقتراض بين لغات العالم:

لقد نتج عن احتكاك الشعوب بعضها ببعض، ظاهرة لغوية التي اصطلح اللغويون المحدثون على تسميتها بالاقتراض، والتي تعد من الوسائل المسؤولة عن نمو اللّغة وتطورها ولا تقل قدرًا عن القياس والاشتقاق؛ ولاسيما من حيث الألفاظ، ولظاهرة الاقتراض نواح متعددة وآثار متشعبة، بعضها مجمع عليه، وليس محل خلاف أو جدال والبعض الآخر لا يزال موضع مدارسة واختلاف في المذهب.

كما شبه بعض المحدثين من اللغويين حالة اللّغة بتلك الطبقة العليا من القشرة الأرضية، وهذا ما عرف عندهم بنظرية الطبقية (Substratum theory)؛ فكل طبقة من الطبقات تمثل عنصرًا من عصور التاريخ وقد أسس بعضها على بعض، وكذلك حال اللغة في العصور تتكون في هيئة طبقات بعضها فوق بعض، ومؤسس بعضها على بعض؛ فاللغة حين تحل ببيئة من البيئات وتستقر فيها تأخذ شكلاً جديدًا تستمد جذوره مما سبقها من اللّغات في البيئة نفسها[1].

1)- ينظر: د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط8، 2003، ص91.

وقد نادى بهذه النظرية بعض اللّغويين، وضربوا الأمثال فكان أوضح مثل في كلامهم حال اللغة الرومانية بعد أن استقرت ببلاد الغال (فرنسا قديمة)، وحلت محلها اللغة الكلتية التي كانت سائدة فيها، فوجد أن الرومانية في أرض فرنسا أخذت شكلاً جديدًا، متأثرا إلى حدّ كبير بتلك اللغة المندثرة أي الكلتية ولاسيما من حيث الأصوات.

ويدلل إبراهيم أنيس على هذا بقوله: "والدليل على هذا ما نلحظه الآن من خلاف صوتي واضح بين الفرنسية وشقيقتها الإيطالية والإسبانية، فرغم أن كلاً من هذه اللّغات الثلاث يعتبر تطوّرا للرّومانية القديمة، أو بعبارة أخرى تعبّر كل لغة منها صورة حديثة للرومانية القديمة، فقد اتخذت الفرنسية صورة مباينة لما عليها اللغتان الأخريان في نواح كثيرة، وقد كان من المتوقع ألاّ نشهد في كل هذه اللغات الحديث صفات متشابهة أو متقاربة في تطورها عن الرومانية، أو على الأقل أن تكون الفرنسية أقرب شبها بالإيطالية لغة البيئة الأصلية للرومان القدماء، لأن فرنسا تتاخم إيطاليا وتتأثر بها، غير أنّ الّذي حدث فعلاً هو أن الإسبانية الحديثة أصبحت أقرب شبها بالإيطالية من الفرنسية، ويعلل أصحاب هذه النظرية تلك الظاهرة العجيبة باقتراضهم أن الرومانية في أرض فرسا قد حلت محل الكلتية القديمة وأسّست عليها، فتأثرت بكثير من خصائصها، فلم تنقرض الكلتية من الوجود، قبل أن تترك على ألسنة الفرنسيين بعض صفاتها الصوتية"[1].

وكذلك الحال بالنسبة للغة العربية فقد أثرت في عدّة لغات حين رحلت إلى الأمصار في الشام والعراق ومصر وبلاد المغرب وغيرها من مناطق وجهات افتتحها العرب بعد انتشار الإسلام، فقد حلت اللغة العربية محل اللغة الأصلية في كل هذه

1)- د.إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص91-92.

الأقطار ويرى بعض اللغويين المحدثين أن العربية امتازت بحيوية نفاذة متأججة بحيث ظفرت في أيام الفتوحات على اللغتين الآرامية والسريانية بالعراق، وفي إيران انتصرت على اللغة الفارسية وظفرت بها، وفي الشام باللغتين السريانية واليونانية، وفي مصر باللغتين القبطية واليونانية، وفي المغرب باللغتين البربرية واللاتينية، وفي الأندلس باللّغة الإسبانية، وأهل كل هذه البلدان شرقا وغربًا وشمالاً وغربًا وشمالاً وجنوبًا زايلت لغاتهم ألسنتهم وحلت مكانها العربية واتخذوها للتعبير عن مشاعرهم شعرًا ونثرًا وعن عقولهم وألبابهم فكرا وعلوما وسياسيا[1].

فإذا سلمنا بصحة نظرية الطبقات (Substratum theory)، نستطيع في سهولة ويسر أن نعلّل تلك الفروق الصوتية التي تميّزت بها كل بيئة من هذه البيئات العربية؛ فالمصري قد يسمع العراقي ينطق العربية حتى ولو كان يقرأ بعض الآيات من القرآن الكريم، فيدرك لتوّه أنّه عراقي، أو على الأقل يدرك أنّ نطقه يخالف النّطق المألوف في البيئة المصرية، وكذلك الحال مع الشّام والمغرب. وهناك من يتصوّر أنّ ذلك الخلاف الصوتي في النطق بالعربية مرجعه إلى القبائل العربية التي استقرّت في البلاد المفتوحة أثناء وبعد الفتوحات الإسلامية، ولكن يقول إبراهيم أنيس في هذا الشأن: "وليس من المقبول أو المعقول أن نتصوّر أن ذلك الخلاف الصوتي مرجعه إلى لهجات القبائل المختلفة التي حلّت في هذه البلاد، ذلك لأنّ الأسانيد التاريخية تبرهن عن أن القبائل القديمة ذات اللّهجة الواحدة قد أقامت في معظم هذه الجهات، ولم يكن من المألوف بين الغزاة من العرب أن تختصّ كلّ قبيلة

1)– ينظر: سعيد بيومي: أمّ اللغات، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت)، ص36.

بقطر من هذه الأقطار أو على الأقل أن يكون معظم من يقيمون في مصر من الأمصار ممّن ينتمون إلى قبائل معيّنة من قبائل شبه الجزيرة"[1].

ويذهب "يوهان فك" مذهبا آخر في رأيه حول تأثير لهجات القبائل العربية في لغات الأمصار المفتوحة بعد مجيء الإسلام قال: "كانت هجرة القبائل العربية عقب وفاة محمّد ﷺ سنة 632/11م، إيذانا بشروق شمس عصر جديد للغة العربية. ففي مدّة بضع عشرات من السنين حملت قبائل البادية في غزوات الفتح لهجاتها نحو الشّمال إلى فلسطين وسورية وبلاد الرافدين حتى جبل طوروس وجبال أرمينية، ونحو الشرق عبر العراق، إلى إيران، ونحو الغرب عبر جزيرة سيناء، إلى مصر وشمالي إفريقية. ولم تمض مائة عام على وفاة محمّد (ص) حتى امتدّت الدّولة إلى سفوح البرانس في المغرب، وإلى أواسط آسيا على شواطئ نهر الهند في المشرق؛ وهذا التغلغل الّذي قامت به اللّغة العبرية إلى مناطق كانت تستوطنها لغات أخرى، لم يكن ليحدث دون تأثير أو تغيير وإنّه اختلفت نتائج هذه العلاقات الجديدة... ولقد احتفظت كثير من القبائل البدوية في البلدان المفتوحة كذلك، بطريقته حياتها البدوية، وحافظت على سلامة لهجاتها وخلوصها، ولهذا كان لا يزال ممكنًا في أوائل العهد العباسي أن يلاقي المرء من جنوبي برتغال في الغرب إلى خراسان في الشرق قبائل عربية، وإن يسمع من أفواهها عربية بدوية خالصة لا يشوبها هجنة ولا عجمة.

ومن جانب آخر لقد أدّى عهد الفتح إلى بثّ روح من القوّة في صميم العربية، وإلى توحيد لهجات البدو أنفسهم... ولم تكن لهجات القبائل البدوية

---

1)– د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص92.

بالجزيرة بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية... إذ أنّ أغلب الفروق كانت في الأصوات والأبنية والمعاني... ومن تلك الفروق -مثلا- : العنعنة والكسكسة، وشبيهاتها الكشكشة، أي إبدال السين أو الشين من الكاف، والتلتلة، أي كسر حرف المضارعة... فهذه الخصائص اللهجية قد صقلت إلى حدّ بعيد في عهد الفتوحات التي وحّدت القادرين على حمل السّلاح من مختلف القبائل في التعاون في الجهاد"[1].

ونلاحظ من هذا القول أنّ جميع أفراد القبائل العربية شاركت في الفتح الإسلامي ولم يتأثّر لسانها أو لهجاتها في القرن الأوّل للفتوحات، ويشير روهان فك أن جميع لهجات هذه القبائل التي حملت إلى الأمصار المفتوحة توحّدت، ولكنّ ما نسمعه على لسان بعض الناطقين بالعربية خارج حدود الجزيرة العربية الآن هو وجود بعض الظّواهر الصوتية التي كانت سائدة في لهجات القبائل العربية القديمة مثل الكشكشة والكسكسة...الخ، ويبقى هذا الموضوع مفتوحا للدارسين والمهتمّين باللّهجات العربية في إطار علم اللهجات.

وفي السياق نفسه نجد أنّ اللّهجات هي أيضا تتأثّر وتؤثّر في بعضها البعض ولو كانت من لغة واحدة؛ وقد خصّ السيوطي (ت.911هـ) فصلا في مزهره بعنوان "معرفة تداخل اللغات" واستشهد على ذلك بقول طويل لابن جنّي قال: "إذا اجتمع في الكلام الفصيح لغتان فصاعدا كقوله وأشرب الماء ما بي وحدَهُ عطش إلا لأنّ عيونه سالَ واديها. فقال: نحوهُ بالإشباع، وعيونه بالإسكان، فينبغي أن يتأمّل حال كلامه، فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال،

1)- يوهان فك: العربية -دراسات في اللغة واللهجات والأساليب-، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص18-19.

وكثرتهما واحدة فأخلق الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين؛ لأنّ العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرّف أقوالها، ويجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما، ثمّ إنّه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى وطال به عهده، وكثر استعماله لها، فلحقت لطول المدّة واتّساع الاستعمال"[1].

ونفهم من هذا النص أن الزمن وانتشار الاستعمال قد يؤثران في بقاء اللّفظ المقترض بين قبيلتين أو أكثر؛ ونستنتج من هذا النص أيضا أن هذا الاقتراض بين اللهجات العربية القديمة ينتج عنه ظاهرة الترادف وكذا الاشتراك اللّفظي، والتضاد؛ وهي علاقات دلالية وجدت في القديم نتيجة التأثير والتأثر بين القبائل في السماع والاستعمال للألفاظ فيما بينهم وطول المدّة أي الزمن الطّويل في استعمال الألفاظ وانتشار الجغرافي للفظة المستعارة كفل لها الحياة الطويلة والبقاء، أما الألفاظ التي ضاق فيها الاستعمال وتقلّص مجالها الجغرافي في الجزيرة العربية فقد ضاعت وأهملت وأصبحت في طي النسيان.

كما أضاف السيوطي قولاً للأصمعي مبرزًا فيه هذا التداخل بين اللغات وتأثرها ببعضها البعض قاصدًا بذلك اللهجات العربية القديمة، فقال: "والّذي يقول يَقْلَى يقول في الماضي قَلِيَ"، وكذا من يقول سَلا يقول في المضارع يَسْلو، ومن يقول فيه يَسْلى يقول في الماضي سَلِيَ، فتلاقى أصحابُ اللغتين، فسمعَ هذا لغة هذا، وهذا لغة هذا؟ فأخذ كلّ واحد من صاحبه ماضيه إلى لغته فتركّبت هناك

1)- السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 262/1.

لغة ثالثة"[1]، فتداخل اللّغات أو اللّهجات قد يكون في البنية الصرفية كما رأينا من خلال النص الأخير للأصمعي.

وتستنتج بما سبق أن كلا من السماع وكثرة الاستعمال وطول الزمن والمجال الجغرافي؛ كلها عوامل تساعد على تداخل اللغات وتأثرها ببعضها البعض؛ والتي ينتج عنها ظاهرة الاقتراض اللّفظي أو اقتراض التراكيب بدلا من المفردة وهو الأمر الّذي لا يساعد على الحفاظ على النظام النحوي لأي لغة ومن الطبيعي أن كل لغة تحاول الحفاظ على نظامها النحوي الأصلي.

لقد أرجع ابن خلدون سبب تأثير العربية في لغات الأمصار أيام وبعد الفتوحات الإسلامية إلى الدين الإسلامي والسياسة؛ جاء في قوله: "اعلم أنّ لغات أهل الأمصار إنّما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها...، لأنّ النّاس تبعُ للسلطات وعلى دينه فصار استعمال اللّسان العربي من شعائر الإسلام وطاعة العرب وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك..."[2].

ويضيف أيضا إلى تأثر اللسان العربي المضري وذلك بسبب تفشي اللّحن بأنواعه وأشكاله على ألسنة الخاصة والعامة من العرب نظرًا للاختلاط الّذي وقع بين العربية وألسنة الأعاجم في الأمصار الإسلامية؛ وقد أدرك تلك التغيرات الصوتية والتركيبية في كلام العرب الفصيح وعبر عنه بـ"فساد اللسان المضري" وهي البداية لظهور العاميات الإقليمية في الأمصار الإسلامية، وهي التي أطلق عليها اسم "اللّسان الحضري"، وقال: "ثم فسد اللسان العربي بمخالطتها في بعض

---

1)- السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1/263-264

2)- ابن خلدون: المقدمة، دار القلم، بيروت، ط9، 1989، ص379.

أحكامه وتغيّر أواخره وإن كان بقي في الدّلالات على أصله وسمّي لسانا حضريًا في جميع أمصار الإسلام"[1].

ومن الأسباب الاجتماعية والنفسية التي أدت إلى تأثر الألسنة الأعاجم في الأمصار باللغة العربية وهجرهم لألسنتهم الأصلية هو حبهم الشديد للدّين الإسلامي وإقبالهم عليه طوعًا وليس قهرًا، فأحبّوا العرب والعربية من خلاله وشهد التاريخ الإسلامي أن حسن معاملة الحكام المسلمين لهؤلاء الأقوام من الأعاجم أثناء وبعد الفتوحات جعلهم يدخلون في الدين الإسلامي أفواجا أفواجًا.

ويضاف إلى ذلك دور الدعاة المسلمين المهم في جلب وتحبيب الأعاجم في الإسلام وفي اللّغة العربية؛ قال أحمد مختار عمر في إسلام أهل البربر: "لم يكن هؤلاء الدعاة وحدهم السبب في إقبال البربر على الإسلام، فقد كانت القدوة الحسنة والمعاملة الطيبة التي عامل بها الحكام الصالحون رعيتهم من الأسباب الهامة في تحبيب في ذلك الدين الوافد وجعلهم يشعرون بالسيادة والطمأنينة والرضا في ظله"[2].

ولم يكن تأثير العربية منحصرًا في الجانب النطقي فقط، بل تعداه إلى الجانب الكتابي أيضًا كما يظهر ذلك في اقتباس بعض اللغات الحروف العربية للتعبير عن لغاتها الأصلية، ونجد هذا التأثير خاصة في البلاد الأسيوية والإفريقية وغيرها نحو اللغة الكردية، والأفغانية، والكشميرية والبنجابية (ولاية بنجاب في شمالي الهند)، والسواحلية (إفريقية الشرقية)...الخ، فقد ذكر رفائيل نخلة البسوكي أن عدد اللّغات التي أخذت حروف العربية هو سبع وثلاثون لغة، معتبرًا أن تلك

---

1)- ابن خلدون: المقدمة، ص379.

2)- أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة في مصر والمغرب، عالم الكتب القاهرة، (د.ت)، ص246-247.

العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية قد أفضت حتما إلى شدّة تأثير العربية في تلك اللّغات، وقد دخل قاموس سجل منها عدد من الكلمات العربية، بحيث لا تكاد تجد جملة طويلة في تلك الألسن لا تحوي عدّة عناصر عربية[1].

لقد كان للعربية ابتداء من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي تأثيرا كبيرا في اللّغات الأوروبية، استمر طيلة وجودها في الطرف الجنوبي من أوربا في الأندلس وصقلية وما حولهما من الجزر حتى آخر القرن الخامس عشر ميلادي، إذ كان وجود العربية قد تقلّص في تلك البلاد، فإنّه ترك بصماته على ألسنة أهلها المتكلمين بالإسبانية، أو البرتغالية، أو غيرهما من اللّغات المحلية حتى الآن.

وعن تأثير العربية في الإسبانية والبرتغالية، نجد الأب جان دي صوصة (ت.1842م) قد صنّف "معجم الألفاظ الإسبانية البرتغالية المشتقة من العربية" وحوى هذا المعجم حوالي ثمانية عشر ألف كلمة مشتقة من أصل عربي، في اللغة الإسبانية والبرتغالية[2].

لقد اهتم بعض الباحثين الأوربيين بدراسة الألفاظ العربية الدخيلة في المعجمات وتتبع تاريخ دخولها فيها، فالكاتب الفرنسي بيير جيرو أقرّ بتأثير اللّغة العربية في اللّغة الفرنسية وقدم قائمة من مائتين وثمانين كلمة دخلت من العربية إلى الفرنسية في عصور مختلفة من التاريخ.

كما عني فريق آخر بدراسة هذه الكلمات العربية الدخيلة بإظهار الوسائل والطرق التي دخلت من خلالها إلى فرنسا ولغتها مؤكّدا على توثيق تلك المعلومات وإسنادها بالدليل العلمي المتوفر، وقدم قائمة حوت أكثر من ستمائة كلمة.

---

1)- ينظر: رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللّغة العربية، بيروت، 1960، ص124-125.

2)- ينظر: سعيد بيومي: أم اللّغات، ص164 وما بعدها.

كما نجد أبحاثا أخرى ومقالات نشرت في هذا الصدد في غير فرنسا؛ ففي رومانيا مثلاً نجد باحثين أكاديميين مثل: نيكولاي دوبرشان الّذي قام بتتبع ودراسة الألفاظ العربية الأصل الدخيلة في اللّغة الرومانية عبر التاريخ، فقال في هذا المجال: "دخلت عدّة مئات من الألفاظ العربية اللغة الرومانية بواسطة لغات أخرى، وقد دخل معظم هذه الألفاظ –أي أكثر من 400 مفردة– إضافة إلى مئات أخرى من المشتقات منها في اللغة الرومانية وفقًا لقواعد اللّغة التركيبية وفي بعض الحالات ساعدت لغات بلقانية أخرى مثل البلغارية والصربية في عملية انتقال هذه الألفاظ من العربية إلى الرومانية ولا تزال تستخدم في اللغة الرومانية الأدبية المعاصرة ما يقارب مائة لفظة عربية الأصل بصورة عادية، بالإضافة إلى المشتقات منها، كما دخل عدد آخر من الألفاظ بواسطة اللّغات الرومانسية؛ الإسبانية والإيطالية وبخاصة الفرنسية، وفي الوقت الأخير بواسطة اللّغة الانجليزية"[1].

وقد يظن البعض أنّ اللّغة الانجليزية كانت بعيدة عن تأثير العربية فيها لأن الجزر البريطانية كانت بمنأى عن موجة الفتح العربي الإسلامي لجنوب أوربا، وحوض البحر المتوسط، ولكن الغزو العلمي العربي لم يترك مكانا في أوربا دون أن يبلغه. وهكذا وجَدنا في الانجليزية قدرًا كبيرًا من الألفاظ ذات الأصول العربية يصل بها بعض الباحثين إلى بعض مئات، دخلت إلى الانجليزية مباشرة أو بالواسطة، ولكن صلة العربية بالانجليزية بدأت متأخرة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي لمدة خمسة قرون على الأقل بعد ذلك[2].

---

1)– د. نيكولاي دوبرشان: تطور دلالات الألفاظ العربية الأصل في اللغة الرومانية، المجلة العربية للثقافة، تونس، العدد 28 شوال 1415هـ، مارس 1995م، ص171.

2)– ينظر: عبد الصابور شاهين: دراسات لغوية، ص229–230.

وللألفاظ العربية طبيعة الصوت المتغلغل في الأثير، فمن لغة الأسبان والترك والروم إلى سائر اللغات الأوروبية، وبعد حيز من الزمن تعود إلينا هذه الألفاظ العربية كالطيور المهاجرة إلى مواطنها، ولكن بعد أن تغير من ألوانها، وأطواقها وأجراسها وأصواتها، وكأنّما يقودها إلينا دافع الحنين إلى الوطن في البلاد العربية.

فلظاهرة الاقتراض بين اللغات هو أمر أجمع عليه علماء اللّغات، ولم يحتج منهم أي دليل للبرهنة على وقوعه في العصور القديمة أو الحديثة، واستعمال لفظ "الاقتراض" في هذه الظاهرة ليس إلاّ من قبيل التجوّز، أو المجاراة لاصطلاح اللغويين المحدثين، فليس اقتراض الألفاظ اقتراضًا بمعناه الدقيق بل ينتفع بها كل من اللغتين، وليست اللغة المستعيرة مطالبة برد ما اقترضته من ألفاظ اللّغات الأخرى[1].

فما يسمى "اقتراض الألفاظ" ليس في الحقيقة إلاّ نوعا من التقليد، مثله كمثل تقليد الطفل للغة أبويه أو الكبار حوله غير أنّه تقليد جزئي يقتصر على عناصر خاصة، في حين أن تقليد الطفل للغة أهله تقليد كلّي يتناول كل ما يسمع من ألفاظ[2].

واقتراض الألفاظ عمل يقوم به الأفراد كما تقوم به الجماعات، وفي العصور الحديثة قد تقوم به الهيئات العلمية كالمجامع اللّغوية وأمثالها على أن عمل الفرد هنا لا يظل عملاً منعزلاً عن الناس، بل رغم أنه يبدأ العمل فردي لا يلبث في غالب الأحيان أن نقلدهُ مجموعة من الأفراد وينتشر بالاستعمال، ثم يصبح ملكا للجماعة كلها ويكون حينئذ عنصرًا من عناصر اللغة المستعيرة.

---

1)- ينظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص97.

2)- ينظر: نفسه.

وفي أغلب الأحيان يكون اقتراض الألفاظ وليد الحاجة حينًا، أو الإعجاب حينًا آخر. وينظر المرء عادة إلى لغته على أنها ملك له ومن حقه أن يزيد عليها ما يشاء من الألفاظ اللّغات الأخرى...، ولهذا نلاحظ أن المرء وهو يتكلم بلغة أهله وبيئته قد يقحم في كلامه بعض الألفاظ الأجنبية، في حين أنه في أثناء كلامه بلغة أجنبية لا يسمح أبدا باقتباس شيء من ألفاظ لغته، خشية أن يعد هذا مظهرا من مظاهر العجز، أما في الحالة الأولى فيشعر المرء عادة أن اقتباس للّفظ الأجنبي وإقحامه في كلامه مظهرًا من مظاهر الكمال والافتخار[1]، فنلاحظ أن من دوافع اقتراض الألفاظ هو الجانب النفسي والعقلي للفرد أو الجماعة أثناء استعمال اللغة.

بل ولقد لوحظ أن بعض الكتاب والأدباء ممن تعلموا لغة أجنبية فأتقنوها وأصبحوا يكتبون بها في بعض الأحيان، يقترضون ويستعيرون الألفاظ الأجنبية في أثناء كتاباتهم بلغة أبائهم وأجدادهم، ثم لا يكادون يسلكون المسلك نفسه في الكتابة بتلك اللّغة الأجنبية[2].

وقد كان هذا واضحا بين مؤلفي الفرس في العصور الإسلامية، ممن أتقنوا العربية مع لغتهم، فكتبوا بهذا حينًا وبتلك حينا آخر، فقد لوحظ أن كتبهم المؤلفة بالفارسية مشحونة بكلمات عربية وليس العكس[3]، ومن الصعب جدا الكشف عن المصدر الأول أو المسؤول الأول في هذا الاقتراض اللّفظي، فلا نكاد ندري إلا في النادر من الحالات من هو أول شخص استعار لفظًا معينا نظرا لنقص الدلائل التاريخية أو الأدلة الشفوية التي تثبت ذلك.

1)- إبراهيم أنيس: من أسرار اللّغة، ص98.

2)- نفسه.

3)- نفسه.

والمرء حين يقترض لفظًا أجنبيا، ويستعمله في كلامه أو في كتاباته يحاول عادة أن يصيغ ويشكل ذلك اللّفظ حسب عاداته النّطقية وعلى حسب قواعده اللّغوية حتى يصبح على نسج لغته؛ سواء من ناحية الأصوات أو من ناحية الصيغ، وتساعد هذه العملية على شيوع اللّفظ الأجنبي بين أفراد البيئة لسهولة تناوله حينئذٍ والنطق به.

ولهذا كانت الكثرة الغالبة من الألفاظ المستعارة في كلّ اللغات تتخذ شكلاً مألوفًا في اللّغة المستعيرة ومن النادر جدًا أن يبقى اللّفظ المستعار على حاله دون تغيير في أصواته أو صيغه، ولا يتم هذا في غالب الأحيان إلاّ حين يثق المستعير بقدرته على نطق اللّغة الأعجمية، وحين يرغب في إظهار مهاراته بين أفراد بيئته، فكلما تمكن المرء في معرفته اللّغة الأجنبية، مال إلى عدم التغيير في ألفاظها المستعارة أو التبديل من مظهرها.

والملاحظ أيضا أن بعض الهيئات تحاول عادة الاحتفاظ بمظهر الكلمات الأجنبية حين تتخذ كمصطلح علمي[1]، وعلى العكس من ذلك في العصور القديمة كانت الألفاظ المستعارة تأخذ شكل الألفاظ في اللّغة المستعيرة من حيث الأصوات والنبر...الخ، وهو أمر سنطرقه في الفصول اللاحقة، ولكن الاتجاه في العصور الحديثة نحو الإبقاء على كل خصائص اللّغة الأجنبي المستعار بين لغات أوربا. وقد أصبح اقتراض الألفاظ وتبادلها بين لغات أوربا أمرًا مألوفا ومن السهل على الدارس للّغة من اللغات أن يتبيّن تلك الألفاظ المستعارة، بل تحرص المعاجم المؤلفة لهذه اللغات على بيان الكلمات الأصلية والكلمات المقترضة مع ذكر اللغة المستعارة منها.

1)– إبراهيم أنيس: من أسرار اللّغة، ص99.

وكان أصحاب هذه اللّغات الأوربية في أوائل القرن العشرين لا يرون غضاضة أو منقصة في استعارة أو اقتراض الألفاظ الأجنبية، بل ينظرون لمثل هذا العمل على أنه نوع من المبادلة الثقافية[1].

فلما نشأت القومية المحلية في بعض جهات أوروبا، وتعصب لها أهلها، بدأ بعض الزعماء القادة في هذه الشعوب يعملون جهدهم على تخليص لغتهم من كلّ عنصر أجنبي، حاول هذا "هتلر" في ألمانيا، وحاول بعض زعماء روسيا السوفييتية؛ وحاول أيضا ذلك "مصطفى كمال" في تركيا، ولكن هذه الحركات والمحاولات باءت بالفشل ولم تحقق هدفها، لأنها محاولة الوقوف ضد التيار التطور والنمو اللّغوي ومن منا يزعم أو يدعي أن هناك لغة خالصة من كلّ شائبة أجنبية، إلا أن تكون إحدى تلك اللغات البدائية المنعزلة في الأطراف النائية من الكرة الأرضية. وفي العصر الحديث يوجد لغات يتحرج أهلها في قبول كل أجنبي من الألفاظ، وأخرى ترحب بذلك الفيض الوافد من المفردات المستعارة، كالانجليزية التي يؤكد لنا بعض الباحثين أن نصف كلماتها أجنبي الأصل[2].

ويرى إبراهيم أنيس أن الألفاظ المستعارة صنفان: منها تلك التي دعت إليها الضرورة الملحة، وذلك حين تتميز بينه من البيئات بنوع خاص من المنتوج الزراعي كالأشجار أو الأزهار أو الحيوان، أو حين تنفرد تلك البيئة بإنتاج صنف معين من المأكولات أو الحلويات أو المشروبات، وفي هذه الحالة حين تقع أمة من الأم على هذا الشيء الخاص وتستجلبه إلى بلادها، يفد إليها مصاحبا للفظه أو باسمه الخاص الّذي يعبّر عنه مثل:

---

1)- المرجع نفسه.

2)- ينظر، إبراهيم أنيس: من أسرار اللّغة، ص100.

- كلمة (Tea) أخذتها اللغات الأوربية من اللغة الصينية حين شاع شرب الشاي في أروبا.
- وكلمة Coffee من اللّغة العربية.
- وكلمة (Chocolate) من اللّغة المكسيكية، ففي بلاد المكسيك تكثر زراعة الكاكاو، ومنه تصنع الشيكولاتة.
- من الفارسية كلمة ياسمين (Jasmine).
- ومن لغات وسط افريقيا كلمة "شمبازي"[(1)].

فمثل هذه الكلمات تكاد تكون عالمية لا تتحرج أية أمة في استعارتها والانتفاع بها فهي ألفاظ مشتركة بين جميع لغات العالم.

ومن الاقتراض أيضًا ما تدعو إليه الضرورة كذلك الألفاظ الثقافية التي تقتبسها أمة أقل ثقافة من أمة أخرى، وقد تمّ هذا في العصور القديمة كما لا نزال نشهده بين الأمم الحديثة فقد اقتبست اللغات الأوروبية بعض المصطلحات العلمية من اللغة العربية، مثل: الجبر Algèbre والصفر= Zéro، أو Chiffre.

واستعارت الانجليزية من الإيطالية بعض المصطلحات الموسيقية مثل: Soprano, Allegro, Piano.

كما يوجد اقتراض الألفاظ الّذي لا مبرر له سوى الرغبة في الافتخار وحب الظهور، أو الّذي يكون نتيجة إعجاب أمّة بأخرى والميل إلى تقليدها في معظم مظاهرها الاجتماعية وفي ألفاظ لغتها، فأمثلتها كثيرة في كلّ اللغات قديمها وحديثها[(2)].

---

1)- إبراهيم أنيس: من أسرار اللّغة، ص100-101.

2)- المرجع نفسه، ص101.

وقد بلغ إعجاب الفرس والترك بلغة العرب أن اقتبسوا معظم كلماتهم من اللّغة العربية؛ ذلك لأن هاتين الأمتين ظلتا تحت تأثير الثقافة العربية لعدّة قرون.

ويعيش اللّفظ المقترض في حالة الاقتراض الّذي لا مبرر له جنبًا إلى جنب اللّفظ الأصيل زمنًا معينًا، بعده قد يندثر ذلك اللّفظ الأصيل؛ فقبل الغزو النورماندي كانت كلمة (Library) التي هي من أصل فرنسي، يعبر عنها بكلمة (Book-Board)، وقد يحدث في كثير من الأحيان أن يبقى اللّفظان مستعملين في اللّغة مع نسبة متفاوتة من شيوع كلّ منهما، أو وضوح دلالتها؛ فقد استعار العرب القديم مع كلمة الحرير، العربية الأصل كلمات فارسية أو غير عربية للتعبير عن المعنى نفسه مثل: الديباج، والاستبرق، والدمقس[1].

ولكن أصحاب المعاجم العربية يحاولون الوقوف على الفروق الدلالية الضئيلة بين مدلول كلمة "الحرير" وغيرها من تلك الكلمات الأجنبية، ويرى إبراهيم أنيس أن المسؤول عن تلك الفروق الدلالية بعض تجار مكة، ممن كانوا يستوردون الأقمشة الحريرية من بلاد الفرس، فحاولوا أن يضيفوا على بضائعهم صفات خاصة، ليست في الحرير بمعناه العام المألوف[2].

وكثيرا من الألفاظ المقتبسة من اللّغات الأخرى تكون نتيجة عن استيراد بعض المنتجات الاقتصادية والتي تمثل الجانب المادي للحضارة الأمة، فيعمد بعض أصحاب الشركات والمصادر إلى اقتباس كلمة أجنبية التي تشكل اسم لمسميات صناعية أجنبية؛ وفي بعض الحالات يقتبسون كلمة أجنبية فيلصقون بها على

1)- ينظر، إبراهيم أنيس: من أسرار اللّغة، ص101.

2)- المرجع نفسه، ص102.

بضائعهم أو مصنوعاتهم، وذلك رغبة في الدعاية والإعلان عنها، ثقة منهم أن جمهور النّاس يقبلون وينجذبون إلى كل ماهو غريب في مظهره أو في مسماه.

ويرى إبراهيم أنيس أن اللّغة الانجليزية من أكثر اللّغات استعدادًا لقبول الدخيل فيها من حيث الألفاظ، قال: "وتعدّ اللّغة الانجليزية من أكثر اللغات استعدادًا لقبول الألفاظ الأجنبية والترحيب بها، ذلك لأنّه لما دخلت الانجليزية السكسونية الجزر البريطانية، بدأت الاقتراض من اللّغة الكلتية التي كانت سائدة بها، ثم جاء الغزو والنورماندي فاستعارت الانجليزية كثيرا من الألفاظ الفرنسية، وفي عصر النهضة الأوروبية بدأت الانجليزية تستمد قدرًا كبيرًا من الألفاظ من اليونانية والإيطالية والعربية، ومن الكلمات العربية التي اقتبستها الانجليزية غير المصطلحات العلمية التي أشرنا إليها آنفا ترجمان Dragoman، منارة Minaret"[(1)].

وبعض الألفاظ دخلت الانجليزية عن طريق غير مباشر فكلمة "سلام" العربية اقتبسها أهالي الملايو ونطقوا بها "Salang"، ثم اقترضها الانجليز من الملايو وأصبحت على ألسنتهم "So long"، ومثل هذا الاقتراض غير المباشر يؤدّي في كثير من الحالات إلى غموض في صورة الكلمة الأصلية، فيصبح من الصعب التعرف عليها.

ويقال دائما أن البحث في الألفاظ ومحاولة إرجاعها إلى بيئتها ونسبتها الأصلية محل للزلل في كثير من الأحيان؛ فقد يتصور الباحث أن كلمة من الكلمات أصلها انجليزي، ثم يتضح فيما بعد أن لها أصلا آخر.

ويذكر إبراهيم أنيس في هذا الشأن قصة الشاب الياباني الّذي أراد القيام بتقصي الألفاظ الانجليزية التي دخلت اللّغة اليابانية ثم تبيّن له في آخر الأمر أن

1)– ينظر، إبراهيم أنيس: من أسرار اللّغة، ص102.

تلك الألفاظ التي ظنها الانجليزية لم تكن إلا يابانية في أصلها، حملها البحارة الانجليز إلى بلادهم، وأخذت النسيج المألوف في الكلمات الانجليزية وكالنبر في اللفظ الانجليزي، ثم تنوسِيَ هذا الأصل وعادت تلك الكلمات إى بيئتها الأصلية في اليابان وحسبوها أجنبية عنهم[1].

4- العربية وعلاقتها بالاقتراض:

إن تبادل التأثير والتأثر بين اللغات قانون اجتماعي إنساني، وتعد ظاهرة الاقتراض بعض اللغات من بعض حالة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغات المحدّثون أدلة لا تحصى، وظاهرة الاقتراض مستمرة ما دامت اللغات حيّة، وقد سجلت الدراسات اللغوية العربية أن اللّهجات العربية القديمة تبادلت التأثير فيما بينها؛ بتبادلها الألفاظ والتراكيب ووسائل التعبير[2].

لقد سلكت اللغة العربية مسلك غيرها من اللغات، فاقترضت قبل الإسلام وبعده ألفاظا أجنبية كثيرة، ولم يجد العرب القدماء في هذا غضاضة أو ضير بلغتهم التي أحبوها واعتزّوا بها.

واقتصر تأثير اللّغات الأجنبية في اللّغة العربية على دخول بعض المفردات الغريبة التي تخص المحسوسات والماديات دون المعنويات كأسماء الألبسة والأطعمة والنباتات والحيوان، وشؤون المعيشة أو الإدارة، كالطيلسان والبنفسج والبستان، والباشق، والكعك، والفولاذ والجوسق والبرنامج، والنموذج، والمهرجان والكاغد،

1)- ينظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللّغة، ص102-103.

2)- ينظر: صبحي الصالح: دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1980، ص315.

والأستاذ، والتلميذ، والديوان، والساذج، والسرداب، والسكر، والنرجس...الخ، وأكثر هذه الألفاظ أخذ عن الفارسية، وقليل منها أخذ عن اليونانية أو غيرها(1).

وأكّد إبراهيم أنيس هذه الفكرة بقوله: "وكانوا في اقتراضهم لتلك الألفاظ يعمدون –في أغلب الحالات– إلى تلك التي تعبر عن أمور غير مألوفة في شبه الجزيرة، من أزهار وطيور وخمور وأدوات منزلية، وغير ذلك من كلمات تتطلبها مظاهر الحضارة والمدنية لدى الأمم العريقة التي كانت تتاخم الحدود العربية كالفرس واليونان؛ أي إن استعارتهم في مثل هذه الحالات كانت استعارة ضرورة وحاجات ملحّة، على أنّهم في القليل من الأحيان قد اقتبسوا أيضًا بعض تلك الألفاظ الأجنبية التي لها نظائر في لغتهم في المعنى والدلالة؛ إمّا لإعجابهم بأصحاب هذه الألفاظ والشعور بأنهم أرقى ثقافة وحضارة أو للدّعاية والتفكه، ولاسيما في شعر بعض الشعراء من الجاهليين"(2).

ويحكى أن عدّي بن زيد العبادي الّذي تربّى في بلاط الأكاسرة كان له شعر كثير مملوء بالكلمات الأعجمية(3). وكان بعض العرب يتكلمون بالفارسية ولم يكتفوا بذكر المعرّب في شعرهم، قال صلاح الدين المنجد في هذا الشأن: "كان من نتيجة هذا التعايش الاجتماعي قبل الفتوح وبعدها أن انتشرت اللّغة الفارسية

---

1)– ينظر: محمد المبارك: فقه اللّغة وخصائص العربية –دراسة تحليلية ومقارنة للكلمة العربية–، دار الفكر– ط5، 1973، ص295.

2)– إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص103.

3)– المرجع نفسه.

بين العرب، فتراهم لا يقنعون بذكر الألفاظ الفارسية المعرّبة في شعرهم الفصيح، بل كانوا يتكلّمون بالفارسية، أو ببعض جمل أو ألفاظ منها في كلامهم اليومي"[1].

ويعد "الأعشى" من أشهر من عرف بين شعراء الجاهلية باقتباس الكثير من تلك الألفاظ الأعجمية في شعره، مثل قوله:

مثل الغُواتي إذا ما طما يَقذف بالبوصيّ والماهِرِ

قال ابن دريد والبوصي: "ضرب من السُفن وهو بالفارسية "بوزي"وقد تكلّموا به قديما. قال طرفة: كَسُكَّان بوصيّ بدِجلةَ مُصْعِدِ"[2].

كما وردت عدّة ألفاظ أعجمية في شعر بعض الشعراء الإسلاميين كالفرزدق وجرير والأخطل، ثم زادت نسبة ورودها في شعر العباسيين، وكانت الكلمة الأعجمية التي يشيع استعمالها لدى العرب القدماء بأخذ النسيج اللغوي العربي، فبتغير شكلها وتبدل بعض حروفها، وبتغيير موضع النبر منها حتى تصبح على صورة شبيهة بالكلمات العربية، وهي تلك التي سماها علماء العربية بالمعرّب، أمّا غيرها من الكلمات الأجنبية التي بقيت على صورتها الأصلية فقليل عددها، وقد ظلت قليلة الشيوع، وأطلق عليها "الأعجمي الدخيل" كأنما أريد بهذا استبعادها عن الألفاظ العربية الأصيلة، ولكن المؤلفين من المتأخرين لم يلتزموا هذا الوصف وهذا التمييز في علاجهم للألفاظ التي اقترضتها العرب.

---

1)- د. صلاح الدين المنجد: المفصّل في الألفاظ الفارسية المعرّبة في الشعر الجاهلي- والقرآن الكريم- والحديث النبوي الشريف- والشعر الأموي، مؤسسة بعينو للتجليد بيروت، مطبوعات بنياد فرهنك إيران، ط1، 1978، ص23-24.

2)- أبو منصور الجواليقي: المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد شاكر، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة، ط4، 2002، ص54.

وقد كثر وزاد عدد تلك الألفاظ الأعجمية وخاصة على يدي العلماء الّذين لم يكونوا من أصل عربي، فقد ألفوا بالعربية كتبًا ورسائل علمية حول الحيوان والنبات والطب، وحشدوا فيها قدراً كبيرا من تلك الألفاظ وذلك ما يعرب بالمصطلحات العلمية، على نحو ما فعل الفرابي، والرازي، وابن سينا وغيرهم.

ولما بدأ أصحاب المعاجم تصنيف معاجمهم، حاولوا تحاشي ذكر الكثير من تلك الألفاظ الأعجمية، ولكن المتأخرين منهم كالفيروز آبادي شحن قاموسه بعدد كبير جدًا من تلك الألفاظ، مما عيب عليه، وعدّ بمثابة الوصمة في معجمه[1].

ولم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري، حتى بدأ الاختلاف بين العلماء العرب حول معظم تلك الكلمات ولاسيما ما ورد منها في القرآن الكريم، فينكر أبو عبيدة معمر بن المثنى وجود كلمات أجنبية بين ألفاظ القرآن، ويقول قولته المشهورة (من زعم أن في القرآن لسانًا سوى العربية فقد أعظم على الله القول).

وأمّا القائلون بإمكان وقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن فقد اعتمدوا على ما روى ابن عباس ومجاهد وعكرمة من أن أمثال: (السجيل، ومشكاة، وأباريق، واستبرق، واليم، والطور) من غير لسان العرب، ويرى أصحاب هذا الرأي أن ابن عباس وصاحبيه أعلم بالتأويل من أبي عبيدة.

ثم حاول بعض العلماء القدماء التوفيق بين الرأيين، ووقفوا من هذه المسألة موقفا وسطًا، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت.224هـ) صاحب غريب المصنّف قال: "والصّواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أنّ هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنّها وقعت للعرب فعرّبتها بألسنتها

---

1)- ينظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص104.

وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثمّ نزل بها القرآن. وقد اختلطت هذه الحروف (الكلمات) بكلام العرب فمن قال إنّها عربيّة فهو صادق ومن قال عجمية فصادق"[1].

والمتصفّح لكتب فقه اللغة الحديثة يدرك مدى تأثّر الدارسين المحدثين بهذا القول وكثرة دورانه في كتبهم.

كما حاول أيضا بعض المتأخّرين من العلماء التوفيق بين الرأيين وظهر لهم أنّ لا خلاف بينهما، ونادوا بتلك الكلمات التي جاءت في القرآن الكريم وصفت بالأعجمية، إنّما هي ألفاظ اقتبستها العرب القدماء للّغات أجنبية وصقلوها وهذّبوا صورتها ثمّ شاعت في كلامهم قبل الإسلام، فلمّا جاء الإسلام وجدها فيها، فمثلها مثل كلّ الكلمات العربية التي كانت تجري على ألسنتهم ولدى تعدّ من اللّسان العرب، غير أنّها على حسب أصلها البعيد أعجمية ومستمدّة من لغة أجنبية[2].

ومن نتائج التأثير والتأثر بين اللّغات اقتراض الأساليب أو التعابير بين اللغات الّذي يتمّ عادة عن طريق الترجمة، وحين تعجب أمّة بأخرى في ثقافتها وعلومها، أو تتأثّر بها سياسيا أو اقتصاديا. ولعلّ أبرز مثال لهذه الناحية من الاقتراض ما نلاحظه الآن في الأساليب الصحفية، بل وبعض الأساليب الأدبية التي وفدت إلى لغتنا العربية الحديثة من ربوع أوروبا مثل: ذر الرماد في العيون،

---

1)- جلال الدّين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 137/1.

2)- ينظر، إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص104.

ويكسب خبزه بعرق جبينه، ولا يرى أبعد من أرنبه أنفه، ويلعب بالنار، ولا جديد تحت الشّمس، وألقى المسألة على بساط البحث[1].

وهذا النوع من الاقتراض قد يؤثّر في نظام الجملة العربية (Syntax)، في العصر الحديث بإقحام الأساليب الأجنبية في اللغة العربية وقد ساهم بعض الأدباء المعاصرين في ذلك، ولاسيما الّذي تأثّروا بالثقافة الأوروبية؛ كالعقّاد وطه حسين، وغيرهم، وهكذا جاءتنا بعض الاستعمالات التي لم تعرفها العربية من قبل؛ مثل:

- كم هو جميل أن نرى.
- كثير جدا وجدّا كثير.
- وهو بلاشكّ ضروري.
- سافرت برغم المطر والبرد.
- إنّ أحدًا لا يستطيع[2].

وغير ذلك من الأساليب التي شاعت الآن في العربية الحديثة، وكوّنت عنصرا مهمّا من عناصرها، وهي بلا شكّ وسيلة من وسائل تنمية اللّغة في معانيها ودلالاتها بدون المساس بألفاظها وصيغها. وقد تلقّاها علماء العربية بالقبول ولم يعترضوا على شيء منها.

لقد جمع إبراهيم السامرائي عددا كبيرا من هذه التعابير أو الأساليب الغربية في العربية ودرسها في معجمه جاء فيه: "وتقول: تحت تأثير، وهو بالفرنسية: (Sous l'influence)، ونقول: ضرب الرّقم القياسي أو كسّره وهو بالانجليزية: (He

1)- ينظر، إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص98.

2)- ينظر: نفسه، ص94-95.

(beats the record)"[1]، وفي رأينا أن هذا الكتاب من أفضل ما ألّف في هذا النوع من الاقتراض في العصر الحديث.

كما نستخلص من هذا الجانب من البحث فيما يخصّ تأثّر اللغة العربية باللغات الأخرى وعن علاقتها بالاقتراض مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

- إنّ عدد الألفاظ الأجنبية الدخيلة في العربية قليل جدا إذا ما قيس بعدد مفردات العربية أو إذا ما قيس بالألفاظ العربية التي دخلت اللغات الأخرى كالفارسية. والفارسية بدورها اقترضت ألفاظا عربية كثيرة بعد الإسلام واستعارت طريقة الجمع العربي جمعت عليها بعض الكلمات الفارسية فيقولون مثلا: ده ⟵ دهات، باغ ⟵ باغات، واقتبس الرس كذلك كثيرا من الكلمات العربية في جمع التكسير العربي، فقالوا: أسرارا، أمور، مساجد[2].

- إنّ هذه الألفاظ التي دخلت العربية تتعلّق بالحسّيات لا بالمعنويات وأكثرها مما يدلّ على الأطعمة والألبسة والأدوات والمرافق والمصطلحات الإدارية وقليل منها من المصطلحات الفلسفية وما إليها. وأمّا الألفاظ العربية التي دخلت اللغات الأخرى فهي تتّصل بالمعنويات كالمفاهيم الشرعية أو الخلقية والنّفسية[3].

- إنّ ما دخل العربية من ألفاظ غريبة لم يبق في أكثر الأحوال على حاله بل صيغ وشكّل تركيبه وبناؤه حتى يوافق الأبنية العربية أو يكون قريبا منها[4]، وسنتعمّق بالدّرس في هذه الجوانب في الفصول اللاحقة.

---

1)- د. إبراهيم السامرائي: معجم ودراسة في العربية المعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2008، ص8.

2)- ينظر، إبراهيم أنيس: من أسرار العربي، ص94.

3)- ينظر، محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، ص296-297.

4)- ينظر، محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، ص297.

وكلامنا هنا مقصور عن العربية الفصحى أما تأثير اللّغات الأجنبية في اللّهجات العامية فهو حاصل منذ عهد بعيد؛ وقد بدأ هذا التأثير منذ القرن الثاني والثالث للهجرة، واستمرّ خلال العصور حتى الآن بسبب الظّروف الاستعمارية الطويلة التي مرّت بها البلدان العربية في البلدان العربية في الوطن العربي.

فكان تأثير اللغات الأجنبية للمستعمرين في اللّهجات العامية العربية ولكن العربية الفصحى بقيت في منجاة من هذا التأثير إلاّ في حدود ضيّقة وذلك سببه أنّ العربية محفوظة في القرآن الكريم، وفي المجلّدات العربية وفي المساجد وأماكن الدّرس...الخ.

وكلّ ما يمكن أن نقوله في ظاهرة الاقتراض أنّها ظاهرة إنسانية عالمية واجتماعية ناتجة عن ظروف سياسية واقتصادية وكذلك ناتجة عن الصّراع بين اللّغات واحتكاك بعضها ببعض. والألفاظ المقترضة عبارة عن طيور مهاجرة إلى كلّ قطر من أقطار الكرة الأرضية، ولا يستطيع أيّ إنسان أن يكبح جماحها أو توقيفها، وهي تتسرّب في كلّ لغات العالم كالتيّار الهوائي، وتزداد الثروة اللغوية لكلّ لغة بها حياة وانتعاشا، وتطوّرا عبر التاريخ، كما تعدّ ظاهرة الاقتراض سرّا من أسرار اللّغة وكلّما تعمّقنا في دراستها إلاّ وتبقى جوانب منها غامضة وعجيبة تستدعي الانتباه والتعمّق فيها أكثر.

وما دام موضوع بحثنا يدور حول التعريب اللّفظي في اللّغة العربية فلا بدّ لنا من معرفة مدلول اللّفظ أو الكلمة من الناحية اللّغوية والاصطلاحية لأنّ هذه الظاهرة تظهر جليّا في عملية التأثير والتأثّر بين اللّغات ومتمثّلة في دخول الألفاظ والمفردات بين اللّغات، ويتعدّى هذا الأمر بين الأساليب أو التعابير أيضا ولكنّنا سوف نركّز البحث على الألفاظ أو الكلمات في المباحث اللاحقة.

5- مفهوم الكلمة أو اللّفظ في اللغة العربية:

يعدّ تأليف المعاجم نشاط عملي في الأساس وهناك من يطلق عليه مصطلح صناعة على هذا النوع من النشاط اللغوي، وهو قديم قدم اهتمام الإنسان بالاتصال الكتابي، وحتى نضع معجما لابدّ أن تكون لنا فكرة عن مفهوم الكلمة أو اللّفظ وفهم الطريقة التي تستعمل بها في الخطاب بين الأفراد.

لقد جاء مصطلح "كلمة" في لسان العرب معان لغوية، قال ابن منظور: "القرآن كلام الله وكَلِمُ الله وكلِماتُه وكَلِمتُه، وكلاَم الله لا يَحدّ ولا يَعدّ وهو غير مخلوق...، وفي الحديث: أعوذ بكلمات الله التامّات؛ قيل هي القرآن؛ قال بن الأثير: إنّما وصف كلامه بالتمام لأنّه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون في كلام النّاس، ...وقيل هي إباحة الله الزواج وإذنه فيه. ابن السيدة: الكلام القول، معروف، وقيل: الكلام ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة، والقول ما لم يكن مكتفيا بنفسه، وهو جزء من الجملة، قال سيبويه: اعلم أنّ قلت إنّما وقعت في الكلام على أن يحكى بها ما كان كلاما لا قولا، ومن أدلّ الدّليل على الفرق ليس الكلام والقول إجماع النّاس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله، ...وممّا يدلّ على أنّ الكلام هو الجمل المركّبة في الحقيقة قول كثير:

لَو يَسمَعونَ كما سَمِعتُ كلامَها   خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وسُجُودَا

وقد قال سيبويه: هذا باب أقلّ ما يكون عليه الكلم، فذكر هنالك حرف العطف وفاؤه ولام الابتداء وهمزة الاستفهام، وغير ذلك ممّا هو على حرف واحد وسمّي كلّ واحدة من ذلك كلمة. الجوهري: الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلمُ لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات لأنّه جمع كلمة مثل: نبَقَة ونَبِق،

ولهذا قال سيبويه: هذا باب علم من كلِمُ من العربية، ولم يقل ما الكلام لأنّه أراد نفس ثلاثة أشياء: الاسم، الفعل، والحرف، فجاء بما لا يكون جمعا وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة، وتميم تقول: هي كِلْمة، وحكى الفرّاء فيها ثلاث لغات: كَلِمَة، وكِلْمَة، وكَلْمَة...، وقد يستعم الكلام في غير الإنسان؛ قال:

فَصبَّحت، والطَّيْرُ لَمَ تَكلَّمِ   جَابِيَةً حُفَّت بِسَيْلِ مُفْعَمِ

والكِلْمة: لغة تميمية، والكلمة: اللّفظة حجازية وجمعها كَلِمٌ تذكَّر وتُؤنّث"[1].

ولقد تناول أيضا الزمخشري (ت.538هـ) مصطلح اللّفظة من الناحية المعجمية في أساس البلاغة، قال: "لفظ النوى. وكأنّها لفظ العجم، ولفظه: ما لفظ منه. ولفظَ اللّقمة من فيه رمى باللّفاظة وهي ما يلفظ، ومن المجاز: لفظ القول ولفظ به، (ما يلفظ من قول)، ويقال ما يلفظ بالشيء إلاّ حُفِظ عليه"[2]. نلاحظ من هذا النصّ أن الزمخشري أضاف مصطلحا آخر مرادفا لمصطلح اللّفظ وهو "القول".

إذن فالكلمة عند الزمخشري هي ما توافر فيها شروط ثلاثة: الصوت؛ وقصد المعنى أو الوضع، ثمّ الاستقلال بدلالة محدّدة، وهذه الأفكار عرضها أيضا ابن يعيش (ت.643هـ) في كتابه شرح المفصّل مبيّنا أفكار الزمخشري؛ فالصوت إذا وقصد المعنى هما جوهر الكلمة عند الزمخشري[3].

---

1)- ابن منظور: لسان العرب، مادة (كَلِمَ).

2)- الزمخشري: أساس البلاغة، دار المعرفة بيروت، (د.ت)، مادة (لَفَظَ).

3)- ينظر، د. حلمي خليل: الكلمة، ص21.

أمّا جلال الدّين السيوطي (ت.911هـ) فقد قسّم في تعريفه للكلمة واللّفظ إلى بابين في كتابه الأشباه والنّظائر؛ فجاء قوله في باب الألفاظ: "ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت، وإن اشتمل على حرف ولم يفد معنى فلفظ، وإن أفاد معنى فقول، فإن كان مفردا فكلمة أو مركّبا من اثنين ولم يفد بشبه مقصودة لذاتها فكلة، أو أفاد ذلك فكلام، أو من ثلاثة فكلم"[1].

وأضاف إلى ذلك في باب الكلمة قائلا: "الكلمة إمّا اسم وإمّا فعل، وإمّا حرف، ولا رابع لها والأدلة على ذلك ثلاثة أحدها: الأثر، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه أبو القاسم الزجاجي في أماليه بسنده إليه. الثاني: الاستقراء التام من أئمة العربية، كأبي عمرو والخليل وسيبويه ومن بعدهم"[2].

نلاحظ أن السيوطي كان متأثرا في تصوره لمفهوم الكلمة بوظائفها النحوية إلى حدّ بعيد على الرغم من أنّه ذكر فكرة الاستقلال الدلالي أو قصد المعنى، والفرق عنده بين اللّفظ والكلمة هو إفادة لمعنى أو القصد. كما نلاحظ أيضا أنّه ركّز أيضا على الجانب الدلالي في تحديده لمفاهيم: اللّفظ، والكلمة، والقول، والكلام، والكلم، والجملة في نصّه الأول في باب اللّفظ.

غير أن ابن مالك توفّي (ت.672هـ) كان قد لخّص لنا موقف النحاة تقريبا في مفهوم الكلمة في ألفيته حين قال:

كَلاَمُنَا لفْظٌ مفيد كَاسْتَقِم   واسْمٌ وفِعلٌ ثمَّ حرفٌ الكَلِمْ
وَاحِدُهُ كلمَة والقَولُ عَمْ   وكَلمَةٌ بِها كلاَم قَد يُؤَمْ
بالجرِّ والتَّنوِينِ والنِّدَا وألْ   ومسنَدٍ للاسْمِ تَمِييزٌ حَصَلْ

---

1)- جلال الدين السيوطي: كتاب الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ج2، ص7.

2)- المصدر نفسه، ص7.

بِتَافَعَلْـت وأَتَـت رَبَـا افْعَلِـي ونُـون أقْـبِلنَ فِعـلٌ يَنْجَلِـي

سِوَاهُما الحرْفُ كهَلْ وفِي ولَمْ فِعلُ مضَارِعٌ بَلِّى لَمْ كَيْشَمْ[1]

فهو في الأبيات الأولى يفرّق بين مصطلحات أربعة شغلت النحاة؛ وهي الكلمة، والكلِم والكلام والقوْل، وما يهمنا هنا تصوره للكلمة، فيرى أن الكلام هو اللّفظ المفيد، ولا يكون مفيدا إلاّ إذا كان مركّبا، وليس معنى هذا أنّه ينفي وجود الكلمة، وإنّما يرى كما رأى غيره من النحاة أنّ للكلمة وجودا مستقلاّ، ولكنّها ذات معنى جزئي، إذ هي وحدة الكلام، وتصوره للعلاقة بين الكلمة والكلام إنّما ينبع أساسًا من رؤيته النحوية للكلمة، من دون خصائصها اللغوية[2].

ونستنتج من هذا كلّه أن الكلمة كما تصوّرها النحاة القدماء عبارة عن صوتين صائت وصامت (متحرّك وساكن) أو أكثر... وتدل على معنى مستقل مفرد؛ أي أنّ تصوّرهم للكلمة يقوم على أصول ثلاثة:

- الصوت.
- الاستقلال.
- الدلالة المفردة أو الجزئية.

ويرى حلمي خليل في هذا التصور أنّه ينطبق في بعض جوانبه مع آراء بعض علماء اللّغة المحدثين الّذين حاولوا وضع تعريف للكلمة في كلّ اللّغات، إلاّ أنّه يستطيع مع جملة الباحثين المحدثين الكشف على جوانب هامّة التي أغفلها القدماء في تصوّرهم للكلمة. وهذه الجوانب نجملها فيمايلي:

---

1)- الإمام محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي: متن الألفية، منشورات دار الكتب، (د.ت)، ص3.

2)- ينظر: د. حلمي خليل: الكلمة، دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص22.

- إنّ القدماء لم يفرّقوا بين الصّوت والحرف، اعتبروهما شيئا واحدا، أي بعبارة أخرى لم يفرّقوا بين الجانب الصوتي (Phonetic)، والجانب الوظيفي للصوت (Phonology).

- أنّهم لم يفرّقوا بين الدلالة الوظيفية للكلمة ودلالتها الاجتماعية رغم إدراكهم التام لكلّ منهما.

- لم يفرقوا كذلك بين وجود الكلمة من حيث هي كلمة، وبين وجودها من حيث هي كلمة تقتضيها معاني النحو، ولعلّ هذا ما جعل السيوطي يعدّ الضمير المستكن من الكلمات[1].

أما أصحاب المعاجم العربية القديمة فلا يكادون يتعرَّون للتعريف الاصطلاحي النظري للكلمة وإنّما نلحظ من الطريقة التي رتّبوا بها معاجمهم أنّهم أدركوا تماما جانبين هامّين في طبيعة الكلمة وهما الجانب الصوتي والجانب الدلالي، ومن ثم رتّبوا معاجمهم بصفة عامّة، إمّا على اللّفظ وإمّا على المعنى ولذلك نجد قسمين رئيسين من المعاجم هما معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني،

ويمكن تلخيص الطرائق التي رتّبت بها الكلمات في معاجم الألفاظ في ثلاثة اتّجاهات رئيسة هي:

- طريقة الترتيب الصوتي أو المخرجي؛ حيث رتّبت الكلمات تحت حرفها الأوّل حسب المخرج، ويمثّل هذا الاتّجاه كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. 175هـ).
- طريقة الترتيب الألف بائي.
- طريقة الترتيب حسب الأبنية والصّيغ[2].

---

1)- ينظر: د. حلمي خليل: الكلمة، ص23.

2)- ينظر: د. رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللّغة، ص204.

والملاحظ أيضا في المعاجم الأخرى لا نكاد نعثر على تحديد واضح لماهية الكلمة وأصحابها يردّدون ما جاء به الخليل من كلام يتّصل بالجانب الصوتي[1].

ويرى ابن منظور (ت.811هـ) في تعريف الكلمة أنّه لا يختلف كثيرا عمّا قال به النّحاة وخاصّة من الناحية الاصطلاحية قال: "الكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلّفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بأكملها وخطبة بأسرها"[2].

"أمّا أصحاب المعاجم الأخرى فلا نكاد نعثر لديهم أيضا على تحديد واضح لماهية الكلمة وأكثرهم يردّد كلام الخليل فيما يتّصل في الجانب الصوتي منها، كما بدأ معظمهم من مدوّنات لغوية، سواء أكانت على شكل معاجم تامة الخلق والتبويب أم على شكل رسائل لغوية"[3].

وقد نظر علماء البلاغة العربية إلى الكلمة بما لها من قيمة جمالية وتعبيرية على الرغم من أنّ علماء اللّغة المحدثين يرفضون الخوض في تقويم الكلمة أو الكلام، وخاصة من الناحية الجمالية، لما في ذلك من بعد عن المنهج العلمي الموضوعي، إلاّ أنّ قضية الكلمة ودلالتها وقيمتها في التعبير قد شغلت علماء البلاغة لمدّة طويلة، فيما يعرف في تاريخ البلاغة العربية بقضيّة اللّفظ والمعنى بما لها صلة بقضيّة الإعجاز القرآني[4].

والكلمة عندهم قد تتميّز عن غيرها أحيانا من حيث هي دالّة على المعنى، ومن حيث هي صوت فهي أيضا ذات قيمة جمالية وتعبيرية إذا لم تكن متنافرة

1)- ينظر: د. حلمي خليل: الكلمة، ص25.

2)- ابن منظور: لسان العرب مادة (كلِم).

3)- د. حلمي خليل: الكلمة، ص26.

4)- ينظر: نفسه.

الأصوات تحدث في الأذن متعة، وتساعد على تذوّق المعنى وتوصيله، ولها بالإضافة على ذلك قدرة تعبيرية خاصّة إذا كان جرسها يتّفق مع ما توحي به من دلالة، وكانت أصواتها سهلة المخرج، سلسة اللّفظ مطابقة لما تدلّ عليه.

ومن ثم كانت دراسة الكلمة عند البلاغيين على اختلاف مناهجهم ونظرتهم تتّصل أساسا بجانبين هامّين من جوانبها هما:

- أصوات الكلمة وعلاقة هذه الأصوات ببعضها البعض.
- دلالة الكلمة وقيمتها من الناحية الجمالية والتعبيرية في حالة الإفراد والتركيب[1].

فالكلمة إذا عند بعض البلاغيين لها وجود واضح بعيدًا عن اللّغة المكتوبة؛ فهي أصوات ذات دلالات وصيغ، بل واشترط عبد القادر الجرجاني في الكلمة أو اللّفظة أن تكون متداولة أو متعارف عليها عند الناس، قال: "وهو أن تكون اللّفظة ممّا يتعارف الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيفا[2]. وقد خصّ هذا القول اللّفظة الفصيحة البعيدة عن العامية المبتذلة وهذه الشروط التي ذكرها المؤلّف اتّفق عليها أغلب البلاغيين واللّغويين القدماء في فصاحة اللّفظ.

والمتتبّع لجهود القدماء اللّغويين العرب يلحظ أنّ ابن جنّي (ت.392هـ) قد أولى اهتماما كبيرا بأصوات الكلمة، وبحث في دلالة هذه الأصوات، ونجد اهتمامه في هذين الاتّجاهين متكاملين:

1)- ينظر: نفسه، ص26

2)- الإمام عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص3.

- الأوّل: النّظر إلى صفة الحرف ومخرجه، وحاله من حيث التفخيم، والترقيق، والشدّة، والرخاوة، والجهر، والهمس، والإطباق، والانفتاح، والاستعلاء، والاستطالة، والتفشّي...وغير ذلك، ثمّ بحث العلاقة بين هذه الأحوال والصّفات وبين الدّلالة الوضعية للكلمة[1].

الثاني: النّظر إلى دلالة الكلمة باعتبارها تركيبا صوتيا له بنية وهيأة بعينها، بحيث العلاقة بين طريقة تركيب أحرف تلك الكلمة ومناسبة ذلك التركيب وتلك الهيئة للمعنى الّذي وضعت له الكلمة[2].

وقد اهتمّ ابن جنّي أيضا (ت.392هـ) بدراسة الدّلالة الصوتية على هذين المستويين في باب "في إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، قال فيه: "فأمّا مقابل الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتْلئبٌ (أي ثابت) عند عارفيه مأمومٌ، وذلك أنّهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها، فيعدلونها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدّره وأضعاف ما نستشعره"[3].

كما يشير إلى كثرة هذا النوع من دلالة الأصوات على المعاني في اللّغة، ثم يعرض أمثلة له كتفريقهم بين الخضم والقضم والنّضح والنّضخ، يقول: "خَضَمَ وقَضَمَ؛ فالخضم لأكل الرطب، كالبطّيخ والقثاء، وما كان نحوهما من مأكول الرّطب. والقَضم الصّلب اليابس، نحو قَضَمتِ الدَابّة شعيرها، ونحو ذلك..."[4].

---

1)- ينظر: ابن جني: الخصائص، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 2003، ج1، ص20.

2)- ينظر: نفسه.

3)- ابن جني: الخصائص، 157/2.

4)- نفسه.

ويوضّح سرّ اختلاف الدّلالة بين صوتي الخاء والقاف، ويرجعه إلى رخاوة الخاء أي أنّها صوت احتكاكي، فهو يتناسب مع الشيء الرّطب، الّذي يسهل أكله، وإلى صلابة القاف فهي صوت انفجاري، ومن ثَمّ يتناسب مع أكل اليابس الّذي يصعب قطعه. قال: "فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[1].

والخوض في هذا الجانب من الدّراسة قد يطول مع الإشارة إلى أنّه ليس موضوع بحثنا هذا، وكلّ ما يمكن تلخيصه في جهود ابن جنّي ما ذكره عبد الحميد الهنداوي فيه مقارنا إيّاه بجهود الخليل وسيبويه قال: "وإذا كان القدماء كالخليل وسيبويه قد أولوا الجهة الثانية عناية خاصّة وهي جهة النّظر إلى التراكيب الصوتية ومناسبتها للمعاني التي وضعت لها، أقول: إذا كان هؤلاء القدماء قد برعوا في هذا الجانب فإنّما أدلى به ابن جنّي في هذا المقام يجعل تلك المحاولات الأولى من جانب القدماء مجرّد إشارات وومضات مضيئة لا تقارن بها قدم ابن جنّي في هذا الباب إلّا من حيث سبقها الزمني وريادتها لهذا الطّريق الوعر"[2].

إنّ مفهوم الكلمة بشكل عام في أذهان الناس مرتبط بصورتها الكتابية أكثر من المنطوق، ولعلّ ذلك يرجع إلى تأثير ملايين الكلمات التي نقرؤها ونشاهدها كلّ يوم.

والحقّ أيضا أن نقول إنّ علماء اللّغة ظلّوا لفترة طويلة ينظرون إلى الكلمة في شكلها المكتوب، خاصّة فيما يحلّلونها أو يدرسونه من نصوص لغوية فيما

---

1)- نفسه، 158/2.

2)- ابن جني: الخصائص، 21/1.

يعرف بفقه اللّغة (Philologie)، عند الغربيين، حيث يتناول هذا العلم غالبا دراسة النّصوص اللّغوية وتحليلها، ومعرفة دلالة ألفاظها من النواحي التاريخية المقارنة[1].

لقد نظر علماء اللّغة المحدثون إلى الكلمة نظرة مخالفة لكثير من الناس؛ وهي وجهة علمية مجردة، ومن ثم اختلفت نظرتهم إليها عن نظرة علماء فقه اللغة بل عن نظرة الناس جميعا لأنّهم وجّهوا دراساتهم واهتماماتهم إلى اللّغة المنطوقة (Spoken language) دون اللّغة المكتوبة ولذلك لم يسلّموا بادئ ذي بدء بفكرة الكيان المستقل للكلمة، ورأوا أن للكلمة جوانب متعدد يمكن النّظر إليها، ومن والممكن أن نراها سلسلة من الأصوات أو أنها عنصر نحوي، أو وحدة من وحدات المعنى، وحينئذ تبرز مشكلة استقلال الكلمة في صور مختلفة وذلك حسب الحالة الخاصة التي تكون عليها[2].

كما حاول بعض علماء اللغة المحدثين تعريف محدّد للكلمة بحيث ينطبق على كلّ اللغات، آخذين في الحسبان وجوهات النّظر المختلفة سواء من الناحية الصوتية أم الصّرفية، أم النحوي، أم الدلالية. ومن هنا تعدّدت التعريفات والآراء وواجه كلّ تعريف منها نقدا من مختلف علماء اللّغة على حسب مدارسهم.

ويعدّ العالم الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield) أشهر من عرّف الكلمة من علماء اللّغة المحدثين، وجاء في قوله: "الكلمة هي اصغر صيغة حرّة"[3]؛ بمعنى أنّ الكلمة عنده هي أصغر وحدة لغوي يمكن النّطق بها منفصلة ومنعزلة وكما يمكن استعمالها لتركيب جملة أو كلام.

---

1)- ينظر: حلمي خليل: الكلمة، ص15.

2)- ينظر، حلمي خليل: الكلمة، ص15.

3)- ينظر: نفسه، ص16.

ومع ذلك فإنّنا نجد في كلاّ لغات العالم كلمات لا ينطبق عليها هذا التعريف ففي اللّغة لانجليزية مثلا نجد عناصر لغوية مثل "a" "The" لا تستعمل بمفردها قط، ومثل ذلك في اللّغة الفرنسية بالنّسبة للضّمير "Je" الّذي لا يستعمل في أغلب الأحيان لمفرده، وكذلك حروف الجرّ وبعض الضّمائر في اللّغة العربية[1].

أمّا العالم الانجليزي "فيرث" (Farth) فقد اعتمد في تحديده للكلمة على التقابل الاستبدالي (Substitution counters)؛ أي أنّ استبدال الأصوات ذات الصّفات المميّزة بغيرها، أو إضافة هذه الأصوات أو حذفها يؤدّي إلى وجود كلمات جديدة، وعلى هذا النّحو يؤدّي تغيير أي عنصر من عناصر الكلمة إلى خلق كلمة جديدة مثلما نجده في اللّغة الانجليزية فكلمة (Pin) مثلا قد تصبح طبقا لهذه النظرية (Bin) أو (Pan) أو (Pit)، وإذا أضفنا صوتا جديدا تصبح (Spin)، وأمّا الحذف فيحوّلها إلى (in) وهكذا[2].

ويمكن إيراد أمثلة لهذا النوع من التقابل الاستبدالي في اللّغة العربية في نحو "قال" التي تصبح جال أو صال...الخ.

وإذا ما تتبّعنا عددا من التعريفات التي وضعت للكلمة حديثا وجدنا أنّها قد أثارت جدلا كبيرا في وسط علماءِ اللّغويين المحدثين منها التعريف الّذي جاء به وقدّمه العالم "ترنكا" (Trinka) الّذي قال بأنّ الكلمة عبارة عن وحدة يمكن إدراكها عن طريق "الفونيمات" (Phonemes)، وهي قابلة للإبدال ولها وظيفة دلالية، وهو تعريف يتّصل إلى حدّ كبير بتعريف فيرث. وقد عرّف "ماثيسيوس" (Mathesius)، الكلمة بقوله إنّها أصغر وحدة صوتية متتابعة لا يمكن أن ترتبط

1)- ينظر: نفسه.

2)- ينظر حلمي خليل: الكلمة، ص17.

بأيّ وحدات أخرى، بينما قال "فاشيك" (Vachek)، إنّ الكلمة هي جزء من الحديث الكلامي له صلة بالواقع الخارج عن اللّغة، ويمكن اعتبارها وحدة غير قابلة للتقسيم ويتغيّر موضعها بالنّسبة لبقية الحدث الكلامي. كما عرّفها "أنطوان مييه" بقوله: تحدث الكلمة من ارتباط معنى ما بمجموع ما من الأصوات قابل لأن يستعمل استعمالا نحويا ما[1].

والملاحظ من تعدد التعريفات وجد بعض علماء اللغة أنّ كلّ تعريف منها قد يهمل بعض الخصائص اللّغوي وغير اللّغوية للكلمة، كما لا ينطبق على كلّ اللّغات على اختلاف عائلاتها وخصائصها، ثمّ حصر بعضهم الأخطاء التي تضمّنتها هذه التعريفات فوجدوا أنّها غالبا ما تكون واحدة من الأربعة الآتية وهي:

- إعطاء أهمية مبالغ فيها للملامح الصوتية والملامح الدلالية دون النّظر في طبيعة العلاقة معقّدة بين الصوت والدّلالة.
- عدم تقدير أهمية علاقة الكلمة بالجملة وعلاقة الجملة بالكلمة.
- عدم الفصل بين خصائص الكلمة من الناحية اللغوية وبين أهميتها من الناحية الدلالية.
- الخلط في تعريف الكلمة بين الكلمة واللّغة في حالة تطوّر (Dynamic)، وبينها وهي في حالة الاستقرار أو الثبات (Static)[2].

أما علماء العربية المحدثون فلم يحاول أحد منهم وضع تعريف الكلمة فيما كتبوه أو نشروه من أبحاث في فقه اللّغة أو علم اللّغة على السواء وجاء في رأي حلمي خليل أنّ التعريف الوحيد للكلمة هو ما قدّمه "تمام حسان" في كتابه

---

1)- ينظر، حلمي خليل: الكلمة، ص17.

2)- ينظر، المرجع نفسه، ص18.

"مناهج البحث في اللغة" وتعريفه خاص بالكلمة العربية وليس تعريفا عاما للكلمة[1]. وقال في تعريفه: "إنّ الكلمة صيغة ذات وظيفة لغوية معيّنة في تركيب الجملة بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى، أو يتغيّر موضعها أو تستبدل بغيرها في السياق، وترجع مادّتها إلى أصول ثلاثة، قد تلحق بها زوائد"[2].

نلاحظ مما سبق أنّ للكلمة حدّ عام يمكن تطبيقه على كلّ لغات العالم؛ غير أنّ العالم "فندريس" يرى أنّ هناك لغات يسهل فيها تحديد الكلمة كوحدة لا تتجزّأ، بينما هناك لغات أخرى تذوب فيها الكلمة على نحو ما في الجملة، بحيث لا يمكن تحديدها مثل اللّغة الفرنسية والتركية، وبعض اللّغات الإفريقية[3].

أمّا اللغات السامية، واللغات الهندية الأوروبية مثل السنسكريتية أو الإغريقية القديمة فللكلمة فيها استقلال واضح يظهر في كثير من جوانبها الصوتية والصرفية والدلالية، ولا يوجد أي أدنى شكّ في أنّ الكلمة العربية تتمتّع بقدر كبير من الاستقلال الصوتي والصّرفي والدّلالي.

كما نستخلص ممّا سبق أنّ للكلمة عدّة مصطلحات في المدارس اللّغوية أو اللّسانية، فنجد مصطلح "الوحدة المعجمية" مثلا عند علماء المعجمات حديثا؛ قالت "صافية زفنكي": "أن حدود المعنى المعجمي قد تجاوزت حدود الكلمة

1)- ينظر، حلمي خليل: الكلمة، ص29.

2)- د. تمام حسان: مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1955، ص226.

3)- ينظر: فندريس: اللّغة، ص122، 124.

المفـردة، فقـد اختلـف مفهـوم الوحـدة المعجميـة (Lexeme) بـاختلاف المنـاهج السائدة"[1].

فقديما كان يطلق العرب على الوحدة المعجمية مصطلح كلمة أو لفظ، والتي تشكّل أداة دلالة أيضا. وتكاد المعجمات العربية تجمع على أنّ الألفاظ ترادف الكلمات، وإن حاول بعض اللّغويين إيجاد الفروق بينهما؛ قال إبراهيم أنيس موضّحا ذلك: "أداة الدّلالة هي اللّفظة أو الكلمة، وتكاد تجمع المعاجم العربية على أنّ الألفاظ ترادف "الكلمات" في الاستعمال الشائع المألوف فلا فرقد بين أن يقال أحصينا ألفاظ اللّغة، أو كلمات اللّغة، ومع هذا فالنحاة في كتبهم يحاولون التفرقة بين كلّ من اللّفظ والكلمة والقول في حديث طويل نخرج منه أنّهم يستشعرون مع اللّفظ عملية النطق وكيفية صدور الصوت، وما يستتبع هذا من حركات اللّسان والشفتين، فإذا ربط هذه الأصوات المنطوق بها وما يمكن أن تدلّ عليه من معنى تكوّنت في رأيهم الكلمة؛ أي أن الكلمة أخصّ لأنّها لفظ دلّ على معنى"[2]، وبصفة عامّة قد أطلق المعجميون العرب القدماء مصطلح الكلمة على الحرف الواحد من حروف الهجاء وعلى لفظة مؤلّفة من مجمعة حروف ذات معنى، وعلى قصيدة بكاملها، وخطبة بأسرها[3].

أمّا اللّسانيون في العصر الحديث، فقد فضّل بعضهم استعمال مصطلح مدخل (Entry) للتعبير عن الوحدة المعجمية (Lexeme) لأنّهم رأوا أنّ مفهوم الكلمة قضية شائكة؛ فهي ليست القول المفرد، فقد تجاوز المدخل مفهوم الكلمة

---

1)- د. صافية زفنكي: التطوّرات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2007، ص101.

2)- د. إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص38.

3)- ينظر، ابن منظور: لسان العرب، مادة (كلم).

بحيث أصبح يشمل حدودا ومستويات مختلفة من القول، وذلك تبعا لاختلاف المناهج اللّغوية اتّجاه مسألة المعنى[1].

كما تعدّدت مصطلحات الكلمة في العصر الحديث عند اللّسانيين؛ فبالإضافة لمصطلح "المدخل" و"اللكَسيم"نجد أن معنى الكلمة عند الوصفيين ارتبط ارتباطا وثيقا بما يسمى بالمورفيم (Morphème)؛ فمفردات أيّ لغة (Lexicology) تعرّف بأنّها مجموع رصيد المورفيمات وتجمّعاتها[2].

وكذلك الأمر من وجهة نظر علم اللغة البنيوي الحديث عرّف الكلمة (Word) بأنّها وحدة في جملة تحدد معلم كل منها بإمكانية وقوف عندها. فلم يعد يقتصر المعنى عن البنيويين على الكلمة أو المفردة وحسب، بل يشمل الفورفيمات أيضا التي تعرّف عندهم بأنّها أصغر وحدة لغوية تحمل معنى أو وظيفة نحوية، فأصبح المورفيم يشمل -عندهم- الألفاظ الّذي تدلّ على المعاني الرابطة بين الماهيات مثل الأدوات؛ حروف العطف، وحروف الجرّ، وال التعريف ودلالة الوظائف النحوية مثل الفاعلية والمفعولية...، كما أنّ هناك المورفيم الصوتي؛ كالحركات عموما وحروف فالعلّة. والمورفيم يختلف عن السيمانتين (Semantem) التي هي الوحدة الدالة على معنى معجمي، وهي التي تسمّى عند بعضهم الوحدة المعجمية (Lexeme) "المفردات أو الكلمات"، وقد تجمع المصطلحات تحت مصطلح الوحدة الدالّة (Monème)[3].

---

1)- ينظر: د. صافية زفنكي: التطوّرات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، ص102.

2)- ينظر، د. صافية زفنكي: التطوّرات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، ص103.

3)- ينظر، المرجع نفسه، ص103-104.

كما فضل "البنيويون" مصطلح المدخل حين يتّحد الشكل اللّفظي والمعنى أو تقاربهما. ومن هنا لاحظ البنيويون أنّ مفهوم الكلمة القائم على مفهوم التتابع لعدد من الأصوات أو الحروف وعلى العلاقة بين اللّفظ والمعنى قد يسبّب أشكالا حين يتّحد الشّكل اللّفظي ويختلف المعنى مثل: "الخال"[1].

وعلى كلّ قد يطول بنا الحديث عن مفهوم الكلمة ومصطلحاتها في مختلف المدارس اللّسانية وهذه الإشكالية ليست الأساس في بحثنا هذا.

ونذهب إلى الرّأي بما جاء به حلمي خليل حين رأى أنّ علماء المحدثين والمعاصرين قد أخفقوا في وضع حدّ عام في اللّغات الإنسانية ويرجع ذلك إلى أنّ لكلّ لغة خصائصها الذّاتية التي تختلف بها عن اللّغات الأخرى، وهي قضيّة أدركها علماء اللّغة إدراكا تاما، ورغم بديهيتها مضوا في محاولاتهم لوضع حدّ عالمي لكلمة ومن ثمّ تعثّرت تلك المحاولات وكثرت التعريفات وتضاربت بل أنّ بعضهم قد يئس وشكّ في قيمة الاعتراض بشيء اسمه الكلمة، واعتبرها بعضهم خرافة علم اللّغة[2].

والكلمة إذا في نهاية الأمر مبنى ومعنى لكلّ منهما سماته وخصائصه والتي بها نستطيع أن نتعرّف على الكلمات، وبصفة عامّة فإنّ الكلمة أو كما يطلق عليها البعض باللّفظ أو المفردة هي موضوع دراسة لعدّة علوم أو ظواهر لغوية في اللّغة العربية، نذكر من أهمّها:

أ- الاشتراك اللّفظي: وهو أن تتعدّد المعاني للّفظ الواحد. ويسمى اللّفظ الّذي تعدّدت معانيه بالمشترك، قال محمّد الأنطاكي: "والواقع هناك أسبابا كثيرة لوجود المشترك في اللّغة منها العمومية التي ذكرها الأستاذ مبارك والّتي تسمح للّغة

1)- ينظر، د. صافية زفنكي: التطوّرات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة، ص104.

2)- ينظر، حلمي خليل: الكلمة، ص30.

بإطلاق الكلمة الواحدة على أشياء متعدّدة تشترك كلّها في صفة واحدة، ومنها الاستعارة والمجاز اللّذان قال بهما أكثر العلماء، ومنها أمور تعود إلى تطوّر الدلالة بتطوّر المدلول؛ فمن هذا كلمة (ريشة) التي تطلق على كلّ من ريشة الطّائر، سواء أكانت على جسم الطائر أم كانت منتزعة منه لاستعمالها في الكتابة، ثمّ إنّ الناس استعاضوا عن ريشة الطّائرة في الكتابة بآلة معدنية اخترعوها لهذه الغاية، ولكنّ كلمة ريشة ظلّت تطلق على آلة الكتابة أيّا كان نوعها، وهكذا أصبح للكلمة معنيان: ريشة الطّائر، والآلة المعدنية المستعملة في الكتابة"[1].

ب- ظاهرة التّضاد: يرى أنّ بعض الدّارسين أنّ التّضاد ليس إلاّ نوعا من الاشتراك، إذ هو اشتراك المعنيين المتضادين في اللّفظ الواحد، كالاشتراك الأبيض والأسود في لفظ (الجون)، والحيض والطّهر في لفظ (القرء)، والقويّ والضعيف في لفظ (المقوّى)، والكبير والصّغير في لفظ (الجلل)، والرّغبة والخوف في لفظ (الرّجاء)، وهلم جرّا[2].

ج- ظاهرة الترادف: وهو دلالة الألفاظ المختلفة على المعنى الواحد مثل: المسكن والمنزل، والدار، والبيت، ومثل ذهب، ومضى، وانطلق وغدى...الخ.

والتّرادف أمر معروف في كلّ الألسن إلاّ أنّه في العربية أكثر منه في غيرها لذلك عدّه بعضهم من أبرز خصائصها ويبدو ذلك معقولا إذا تذكّرنا أنّ من علماء العربية من وضع كتبا مخصوصة لأسماء شيء واحد فقد ألّف ابن "خالويه" كتابا في أسماء الأسد، وكتابا آخر في أسماء الحيّة كما ألّف مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس كتابا سمّاه "ترقيق الأسل لتصفيق العسل" وذكر فيه

1)- محمد الأنطاكي: دراسات في فقه اللّغة، دار الشرق العربي، بيروت، ط4، (د.ت)، ص308.

2)- ينظر، المرجع نفسه، ص311.

للعسل ثمانين اسما، ومع ذلك لم يستوفها كلّها، كما يقول السيوطي بل فاته منها اثنان أوّلهما الصّرخدي الّذي ذكره "القالي" في أماليه،والثاني "السعابيب" الّذي ذكره "الزجاج" في أماليه أيضا(1).

د- ظاهرة الاشتقاق: وهو من أهم العلوم اللّغوية، ويعدّ الاشتقاق أهمّ وسيلة لتوليد الألفاظ ولهذا عني به لغويّو العرب قديما وحديثا، وأفردوه بالتأليف في كتب مستقلة، أو في فصول طوال لمؤلّفاتهم؛ منهم "الأصمعي"، و"قطرب"، و"أبو الحسن الأخفش"، و"أبو نصر الباهلي"، و"المفضّل بن سلمة"، و"المبرد"، و"ابن دريد، و"الزجاج"، و"ابن السراج"، و"الرماني"، و"النحاس"، و"ابن خالويه"، و"ابن جني"، ومنهم حديثا "محمد المبارك، و"سعيد الأفغاني"، و"الشيخ عبد القادر المغربي"، والاشتقاق هو أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللّفظ، كأخذ "عالم" من "علم" و"مكتوب" من "كتب" وفيه أنواع كثيرة(2).

هـ- ظاهرة الاقتباس: ويسمّى الاقتراض أو الاستعارة (Emprunt) أحيانا، ويقوم على أخذ كلمة من لسان آخر، وإذا كان هذا الأخذ من غير العربية إليها سمّي "تعريبا" وسندرسه في فصل خاص فيمايلي وهو كذلك مجال دراستنا في هذا البحث.

---

1)- ينظر، السيوطي: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، 1/241-242.

2)- ينظر، محمد الأنطاكي: دراسات في فقه اللّغة، ص231.

الفصل الثاني

المعرّب اللفظي مصطلحاته وطرق تحقيقه في الفصحى

1- التعريب بين اللغة والاصطلاح.

2- مصطلحات التعريب.

3- طرق تحقيقه في الفصحى.

4- المعرّب والدخيل في المصادر اللغوية العربية.

حاولنا في هذا الفصل إبراز المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمصطلح "التعريب"، وكيف استطاع اللغويون تحقيق الكلمة المعرّبة من العربية الأصلية.

1- التعريب بين اللغة والاصطلاح:

لقد اقترن مصطلح التعريب بمعان لغوية منها: الإفصاح والإبانة، كما ارتبط هذا اللفظ بلفظين هما: الإعراب والاستعراب، فقد جاء في اللسان قول الأزهري (ت.370هـ): "إنّ الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة، يقال: أَعْرَبَ عنهُ لسانه، وعرّب؛ أي: أبان وأفصح، ويقال: عَرُبَ لسانه بالضم عُروبة؛ أي صار عربيا، وتَعَرَّبَ واستعرب: أَفْصَحَ"[1].

وقد عرف مصطلح التعريب تطورا دلاليا لا يخلّ في أغلب الأحيان بالمعنى الذي أريد له في أصل الوضع كانتقال معناه للدلالة على التحول من حياة الحضر إلى حياة البادية، فتقول: "قد تعرّبوا، أي صاروا أعرابا بعدما كانوا عربا، وكذلك للدلالة على تشبه الأعجمي بالعربي، فتقول: تعرّب؛ أي تشبّه بالعرب"[2].

ويدخل ضمن الإطار نفسه معناه في المنطق من اللّحن، فتقول: "وعرّب منطقه؛ أي هذّبه من اللحن، والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، أما قولك: أعرب الرجل؛ فمعناه قد ولد له وَلَدٌ عربي اللون، والإعراب على هذا النحو هو معرفتك بالفرَس العربي من الهجين"[3].

---

1)- ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (عرب).

2)- ينظر: نفسه، مادة (عرب).

3)- ينظر: نفسه، مادة (عرب).

والحق أن هذه المعاني اللغوية مشتركة وإن كانت في الوقت نفسه تتفرد بدلالات خاصة تميزها من المعاني الأخرى، إلا أن التعريب قد ارتبط كثيرا بالإفصاح والإبانة؛ ولعل هاتين المفردتين هما اللتان تؤديان المعنى على أحسن وجه، ذلك لأننا إذا رجعنا إلى معناه الاصطلاحي وجدناه قد وظّف لهذا الغرض "فنقل اللفظ إلى العربية يعني التواضع والاتفاق بين القوم على الإفادة منه متمما لمعانيهم ومشاركا في تراكيبهم وكلامهم التماسا لسلامة الإفصاح وكمال الإيضاح"[1].

وقد زاد الجوهري المصطلح إيضاحا، حين عمد إلى تفسيره بقوله: "وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عرّبته العرب وأعربته"[2]، والملاحظ أن كلمة "الاستعراب" لا تقترن بمصطلح التعريب لأنها تخص الإنسان؛ أي تخص المعنى اللغوي لكلمة التعريب، فقد ورد في اللسان كلمتان هما: "التعريب والإعراب" بمعنى اصطلاحي واحد. ويقول الجواليقي (ت.540هـ) في هذا الصدد: "واعلم أن التعريب نقل لفظ من العجمية إلى العربية، والمشهور فيه التعريب وسماه سيبويه وغيره إعرابا وهو إمام العربية فيقال حينئذ معرّب ومعرب"[3]. ونستنتج من هذا القول إن سيبويه استعمل مصطلح "الإعراب" وهو

---

1)- مسعود بوبو: أثر الدّخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1982، س36.

2)- ابن منظور: لسان العرب، مادة (عرب)

3)- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تحقيق عبد المنعم الخفاجي، دار الطباعة المنيرية، القاهرة، 1952، ص23.

يقصد به التعريب، وقد أورده في باب من أبواب كتابه وهو باب "ما كان من الأعجمية على أربعة أحرف وقد أعرب فكسّر على مثال مفاعل"[1].

ويقال إن كلمة "إعراب" ارتبطت بتسمية العرب بهذا الاسم قديما، وأول من نطق بها هو إبراهيم عليه السلام باللسان الذي كان يتكلم به هو السريانية القديمة، لما قال لابنه إسماعيل حينما رآه مع أبنائه وأخوالهم من جُرْهُمْ: أَعْرِبْ لَهُ" بمعنى: أَخْلِطْهُم بهم[2].

2- مصطلحات التعريب:

لقد ارتبط "التعريب" بالمصطلحات الآتية:

أ- المعرّب:

هو أن تتفوّه العرب بالاسم الأعجمي على منهاجها، وقد عرّفه السيوطي بقوله: "هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان من غير لغتها"[3]، ولا تخرج المعاجم القديمة عن هذا المعنى[4]، المقترن بـ"الأعجمي" أو "العجمي" لقول أبي حيان في شرح التسهيل: "العجمي عندنا هو كل ما نقل إلى اللسان العربي من لسان غيره، سواء كان من لغة الفرس، أو الروم أو الحبش، أو الهند أو البربر، أو الإفرنج، أو غير ذلك"[5].

---

1)- سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب والنشر، بيروت، (د.ت)، ج3، ص620.

2)- ابن النديم: الفهرست، تحقيق مصطفى الشويهي، الدار التونسية للنشر، 1985، ص64.

3)- جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 268/1.

4)- ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (عرب).

5)- جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق د.أحمد محمد قاسم، القاهرة، 1976، ص45.

كما اقترن هذا المصطلح بمصطلح "الدخيل" عند القدماء، ومنهم "السيوطي" (ت.911هـ) القائل في توضيح ذلك: "وذكر الجواليقي في المعرّب مثله وقال: فهي عجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال، ويطلق على المعرّب دخيل؛ وكثيرا ما يقع ذلك في كتاب العين والجمهرة وغيرهما"[(1)].

وذهب شهاب الدين الخفاجي إلى الرأي نفسه، معبرا على المعنى ذاته بقوله: "هذا الكتاب جليل، جمعت فيه ما في كلام العرب من الدخيل، دعاني إليه أن المعرّب ألّف فيه قوم منهم من لم يحم حول ناديه، ومنهم من دقق في التخريجات الغريبة"[(2)]، والملاحظ أن جمهور القدامى استعملوا "المعرّب" و"الدّخيل" بمعنى واحد، ولهذا ذهب بعض المحدثين مثل حسن ظاظا إلى القول بأنه يوجد طريقتان للتفرقة بين "المعرب" و"الدخيل" وهما كالآتي:

1- "إذا جاءت لفظة أجنبية، وهذبت من حيث لفظها، بحيث أشبهت الأبنية العربية القحة في ميزانها الصرفي، اعتبرت من المعرّب، أما إذا بقيت على وزن غريب على اللغة العربية فهي من الدخيل"[(3)].

2- "اللفظة الأجنبية التي استعملها العرب الذين يحتجّ بكلامهم تعتبر من المعرّب، حتى ولم تكن من حيث بناؤها ووزنها الصرفي مما يدخل في أبنية كلام العرب، أما ما دخل بعد ذلك فإنه يعتبر من الدخيل أي الذي جرى على الألسنة والأقلام مستعارا من اللغات الأجنبية لحاجة التعبير إليه"[(4)].

---

1)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 269/1.

2)- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص23.

3)- د.حسن ظاظا: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1976، ص72.

4)- نفسه.

وإلى هذه الطريقة الثانية يميل حسن ظاظا ومعظم الباحثين اللغويين المحدثين العرب، والحق أن هؤلاء وأصحاب المعاجم الحديثة لم يبتعدوا عن المفهوم الاصطلاحي للمعرب القديم؛ إذ جاء في المعجم الوسيط التعريف الآتي: "المعرّب: اللفظ الأجنبي الذي غيّره العرب بالنقص، أو الزيادة، أو القلب"[(1)].

وقد ذهب بعض المحدثين من اللغويين إلى تحديد "المعرّب" بفترة زمنية محددة، فاختلفوا في ذلك؛ فمنه من حددها بالمدة الممتدة ما بين العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري كعبد المنعم خفاجي القائل: "التعريب هو أن تتكلم العرب بكلمة على نظام كلامهم وأسلوبهم، وقد عرّب العرب كثيرا من الألفاظ التي هم في حاجة إليها من شتى اللغات، وبدأ التعريب منذ العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري"[(2)]، ومنهم من قصر "المعرّب" على العصر الجاهلي ومثل حكمت كشلي القائلة: "منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الإسلام ك"سندس" و"إبريق"، ويسمى في الاصطلاح معربا"[(3)].

ولكن أغلب المحدثين يرجعون تحديد "المعرّب" إلى عصور الاحتجاج، وتضم هذه الفترة العصر الجاهلي وصدر الإسلام وعصر بني أمية؛ أي إلى غاية منتصف القرن الثاني للهجرة، ونرى هذا الاتجاه في قول محمد الأنطاكي من تعريفه للمعرّب بأنه ما نطق به العرب الجاهليون ومن يحتجّ بلغتهم من الكلام الأعجمي، وأن أكثر ما نقله العرب الجاهليون ينحصر في أسماء العقاقير، أو الأدوات أو المصنوعات أو المعادن، أو نحوها مما كان يحمل إلى بلاد العرب من بلاد الفرس أو

1)- المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، 1990، مادة (عرب).

2)- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، مقدمة التحقيق، ص16-17.

3)- حكمت كشلي: المعجم العربي في لبنان، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1982، ص317.

الـروم أو الهنـد أو غيرهـا ولم يكـن للعـرب معرفـة بـه مـن قبـل، أو في بعـض الاصطلاحات الدينية والفكرية، وأكثر ذلك منقول عن العبرانية أو الحبشية، لأن اليهود والأحباش من أهل الكتاب، فكلمة البرهان بمعنى النور والإيضاح وكلمة منبر بمعنى الكرسي أو العرش المشتقتان من (بره) و(نبر) الحبشيتين.

وقد كانت الفارسية أكثر اتصالا من غيرها باللغة العربية في تلك الفترة؛ بحيث ما نقلوه منها أكثر مما نقلوه من الرومية مثل: القصعة، والديباج، والياقوت، والفـيروز...الخ، ومما نقلـوه مـن الروميـة مثـل: الفـردوس، والقسـطاس، والبطاقـة وغيرها[1].

وما نستخلصه أن الكلمات المعربّة في اللغة العربية لم تبق على حالها، وإنما طوّعها العرب لمنهج لغتهم في أصواتها وبنياتها؛ حيث ابتعد نطقها في أغلب الحالات عن صورتها القديمة الأصلية.

كما أن معظم اللغويين وقفوا بالتعريب عند عصور الاحتجاج ومن فترة العربيـة الفصـحى، ومـا جـاء بعـدها فهـو مولّـد لا يصـحّ أن يسـتوي والتعريـب الجديد[2].

وقد اشترط بعض القدماء في اللفظ المعرّب "الاستعمال"، فمتى استعمل العرب الكلمة الأعجمية صارت معرّبة باعتبار الحال، سواء ألحقوها بأوزان كلامهم أو لم يلحقوها، وإلى هذا ذهب سيبويه وشهاب الدين الخفاجي، أما الجوهري وغيره فقد اشترطوا في اللفظ المعرّب أن تتكلم به العرب على نهجها وأسلوبها[3].

---

1)- محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، بيروت، (د.ت)، ص444.

2)- ينظر، رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ص185.

3)- ينظر: محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص443.

ب- الدخيل:

معناه لغة؛ كل من دخل في قوم أو انتسب إليهم وليس منهم، يقال: هو دخيل في بني فلان وهم دخلاء فيهم[1]. غير أنه وقع خلط عند القدماء وعند بعض المحدثين في تحديد مفهوم مصطلح "الدخيل"؛ فهو عند القدماء بمعنى المعرّب –كما ذكرنا آنفا– أو تشمل أيضا مفاهيم ومصطلحات أخرى. وإذا عدنا إلى كتاب "شفاء الغليل" فإننا نجد فيه الكلمات المعرّبة والدخيلة، ومنها العامية الصرفة والمولدة مثل كلمة "طلاء، فانطلى: ظاهر، وأما قولهم لا ينطلي أي لا يحسن ويروج حاله فعامية صرفة"[2]، وأن الكلمات العامية التي أوردها شهاب الدين هي كلمات محرفة عن أصلها اللغوي العربي، بمعنى أصابها اللحن الذي يقصد به "الخطأ" من الناحية الصرفية والنحوية وتغير الدلالة أيضا، وعدّها من الدخيل نحو كلمة "غفى"[*] والإغفاء معروف، قال بعض الأدباء: لا تعرف غفا يغفو وإنما هو أغفى فإن صح فلغة رديئة، وقد لحن شرف الدين الناسخ في قوله:

شكوت إلى ذاك الجمال صبابة   تكلّف جفني أنّه قط لا يغفو"[3]

كما نجد في هذا الكتاب الجليل ألفاظا مولدة أدرجها ضمن مصطلح الدخيل مثل كلمة "فوارة الماء"، معروفة وهي مولدة أيضا وللشعراء فيها معان لطيفة منها قول الشريف العقيلي:

---

1)– الزمخشري: أساس البلاغة، مادة (دخل).

2)– شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص175.

*)– غفا– أغفى: نام، قال ابن السكيت: ولا تقل غفا. ينظر: أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 1990، مادة (غفا)

3)– شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص196.

من حول فوّارة مركبة قد انحنى ظهر مائها تعبا"[1]

كما عدّ أسماء المناطق الواقعة في البلاد العجمية من الكلمات الدخيلة "وهذا ما أراه منطقيا، فكلمة "الغُور" بضم الغين، قرى وجبال عظيمة شامخة وفيها قلاع حصينة باذخة وهي ما بين هراة وداور وباميان والفرس"[2].

ولكن مفهوم مصطلح "الدخيل" عند المحدثين يأخذ حدا معينا. فحسن ظاظا يرى أن اللفظ الدخيل هو ما أخذته اللغة العربية من لغة أخرى، في مرحلة من حياتها المتأخرة من عصور العرب الخلص الذين يحتج بلسانهم، ويبقى كما هو في النطق الأصلي"[3].

وبهذا المعنى وجدنا تعريفا لأحد القدماء، وهو محب الدين بن عبد الشكور يقول فيه: "هو لفظ عجمي استعملته العرب على وضعه العجمي في محاورتهم"[4].

كما أن بعض المحدثين لم يسلموا من الاختلاف والتردد في تحديد المفهوم الاصطلاحي "للدخيل"، فغلب عليهم التعميم وبعض التغليب كالذي نراه عند علي عبد الواحد وافي القائل في تعريفه: "يراد بالدخيل الأجنبي ما دخل في اللغة العربية من مفردات أجنبية سواء في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين"[5].

---

1)- نفسه، ص203.

2)-نفسه، ص197.

3)- ينظر: د.حسن ظاظا: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، ص79.

4)- محب الدين بن عبد الشكور: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه، دار العلوم الحديثة، لبنان، (د.ت)، ج1، ص212.

5)- عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار النهضة، (د.ت)، ص199.

ونلاحظ من هذا التعريف للدخيل أنه يقصد به كلا من "المعرّب" و"المولّد"، والدخيل عنده ينقسم إذا إلى ثلاثة أنواع:

1- الدخيل المنقول من أصل عربي: هو ما نقله العرب أو المولدون بطريق الاشتقاق من معناه الوضعي اللغوي الذي عرف به في الجاهلية وصدر الإسلام إلى معنى آخر تعرف إمّا بين عامّة الناس وإما بين الخاصة ومنهم العلماء كالنحويين، والعروضيين، والفقهاء، والمحاسبين، والمهندسين، والأطباء وغيرهم[1]، ومن هذا النوع نستخلص أن على عبد الواحد وافي يقصد بـ"الدخيل" هنا كل مصطلح علمي اشتق من كلام عربي، بمعنى أنه لفظ فصيح استعمل في غير معناه الوضعي، من قبل العرب الفصحاء أو المولدين.

2- الدخيل المحرّف عن أصل عربي: وهو ما حرّف على ألسنة المولدين من المفردات العربية تحريفا يتعلق بالأصوات والدلالة أو بهما معا؛ وهذا ما يسمى أحيانا بالعامي أو الدارج، وأحيانا أخرى بالمولد العامي أو المولد الدارج، ويجمع هذا النوع ظن "الدخيل" الذي أقرّه علي عبد الواحد وافي بين المولد والعامي، وهذا أيضا ما ذهب إليه محمد الأنطاكي في كتابه الوجيز في فقه اللغة[2].

3- الدخيل المخترع من أصل مجهول: وهو ما جرى على ألسنة المولدين من مفردات ليس لها أصل معروف في اللغة العربية ولا في اللغات الأجنبية كالحنشصة، وهو ما سماه القدماء "المولّد" وأطلق عليه علي عبد الوافي "الدخيل المخترع"[3].

---

1)- ينظر: نفسه، ص209.

2)- ينظر: عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص444 وما بعدها.

3)- نفسه، ص210.

ومن هذه الأنواع الثلاثة التي أتى بها علي عبد الواحد وافي في إطار "التدخيل" فإنه قصد بمصطلح "الدخيل" كلا من المصطلح العلمي من أصل عربي وكذا الألفاظ العامية والدارجة والألفاظ المولدة؛ وبذلك يكون قد وافق مذهبه مذهب شهاب الدين الخفاجي من خلال ما جاء في معجمه "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل".

وما نستخلصه من قراءتنا لبعض آراء المحدثين في هذا العصر أن الدخيل مصطلح يطلق على أسماء لمسميات لا علاقة بها بجذور العربية، ولا هي من مسمياتها أو مشتقاتها؛ فهي مواليد غريبة، في أرض غريبة، وقد رمز لها في المعجم الوسيط بالرمز "د" لأنها وجدت في اللغة العربية بدون أن تمسها بأدنى تغيير، فهي تنطق كما هي سواء دلت على معان اشتقاقية أو حددت معان جامدة[1]، وهذه أمثلة من الألفاظ الدخيلة في العربية مصحوبة بتعريفاتها التي جاءت في المعجم الوسيط:

- أردواز: حجر صلصالي.
- أرغول: مزمار ذو قصبتين.
- أرغن: آلة موسيقية.
- أسبيرين: استيل حمض الساليسليك.
- بسكويت: عجينة بالسكر.
- بنك: مصرف.
- بيانلا: آلة موسيقية.

1)- ينظر: د.عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت)، ص335.

- تليفون: الهاتف.
- جيولوجيا: أحد علوم الأرض
- خديوي: لقب حاكم مصر فيما مضى.
- فيتامين: مادة عضوية متنوعة توجد في كثير من الأطعمة.

فالملاحظ أن هذه الكلمات الدخيلة هي أسماء لآلات وأدوات من إنتاج الحضارة الغربية، وأسماء لبعض العلوم الدقيقة الحديثة، وأسماء لبعض المواد الكيماوية، فجلّها تعدّ من المصطلحات العلمية والتقنية، وقد كثر الدخيل في مجال المصطلحات العلمية، ولاسيما النوع الخاص بالمسميات الجديدة، حتى إننا نجد ألفاظا دخيلة تشرحها المعاجم بألفاظ دخيلة أخرى كما جاء في معجم المصطلحات العلمية:

هبتين: (Heptane): برافين هيدروكربون.

نتروسليلوز (Nitro-cellilose): نترين السليلوز[1].

والجدير بالذكر أن بعض الألفاظ الدخيلة قد يكون له مقابل عربي، ولكنه مقابل سيء الحظ لم ينتشر على ألسنة الناطقين مثل الهاتف أو المسرة بدلا من (تلفون)، وأثمد بدلا من (أنتيمون)، وبرق بدلا من (تلغراف)، ومأساة بدلا من (تراجيديا)، وملهاة بدلا من (كوميديا)، وهذه الكلمات كلها تحتاج إلى مزيد من التوعية الثقافية لتنتشر على ألسنة العربية بدلا من الدخيلة، ولما لاحظ المجمع اللغوي إيثار الجماهير للفظ الدخيل أجاز استعماله، ولكن ذلك لا يمنع من إهماله مع تقدم الوعي القومي واللغوي[1].

---

1)- ينظر: د.عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، ص338.

ونظن أنه يجب على الدارسين المحدثين المهتمين بوضع المصطلحات العلمية الحديثة أن يرجعوا إلى ما كان متداولا على ألسنة السلف وأقلامهم ليغنوا به قواميسهم ومعاجمهم العلمية بدلا من أن يدخلوا هذه المصطلحات كما جاءت على لسان أصحابها؛ وخصوصا أن العلماء القدامى في مجال الطب والكيمياء وغيرها من العلوم الدقيقة كان لهم السبق في وضع المصطلحات العلمية لمسميات جديدة بواسطة "الترجمة" و"التعريب"، مازالت مرجعا مهما إلى يومنا هذا في الجامعات الغربية.

جـ- المولد:

هو ما "أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح، وهذا بخلا فيه، ففي ديوان الأدب للفارابي يقال: هذه عربية، وهذه مولّدة، ومن أمثلته قال في الجمهرة: الحسبان الذي ترمى هذه السهام الصغار مولّد... وكان الأصمعي يقول: "النّحْرِير"[*] ليس من كلام العرب وهي كلمة مولّدة، وقال: الخمُّ: القوصرة يجعل فيها التّبن لتبيض فيها الدجاجة، وهي مولّدة"[1].

وإلى هذا المفهوم لمصطلح "المولّد" اتبعه معظم المحدثين، وهو الذي استعمله الناس قديما بعد عصر الرواية، كما حرص مجمع اللغة العربية على تقييده بكلمة "قديما"وقد اقترن مصطلح "المولّد" بـ"المعرّب" عند بعض المحدثين مثل محمد الأنطاكي الذي يقول: "المولّد هو ما عرّبه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، والمولدون هم الأجيال الأولى التي ولدت في صدر الإسلام"[2].

---

*)- النَّحرير: الحاذق الماهر، العاقل، المجرّب، المتقن، الفطن والبصير بكل شيء.

1)- جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنوعها، 304/1.

2)- محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص446.

ومنهم من يخالف هذا الرأي تماما مثل محمد عبد المنعم خفاجي القائل: "ويجب أن نفرّق بين المعرّب والمولّد، فالمعرّب سبق أن بيناه، والمولد من الألفاظ هو الذي نطق به من تعلموا العربية بالصناعة ممن نشأوا بعد القرن الثاني في الأمصار أو بعد أواسط القرن الرابع في الجزيرة العربية، مما لم يرد عن العرب الأولين"(1).

كما وُصِف المولّد بـ"المحدث" عند بعض القدماء؛ إذ ورد في مختصر العين للزبيدي: "المولّد من الكلام المحدث"(2). والاتجاه نفسه نجده في بعض المعاجم الحديثة على شاكلة المعجم الوسيط الذي رمز للكلمات المولدة بالرمز "مو"، والملاحظ أن هذا المعجم لم يعط تحديدا حقيقا حين فسّر "المولد" بما يلي: "المولد: المحدث من كل شيء، ومنه المولدون من الشعراء، سموا بذلك لحدوثهم... والمولّد من الكلام كل لفظ كان عربي الأصل، ثم تغير في الاستعمال، والمولد: اللفظ العربي الذي يستعمله الناس بعد عصر الرواية"(3).

وفي هذا السياق يرى عبد الصبور شاهين أنه من التجاوز في القول بأن يوصف "المولد" بالمحدث لأن المحدث من طائفة الألفاظ المستقلة بذاتها عن المولد. كما يرى أيضا ينبغي أن نضع حدا زمنيا يفصل بين طائفة الألفاظ المولّدة وطائفة الألفاظ المحدثة، وهو يري أن فترة المولّد تنتهي عند بداية عصر "محمد علي باشا" بمصر في سنة 1805م، وهو الذي بدأ بجهوده خدمة اللغة العربية في العصر الحديث، فانفتحت على علوم العصر في أوربا، وذهب المبعوثون إلى هناك يغترفون ويترجمون ما وجدوه من مواد وكتب بإرادة لم تشهدها اللغة إلا إبان عصر المأمون

1)– شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، مقدمة التحقيق، ص21.

2)– جلال الدين السيوطي: المصدر السابق، 304/1.

3)– ينظر: المعجم الوسيط، مادة (ولد).

العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وبذلك تستغرق فترة المولّد حوالي تسعة قرون، ثم يبدأ زمن الألفاظ المحدثة، وهي من الناحية الزمنية تغطي قرنين حتى الآن، وإن كانت من حيث الكم أضخم من أن تقارن بأيّ مرحلة سبقتها(1).

وهناك من المحدثين وبعض الدارسين من أطلقوا مصطلح "المولّد" لا على الكلمة فحسب، بل على اللغة ككل في مرحلة من حياتها التاريخية؛ وذلك من حيث تركيب الجمل، والثروة اللفظية، وطرائق التعبير وغيرها. ونجد من بينهم يوهان فك الذي قال: "كانت اللغة الدارجة التي كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن، منذ نشوئها في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى، تعدّ عربية مولّدة في نظر التاريخ اللغوي، وقد أخذت هذه العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي أحدثها سقوط الدولة (الأموية) العربية، وقد بقي المجتمع الراقي بعيدا عن التأثر بها تأثرا يؤبه له حتى القرن الثالث (التاسع الميلادي)؛ كما أن الأوساط الأدبية كانت أبعد عن نطاق التأثر بها كذلك"(2).

وعموما، فإننا نلاحظ مما عرضنا من تعاريف لمصطلح "المولد" أن مفهومه مرتبط بفترة زمنية قديمة؛ أي بعد عصر الرواية؛ ولكن في ظل التطور اللغوي والحضاري الذي يشهده الوطن العربي في كل المجالات العلمية والثقافية يظهر نشاط المجامع اللغوية إلى الوجود من أجل مواكبة العصر والتطور الحضاري في العصر الحديث، ومن هنا برز استعمال مصطلح "التوليد" بصورة مكثفة، وهو من الجذر نفسه "للمولد"، ولكنه أعم وأشمل. فالتوليد عملية لغوية مستمرة،

---

1)- ينظر: د. عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، ص351.

2)- يوهان فك: العربية -دراسات في اللغة واللهجات والأساليب-، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص109.

واستخدامه إنما يأتي من الجانب الإبداعي المتواصل لإثراء اللغة العربية بالألفاظ التي تلبي حاجيات المجتمع ومتطلباته اللغوية في الوقت الحاضر والمستقبل، حتى تكون العربية قادرة على مواكبة الضرورات التعبيرية ومواجهتها في هذا العصر.

ومن عملية التوليد ظهر ما يسمى بـ"المولّد اللفظي" و"المولد المعنوي"، فالمجمع اللغوي يفرق بين هذين المصطلحين كما يوضح ذلك عبد الصبور شاهين بقوله: "إن من الضروري التفرقة بين المولد اللفظي والمولد المعنوي، لأن هذه التفرقة واضحة جدا في معاملة المجمع للألفاظ المولدة"[1].

ويضيف في السياق نفسه معرفا كليهما قائلا: "ونقصد بعبارة التوليد اللفظي أن يكون اللفظ بصيغة جديدة في الاستعمال بمعناه الجديد، ونقصد بعبارة التوليد المعنوي أن يكون للفظ معنى قديم، ثم ولّد له بصيغته القديمة معنى جديد"[2].

ومن أمثلة المولّد اللّفظي:

- البم: الوتر الغليظ.
- تكتك الفرس: مشى كأنه يطأ على شوك أو على نار.
- القصابة: أداة لتسوية الأرض.
- لازمة: عادة فعلية أو قولية يأتيها المرء دون شعور منه(3).

ومن أمثلة المولّد المعنوي:

- المبلغ: المنتهى (أصلا)؛ وبمعنى المقدار من المال (مولد).

---

1)- د. عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، ص351-352.

2)- د. عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، ص352.

3)- نفسه، ص353-355.

- حتحت الشجر: سقط ورقه، وحتحت الشيء: جزأه مبالغا في تجزئته.
- حصل له كذا: حدث (مولد).
- الحصة: النصيب (أصلا)، والفترة من الزمن (مولد)[1].

والملاحظ أن ما جاء به مجمع اللغة العربية من ألفاظ في إطار "المولد اللفظي والمعنوي"، لم يكن له دور فيها سوى إقرار معانيها أو صيغها بما تدل عليه، فكلها قديمة الاستعمال في متن اللغة العربية وتمثل في الواقع عطاء المجتمع للغة، ذلك العطاء الذي لا ينتهي ولا يتوقف حتى في عصور التخلف.

والملاحظ أيضا أن حجم "المولّد" في اللغة العربية كبير، ويشمل ما أنتجه الناس بعد عصر الرواية وقبيل عصرنا الحديث، ويعدّ أكثر بكثير من حجم "المعرّب"، ولكن ما سجله القدماء كان ضئيلا، وهذا ما تعرض إليه الشيخ إبراهيم اليازجي موضحا ذلك بقوله: "إلا أن مصنفي اللغة لم يكادوا يدونون من أوضاعهم إلا النّزر اليسير مما يسمونه بالمولد، وأغفلوا أكثر المحدث حتى لا تكاد تجد له أثرا إلا في كتب أربابه من أهل الفنون التي طرأ فيها ذلك الإحداث"[2].

ويمكننا أن نرد على هذا الرأي ملتمسين العذر للقدماء من هذه الناحية، لأنهم استطاعوا أن يحافظوا على سلامة اللغة العربية ونطاقها، وذلك بتدوينهم وانتقائهم الأجود والأفصح من كلام البدو. وكان قصدهم من ذلك حماية القرآن الكريم من اللحن، وكان اهتمامهم بالأعراب ولغتهم لتنقية هذه اللغة من كل

---

1)- نفسه.

2)- الشيخ إبراهيم اليازجي: في اللغة والأدب، بقلم "فؤاد أفرام البستاني"، من سلسلة الروائع، رقم 41، دار المشرق، بيروت، ط4، 1989، ص177.

شائبة تفسد السليقة العربية، فعدوا لغتهم المثل الأعلى في جميع الأحوال، وأفنوا للعربية سنين طويلة من عمرهم خدمة للدين وللمجتمع اللغوي العربي، ولا يمكن لأي كان أن يجحد فضلهم أو ينكر عليهم ذلك.

د- المحدث أو العامي:

يتمثل عطاء المجتمع القديم للغة، في شكل ألفاظ مولدة، مع العلم أنه ليس كل ما جرى على ألسنة المولدين، ولاسيما مما جاء بعد صدر الإسلام، يصلح لاستعمال الفصحاء ويجوز أن يلحق بألفاظ المتقدمين؛ فلكل عصر لغته الخاصة تميزه من بقية العصور.

كما يتجلى عطاء المجتمع المعاصر للغة في صورة كلمات "محدثة"، وقد عرّفها مجمع اللغة العربية بأنها "الألفاظ التي استعملها المحدثون في العصر الحديث، وشاعت في لغة الحياة العامة"[(1)]. غير أن الدارسين المحدثين اختلفوا في تحديد زمن "المحدث"، فهذا محمد الأنطاكي يرى ظهور المحدث في عصر الانحطاط فيقول: "فهناك ألفاظ كثيرة لاشك في كونها من المحدث وذلك لتثبيتنا من الزمن الذي ظهرت فيه، وهو عصر الانحطاط المتفق على حداثته"[(2)]، ويذهب عبد الصبور شاهين إلى أن مرحلة تحديث اللغة العربية تبدأ في عصر "محمد علي" بمصر؛ أي في العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري إلى يومنا هذا، فتلك الفترة التي بدأ فيها "المحدث" هي نفسها التي ينتهي عندها "المولّد".

ومن الصعب جدا تمييز المحدث عن المولد لعدم اتفاق اللغويين على الوقت الذي ظهرت فيه الكلمة المولدة والمحدثة بصفة دقيقة.

---

1)- د. عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، ص357.

2)- محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص447.

وقد عدّ بعض المحدثين الكلمة "المحدثة" من الألفاظ الدخيلة في اللغة، كمحمد الأنطاكي الذي ذهب إلى أن أكثر الألفاظ المحدثة هي من الفارسية أو التركية أو الكردية؛ فكلها مصطلحات إدارية من اصطلاحات الحكومة، ومن أمثلة ذلك:

الإستادار: وهو من يتولى قبض مال السلطان أو الأمير.

الجمدار: وهو من يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصلها جامادار[1].

ولكن التسمية الغالبة عند قدماء اللغويين والمحدثين على مصطلح "المحدث" هو لفظ "العامي" تمييزا له عن "المولد" ويعرّفه حسن ظاظا قائلا: "العامي وهو تحريف سوقي لألفاظ كانت من قبل عربية صحيحة مثل "بالزاف" عامية مغربية أصلها الفصيح "بالجزاف"؛ أي كثير"، وفي الإطار نفسه يدرج مصطلحا آخر ضمن "العامي" وهو "الملحون" معرفا إياه بقوله: "وهو لفظ دخل عليه تغيير صوتي انحرف به عن الفصيح، كقول العرب في الأردن وفلسطين "الجُرْدُون" أو "الجُرْذَان"، مفرد جُرَذ وهو الفأر"[2].

وللعلم، فإن القدماء من الغويين سبق لهم أن درسوا وصنفوا هذا النوع من الألفاظ المسماة العامية في مؤلفاتهم اللغوية، وقالوا بالفرق بين "العامي" و"الفصيح" من الألفاظ، ومن أمثلة العامي جاء به القدماء وأورده السيوطي في مزهره كالآتي: "ومما يهمز من الأسماء والأفعال والعامة تبدل الهمز فيه أو تسقطه:

---

1)- محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص447.

2)- د.حسن ظاظا: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، ص80.

آكَلْتُ فُلاَنًا إذا أَكَلْتُ معه، ولا تقل: وَاكَلْتُهُ... وما لا يهمز والعامة تهمزه: رجل عَزَبٌ... ولا يقال: رجل أعزب... ومما جاء ساكنا والعامة تحرّكه: في أسنانه حَفْرٌ... ومما جاء متحركا والعامة تسكنه: تُحَفة..."[1].

ومما سبق ذكره نلاحظ أن الكلمة "المحدثة" عند القدماء هي كلمة ذات صيغة جديدة لم تعرفها اللغة العربية من قبل على نحو ما جاء في المزهر: "قيل الطُّفَيْلِي لغة محدثة لا توجد في العتيق من كلام العرب. كان رجل بالكوفة يقال له طُفَيل يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها فنسب إليه"[2].

أما "العامية" فهي الكلمة العربية الفصيحة التي غيرتها العامة من الناس، إما بحذف أحد الأصوات، وإما بإبدال حرف بحرف، وإما بتغيير حركة بحركة مغايرة لها، وإما بإسكان الحركة أو تحريك الساكن مما جاء متحركا، وإما بإضافة حرف زائد أو حركة طويلة في الكلمة كقولهم: "ماء مَالِحٌ" وإنما يقال: "مِلْحٌ"، وقولهم كذلك: "أَخُوهُ بِلَبَنِ أُمِّهِ" وإنما يقال: بِلِبَانِ أُمِّهِ، واللّبن ما يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم"[3].

وإذا كانت اللغة تستمد حياتها من تراثها، فإن جهود أبنائها متواصلة تكفل لها الاستمرار في مسيرتها. فعلى الرغم من أن التراث اللغوي العربي يشكل مصدرا وافرا للكلمات الأصيلة التي مازالت صالحة للاستعمال، إلا أن هناك مصدرا آخر غزير العطاء في حياتنا المعاصرة؛ وهو الإعلام بأجهزته المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزة، وكتاب وأدباء.

1)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 311/1-314.

2)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 314/1.

3)- المصدر نفسه، 307/1، 317.

وللمجامع دور كبير في معالجة الألفاظ المحدثة بإثباتها في المعجم وتحديد دلالتها بطريقة مقننة تتناسب وتعريفات المعاجم، وما يميز هذه الألفاظ المحدثة أن منها مصطلحات علمية ذات صبغة حضارية كما في كلمات؛ "منطاد: جهاز يملأ بغاز الأيدروجين ويطير في الجو... والمخصرة: عصا قصيرة يشير بها رئيس الموسيقى إلى الفرقة، ونقد ذاتي: عكس النقد الموضوعي"، ومنها ماهو من الألفاظ الشعبية كما في كلمات "الفول المدمس: المتضح في قدر مغلقة... وحمّر الشيء؛ بمعنى قلاه بالسمن ونحوه حتى احمرّ"[1].

ويلاحظ أن هذين المستويين من إنتاج الحياة العامة المعاصرة بكل ما أدى أصحابها من حس لغوي وقدرة على التعبير عن محدثات الحضارة ومفاهيمها، وإذا تصفحنا المعجم الوسيط مثلا وجدنا مجموعتين من الألفاظ المحدثة:

المجموعة الأولى: هي ألفاظ مفردة مثل: "الحَلَق: القِرط، والمخبأ: ملجأ من الغارات الجوية والاحتلال؛ سيطرة دولة على أخرى.

والمجموعة الثانية: هي ألفاظ في صورة عبارات مثل: الخطوط الجوية: طرق الطائرات في الجو ومراسل الصحيفة: من يوافيها بالأخبار وفرد الشيء: جعله أفرادا[2].

فالألفاظ المحدثة التي تناولها المجمعيون لا يعرف لها واضع بالتحديد، ومتى كان ذلك الوضع؟ فهكذا انتهت إلينا على عكس الألفاظ المجمعية التي هي معروفة الواضع، وهو أعلى سلطة لغوية ارتضاها المجتمع في شكل مجامع لغوية وقد

---

1)- عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية، ص358، 363.

2)- المرجع نفسه، ص 363.

ميز صاحب المعجم الوسيط هذه المجامع ورمز لها بالرمز (مج)، وفيها يتجلى دور المجتمع الحقيقي في إبداع الألفاظ الجديدة مسايرة للركب الحضاري المعاصر.

لقد نشط العرب منذ أواخر القرن الماضي في ميدان التعريب، نظرا للظروف التي مرت بها البلدان العربية وخاصة منها التأخر الحضاري الذي تسبب فيه الاستعمار الغربي، ولذا كان التعريب أهم قضية شغلت المفكرين والمخلصين من أبناء البلاد العربية؛ فأخذ التعريب بذلك ثلاثة اتجاهات:

1- الاتجاه الأول: وفيه أُخِذ التعريب بمعناه القديم، وهو نقل اللفظة الأعجمية إلى اللغة العربية وهو ما يسمى بـ"المعرّب"[1]، وإضافة إلى هذا المعنى القديم استعمل ممدوح خسارة مصطلح "التعريب اللفظي" وهو التعريب الأول الذي كان تعريب الطبع والسليقة العربية، لأن الذين قاموا به عرب خلص من قرون الاحتجاج، وأما تعريب الجاهليين والتعريب القرآني، فلا يمكن أن نضعهما على سويّة واحدة مع تعريب العباسيين[2].

كما أطلق بعض المحدثين مصطلح "الاقتراض" قاصدين بذلك "التعريب"، ولكن بشكل ومفهوم أوسع من المصطلح القديم، وفي هذا الصدد يقول محمود فهمي حجازي: "المقصود بالاقتراض دخول ألفاظ غير عربية إلى اللغة العربية، ويعبر بعض اللغويين عنه بكلمة "التعريب"، وهي كلمة نستخدمها هنا استخداما عاما ليشمل الطرق المختلفة للتعبير عن مفاهيم ومصطلحات غير عربية باللغة

---

1)- أحمد مطلوب: حركة التعريب في العراق، بغداد، 1983، ص18.

2)- ينظر: محمد ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد السبعون، 1995، ج3، ص539.

العربية"[1]، وبهذا المعنى أيضا يعني مكتب تنسيق التعريب بالرباط بالألفاظ الدخيلة وبقضية التعريب بأبعادها المختلفة.

وإلى هذا المصطلح ذهب عبد القادر عبد الجليل واستعمله في دراسته للبنية اللغوية في اللهجة الباهلية، وخصص مبحثا بعنوان "لهجة باهلة والاقتراض اللغوي" وقصد التعريب القديم قائلا: "يعرّف الاقتراض اللغوي بأنه دخول ألفاظ غير عربية إلى اللغة العربية، ويعبّر بعض اللغويين عنه بكلمة التعريب"[2]. وقد حدّد مدة هذا الاقتراض اللغوي لهذه اللهجة بقرن ونصف قبل الإسلام.

وأما بعض المحدثين، فقالوا بـ"الاستعارة" كمرادف لغوي لمصطلح الاقتراض، قاصدين بذلك "التعريب"؛ وقد ذكره أحمد عبد الرحمن حماد بقوله: "وبمعنى آخر أن استعارة أو اقتراض ألفاظ من لغة إلى لغة أمر طبيعي ولا خطر منه وإنما هي وسيلة من وسائل النمو اللغوي"[3].

وأطلق آخرون مصطلح "التعريب المعنوي" قاصدين به صورة من صور التوليد اللغوي في العصر الحديث، ومن بينهم الأب الكرملي الذي قال: "والمعرّب المعنوي كثير في العربية منها: الدرجة، الظفر، والضفدع، والبواب، ... والمستقيم وكلها ألفاظ علمية تفيد معاني غير معانيها الموضوعة لها وكلها معربة تعريبا معنويا عن الأعجمية والعمود في الجريدة من هذا القبيل"[4].

1)- د. محمود فهمي حجازي: اللغة العربية عبر القرون، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، 1987، ص77.

2)- ينظر: عبد القادر عبد الجليل: البنية اللغوية في اللهجة الباهلية -دراسة في المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية-، دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 1997، ص48.

3)- أحمد عبد الرحمن حماد: عوامل التطور اللغوي، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1983، ص104.

4)- د.حلمي خليل: المولد، المكتبة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1979، ص97.

ولكن أغلب المحدثين يستعملون مصطلح الاقتراض اللغوي خاصة "الاقتراض المعجمي"، قاصدين بذلك التعريب القديم ومعالجة بعض المصطلحات العلمية ذات الأصل الأجنبي بإعطائها صبغة عربية أصيلة.

2- **الاتجاه الثاني**: وفيه أخذ مصطلح التعريب معنى "الترجمة"، وهو نقل الكتب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، ومن بين الذين ذهبوا هذا المذهب سليمان البستاني الذي قال على ترجمته في إلياذة "هوميروس" وأنها: "المعربّة نظما"[1]، وقال أيضا في ديباجة الترجمة: " أرجو أن تكون محكمة التعريب خالية من شوائب اللكنة والعجمة"[2].

3- **الاتجاه الثالث**: وفيه صار التعريب بمعنى التأليف والتدريس باللغة العربية. وقد تدخل فيه الترجمة والتعريب بمعناه القديم؛ أي "المعرّب". وهناك من يفرق بين المصطلحين، بحيث يرى بعض المحدثين أن الترجمة غير التعريب، فالترجمة نقل المعنى والأسلوب من لغة إلى لغة أخرى؛ بينما التعريب هو رسم لفظة أجنبية بحروف عربية[3]، وهذا الاتجاه الثالث أو هذا النوع من التعريب هو ما يسعى إليه معظم الباحثين في الوطن العربي في هذه الأيام من حيث التأليف والتدريس باللغة العربية.

ونستنتج من كل ما قيل أن "التعريب" هو:

1- صوغ الألفاظ الأجنبية صياغة لا تخرج عن ذوق العربية.

2- وضع كلمات عربية لألفاظ أجنبية أو لمصطلحات علمية.

---

1)- أحمد مطلوب: حركة التعريب في العراق، ص19.

2)- د.حلمي خليل: المولد، ص97.

3)- أحمد مطلوب: المرجع السابق، ص19.

3- تدريس العلوم باللغة العربية ووضع كتب فيها أو نقلها من اللغات الأجنبية.

3- طرق تحقيقه في الفصحى:

كان التعريب في الماضي المصدر الثاني للمفردات التي تحتاج إليها العربية، أما اليوم فقد أصبح الشغل الشاغل لمعظم البلدان العربية والهيئات العربية، وينظر إليه بعض اللغويين على أنه مشكل "في جانبه اللغوي، مشكل عن المفاهيم الحضارية والعلمية والفنية، وكل المعلومات الواردة بصفة عامة"[1].

ولتحقيق اللفظ المعرّب أو غير ذلك من الألفاظ الدخيلة، توجد ضوابط وطرق مختلفة نص عليها القدماء بفضل تحكمهم في بعض اللغات الأعجمية وتوسعهم فيها كالفارسية واليونانية، الأمر الذي مكّنهم من استنباط بعض الضوابط للتعريب؛ كما حددوا فترته الممتدة على الأرجح من العصر الجاهلي إلى منتصف القرن الثاني للهجرة في المدن الحضرية، وهي تمثل عصر الاحتجاج باللغة العربية، وما يلي هذه المدة فهو تدخيل. ويمكن استعراض بعض طرق التعريب فيما يأتي:

أ- التحقيق التاريخي:

يرى محمد الأنطاكي أن طريقة التحقيق التاريخي هي أنجع الطرق وأصحها وأهمها[2]، وإن كان التاريخ لا يسعفنا في أغلب الأحيان في تتبع زمن دخول هذه

1)- د. عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت-باريس، (د.ت)، ص351.

2)- ينظر: محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص453.

الكلمات المعربة إلى اللغة العربية، وخاصة إذا ما فقدنا الدلائل والقرائن التي تثبت ذلك زمنيا.

وقد حدد زمن العربية الفصيحة بخمسين ومائة سنة قبل الإسلام، وكل ما وصلنا من اللغويين القدماء في شكل أخبار وأشعار وروايات لغوية تمثل بحق نضوج اللغة العربية وأوج كمالها، كما ألفوا في نوع "المعرب" اللفظي، وهو اللفظ الذي اقتبسته العربية ولم تبقه على حاله تماما، بل حدث وأن طوعته لمنهجها في أصواتها وبنيتها، وليس هذا الأمر بدعا في العربية؛ إذ تخضع في الغالب الكلمات المستعارة للأساليب الصوتية في اللغة التي اقتبستها، فينالها كثير من التحريف في أصواتها وطريقة نطقها، وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة.

وكان هذا دأب العرب في جاهليتهم تجري على ألسنتهم بعض الألفاظ التي يحتاجون إليها من لغات الأمم المجاورة لهم، بعد أن ينفخوا فيها من روحهم العربية فيتلقفها الشعراء منهم ويدخلونها في أشعارهم وأراجيزهم[1]. وقد طال الأمد على كثير من هذه الألفاظ في الجاهلية، وألف الناس استعمالها وصارت جزءا من لغتهم، وربما نسوا أصلها لقول الجواليقي: "والسَّطْلُ والسَّيْطَلُ أعجميان، قد تكلمت بهما العرب"[2].

وجاء القرآن الكريم، فأنزله الله تعالى بهذه اللغة التي جاء فيها شيء من تلك الألفاظ التي عرّبها القوم من لغات الأمم المجاورة، وأصبح المعرّب من مقوّماتها، وكان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يذكرون ذلك تماما، فقد روي عن ابن

---

1)- ينظر: د. رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص183.

2)- أبو منصور الجواليقي: المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، مصر، ط2، 1969، ص241.

عباس، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم في أحرف كثيرة من القرآن الكريم أنها من غير لسان العرب مثل: سجيل والمشكاة وغير ذلك[1].

ونظرتهم إلى المعرب في القرآن الكريم جعلت منه سنّة من سنن العربية في تعاملها مع اللغات الأخرى. ولهذا انكب بعض العلماء على إحصائها ومحاولة تفسيره وإرجاعه إلى أصوله الأولى. فمن الألفاظ المعربة التي وقعت في القرآن الكريم نجد: "إناه: نضجه بلسان أهل المغرب ذكره شيدلة وأبو القاسم بلغة البربر قوله تعالى: ﴿من عين آنية﴾؛ أي حارة بها، والرّقيم: قيل إنه لوح بالرومية، وقال أبو القاسم هو الكتاب بالرومية وهو الدّواة بها، ورمزاً: عدّه ابن الجوزي في فنون الأفنان من المعرّب وقال الواسطي هو تحريك الشفتين بالعبرانية، والسندس: قال الجواليقي هو رقيق الديباج بالفارسية، وقال الليث لم يختلف أهل اللغة والمفسرون في أنه معرب، وقال شيدلة هو بالهندية، ونجد أيضا سينين: الحسن بلسان الحبشية، وسناء: سيناء بالنبطية الحسن، والصراط: عند ابن الجوزي أنه الطريق بلغة الروم، وطور: قيل عن ابن مجاهد قال: الطور الجبل بالسريانية"[2].

والملاحظ أن القدماء قد تنبهوا إلى ما يسمى بتوافق اللغات وتقاربها أثناء دراستهم لظاهرة الألفاظ المعرّبة في القرآن الكريم، وذكر أبو بكر الواسطي (ت.932هـ) في كتابه الإرشاد في القراءات العشر: "في القرآن الكريم أنه من اللغات خمسون لغة، منها ماهي عربية، كلغة قريش وهذيل وكنانة وخثعم والخزرج، ونمير،

1)- ينظر: جلال الدين السيوطي: المزهر، 266/1، 268.

2)- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، (د.ت)، ج1، 135 و137.

وقيس، وكندة، وتميم، وحمير، ومدين، ولخم ... ومنها ماهي غير عربية من الفرس، والروم، والنبط، والحبشة، والبربر، والسريانية، والعبرانية والقبط"[1].

وهناك من القدماء من أنكروا وجود المعرّب في القرآن الكريم، ومنهم من قال بوجوده فيه، ومنهم من وقف موقفا وسطا في هذه المسألة كأبي عبيد القاسم بن سلام (ت.224هـ) صاحب الغريب المصنف القائل: "والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية، كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل بها القرآن الكريم وقد اختلطت هذه الحروف (الكلمات) بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فصادق"[2].

هذا عن تلك الألفاظ المعربة التي حددت فترتها بنُزول القرآن الكريم، ولكن الكثير منها لا يعرف لها زمن ولا مكان لانعدام الدلائل والقرائن التاريخية، ولأنه في الوقت الذي تأثرت العربية بغيرها من اللغات –عن طريق الرحلات والأسفار والتجارة والحروب والغزوات- كانت أيضا لغة مؤثرة في غيرها من اللغات، وحلت محل بعضها بعد انتشار الإسلام في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي، لأن القرآن الكريم نزل بها فأعطاها قوة أبدية وأزلية، وقد وردت آيات كثيرة تردد عبارة "قرآنا عربيا"[3].

1)- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 137/1.

2)- نفسه.

3)- ينظر: سورة الزخرف، الآية: 3، وسورة يوسف، الآية: 2، وسورة طه، الآية: 113، وسورة الزمر، الآية 120، وسورة الشورى، الآية: 7.

وكل ما يمكن قوله إنه لم يكن للقدماء طريقة واحدة ومحددة في تعريب الكلمات، فلا يمكن أن نضع تعريب الجاهليين أو التعريب القرآني على سوية واحدة مع تعريب العباسيين، وذلك أن التعريب الأول كان تعريب الطبع والسليقة العربية قام به عرب خلص من قرون الاحتجاج، ولهذا صعب على كثير من الباحثين تمييز المعرب من العربي فيه، لأن كلمات مثل (قلم وسجّيل ودرهم) قد عرّبت بطريقة دمجتها في اللسان العربي دمجا يكاد يكون عضويا.

أما النوع الثاني وهو تعريب العصرين العباسي والمملوكي، فقد كان أقرب إلى التدخيل منه إلى التعريب؛ بمعنى أن المترجمين أخذوا الكلمة الأعجمية وألصقوها بجسم اللغة، فبدت غريبة نابية على شاكلة أرثماطيقي (علم العدد، وفيزيقي (الطبيعة) وأسطقس (العنصر)[1].

ب- التحقيق الصوتي:

لقد خص العرب القدماء الجانب النطقي من الدراسات الصوتية بعناية خاصة، فشبّه "ابن جنّي" (ت.392هـ) جهاز النطق بالناي مقارنًا بين عملية النطق وما ينتج عنها من أصوات بحركات أصابع اليد على ثقوب الناي، وهو تصور دقيق لوظيفة الجهاز النطقي وطبيعته، ولعل ما حفزهم على ذلك هو حرصهم على معرفة أصول القراءات القرآنية وإتقان ترتيل كتاب الله العزيز وتجويد نطقه، وقد استفادوا من هذه المعرفة عندما واجهوا ظاهرة اللحن الصوتي في نطق الأعاجم للعربية[2].

---

1)- ينظر: د. ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ص539-540.

2)- مسعود بوبو: أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، ص123.

كما استخدموا هذا الجانب من الدراسة في الكشف عن الكيفية التي يتم بها التلفظ بالأصوات الدخيلة في كلام العرب، والجانب الصوتي هو أهم طريقة للتعريب، إذْ استخدمت هذه الكلمة بمعنى الإبدال الصوتي مثلما نرى ذلك واضحًا في قول أبي عبيد القاسم بن سلام (ت.224هـ) في الغريب المصنّف حين قال: "العرب يعرّبون الشين سينًا يقولون: نيسابور، وهي نيشابور، وكذلك الدَّشْتْ[*] يقولون دَسْت فيبدلونها سينًا"[1].

فالواقع أن تردُّد السين في الموقع الثاني في الجذور الثلاثية أكبر من تردُّد الشين في الموقع نفسه، إذْ إنّ النسبة المئوية لتردُّد السين هي (3,478%) والشين هي (1,739%)[2].

ويرى في هذا المضمار بعض القدماء أنّ السين في العربية هي الشين في العبرية، وهو نوع من التقارب والتوافق بين اللّغات من حيث الأصوات اللغوية، فقال نصر بن محمد بن أبي الفنون النحوي في كتاب أوزان الثلاثي:" سين العربية شين في العبرية، فالسلام شلام، واللسان لشان، والاسم اِشم"[3].

ومما غيّره العرب عن طريق الإبدال "أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم كلّها أعجمية، نحو "إبراهيم" و"إسحاق" و"إلياس"، إلاّ أربعة أسماء، وهي: "آدم" و"صالح" و"شعيب" و"محمّد"[4]، كما اشترط القدماء "الاستعمال" لهذه الكلمات

---

*)- الدشت: الصحراء.

1)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 175/1.

2)- ينظر: ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص543-544.

3)- جلال الدين السيوطي: المصدر السابق، 175/1.

4)- الجواليقي: المعرّب، ص 54 و61.

الأعجمية، قال الجواليقي:" اِعلم أنّهم كثيرًا ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا، وربما أبدلوا ما بَعُدَ مُخْرجُه أيضًا"[1].

ومن الحروف الأعجمية التي ليست من حروفهم، فيحوّلونّها إلى حروف أقرب من مخارجها كالحرف الذي بين الباء والفاء مثل "پور" المحوّل إلى "فور"[*]. وقد حدّد القدامى الحروف التي يكون فيها البدل في المعرّب، فذكروا عشرة: "خمسة يُطَّردُ إبدالها وهي: الكاف، والجيم، والقاف، والباء، والفاء؛ وخمسة لا يُطَّردُ إبدالُها وهي: السين، والشين، والعين، واللام والزاي. فالبدلُ المطَّردُ: هو في كلّ حرفٍ ليس من حروفهم كقولهم: كُرْبَج الكاف فيه بدل من حرف بين الكاف والجيم؛ فأبدلوا فيه الكاف أو القاف، نحو قُرْبَق[**] أو الجيم نحو جَوْرَبَ، وكذلك فَرِنْد[***]هو بين الباء والفاء فمرّة تبدل منها الباء ومرة تُبْدل منها الفاء[2].

وأمّا ما لا يطّرِد فيه الإبدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم إسماعيل أبدلوا السين من الشين. لأنّ الشين نحوها في الهمس والانسلال من بين الثنايا، والعين من الهمزة، لأنّها أشبه الحروف بالهمزة، وأصله إشمائيل، وكذلك قَغْشَلِيل وهي (المعرفة)، فأبدلوا الشين من الجيم واللام من الزاي، والأصل قَفْجِليز"[3]، وفي هذه الكلمة قال الجواليقي:" وأصلها كَفْجَلاَزُ، وجَعَلُوا الكاف

---

1)- نفسه، ص61.

*)- فور: بلد بساحل الهند معرّب "پور"

**)- قربق: هو الدكان معرّب كوبه، وقيل: البصرة بعينها.

***)- فِرِنْد :يقال، فِرِند السيف جوهره ويقال:برند(Parand)، وهو فارسي معرّب وقيل: إنّه الحرير.

2)- ينظر: شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص 199.

3)- سيبويه: الكتاب، 306/4، وعنه نقل السيوطي في المزهر، 174/1.

منها قافًا، والجيم شينًا، والفتحة كسرةً، والألفَ ياءً[1]. "ومما زادوا فيه من الأعجمية ونقصوا "إِبْرَيْسَم" وإِسْرَافِيل" و"فيروز" و"قهرمان" وأصله "قرمان"[2].

ومن التغيير الذي يطرأ على الكلمة الأعجمية أثناءَ تعريبها وإبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن، قال سيبويه: "وَمِثْل ذلك تغييرهم الحركة التي في زَوْرْ، وآشُوبْ: فيقولون: زُورُ، وأَشُوبُ، وهو التخليط؛ لأنّ هذا ليس من كلامهم"[3]. ويقول المجمعي طاهر الجزائري مفسرًا ما قاله سيبويه: "وممّا وقع فيه إبدال حركة بحركة (زُوْر) بالضَّم -بمعنى القوة- فإنّه معرّب من (زوْرْ) بضمة مشوبة بالفتحة، فأبدلت هذه الضمة المشوبة بضَمَّةٍ خالصة، وهذا الإبدال لازمٌ لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية، ومثلها كلمة آشُوب"[4].

والملاحظ أن بعض الكلمات الأعجمية كانت تنتهي بالهاء أو الياء بحسب قواعد لغتهم، ولما كان هذان الحرفان مما يثقل ظهور الحركة الإعرابية -المميّزة للغة العربية- عليهما، فقد أبدل بهما حرف مجهور كالجيم والقاف. يقول المجمعي طاهر الجزائري: "فلو قال قائل: إنّ الجيم هنا أو القاف حرف قد زيد في آخر ما فيه الهاء الرسمية لتهيئة الكلمة لقبول الإعراب الظاهر لم يكن مبعدًا، فإنّ للإعراب الظاهر شأنًا عظيما عند العرب، فتكون زيادة الجيم فيه مثل زيادتها في (الكَنْدُوج)

---

1)- الجواليقي: المعرّب، ص56.

2)- نفسه.

3)- سيبويه: المصدر السابق، 306/4.

4)- ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص544-545.

وهو الخليَّة والخزانة، فإنه معرّب (كَنْدُو)، فزيدت فيه الجيم لتهيئة الكلمة للإعراب الظاهر"[1].

فأحسن كلام العرب ما بني من الحروف المتباعدة المخارج، وأخف الحروف حروف الذلاقة. يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.175هـ): "اِعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م، وإنّما سميت هذه الحروف ذلق لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية: (ر، ل، ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف، ب، م مخرجها ما بين الشفتين خاصة. فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من الحروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اِثنان أو فوق ذلك، فاعلم أنّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست في كلام العرب، لأنك لست واحدًا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلاّ وفيها من الحروف الذلق أو الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر"[2].

فمعرفة القدماء للقواعد الصوتية التي تبنى عليها الكلمة الفصيحة مكّنهم من تمييز الكلمة الأصيلة من الكلمة الدخيلة، قال الخليل بن أحمد: "ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناءٍ إلاّ حسنتاه لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسًا"[3]. فهناك أصوات لا يمكنها أنْ تجتمع في كلمة عربية فصيحة، وإذا وجدت تلك

---

1)- ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص545.

2)- خليل بن أحمد الفراهيدي: معجم كتاب العين، تحقيق د.مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ج1، ص12.

3)- خليل بن أحمد الفراهيدي: معجم كتاب العين، 12/1.

الأصوات الكلمة معرّبة أو حكاية صوت نحو: الجردقة للرغيف وجوسق وجلق وجوالق للوعاء وجلنبلق صوت الباب[1].

وقد حدّد النحاة القدماء الوجوه التي يعرف بها الاسم المعرّب، فقال الجواليقي في باب ما يعْرَف من المعرّب بائتلاف الحروف: " لم تجمع الجيم والقاف في كلمة عربية. فمتى جاءتا في كلمة فاعلم أنّها معرّبة، من ذلك "جَلَوْبَقُ"، و"جَرَنْدَق"، و"الجَوْقُ"، و"القَبَجُ"... ولا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية، من ذلك "الجِصُّ"، و"الصَّنْجَة" و"الصَّوْلَجَانُ" ونحو ذلك، وليس في أصول البنية العرب اِسم فيه نون بعدها راء. فإذا مرّ بك ذلك فاعلم أنّ ذلك الاسم معرّب، نحو" نَّرْجِس" و"نَوْرج" و" نَرجَة"، وليس في كلامهم زاي بعد دال إلاّ دخيل، من ذلك "الهنداز" و"المهَنْدِزُ" وأبدلوا الزّاي سينًا، فَقَالوا "المهندس". ولم يَحْكِ من الثقات كلمة عربية مبنية من باءٍ وسينٍ وتاءٍ. فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيلٌ"، كما أضاف ابن سيده (ت.458هـ) في المحكم أنّه "ليس في كلام العرب شينٌ بعد لامٍ في كلمة عربية مَحْضَة. السَّينات كلّها في كلام العرب قبل اللامات"[2].

والملاحظ أن هذهِ القواعد والأحكام اِستنبطها القدماء من معرّبات العصر الجاهلي والإِسلامي الأول التي أعطتنا كلمات مثل (إبريق وسندس وكوز وجَرَّة) من الفارسية و(الفُلْفُل وشَطْرَنْج وصَنْدَل) من الهنديّة لا من معرّبات العصرين العباسي والمملوكي التي أعطتْنا مثل (بوطيقي) للشعر، و(ريطوريقي) للخطابة، و(قاطيغوري) للمقولات و(حَكَمْدر) لمنصب إداري[3].

---

1)- ينظر: شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص27-28.

2)- الجواليقي: المعرب، ص59-60، والسيوطي: الاقتراح، ص45-46.

3)- ينظر: ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص540.

وفي العصر العباسي اِزداد الاحتكاك الثقافي باللغتين الإغريقية واللاتينية، وازدادت نسبة المعرّبات منها، وكان على المعرّبين مواجهة حروف هاتين اللغتين وأصواتهما، وكما وَجَدْنَا المعرّبين من اللُّغة الفارسية ينقلون الحرف الواحد إلى العربية بأكثر من حرف، كذلك رأينا عند المعرّبين عن تلك اللّغتين مثل هذا التعدّد، إذْ نقل الحرف اللاتيني (C) إلى الأحرف العربية: (ق، ك، ج، س، ح، ف، ش)؛ ونقل الحرف اللاتيني (Y) إلى تسعة أحرف[1]، ومع ذلك فثمة حالة غالبةٌ لنقل كلِّ حرف عند القدماء وهي كالآتي:

J= ج، P= ب، V= ب، C= ق، K= ك، Q= ق، T= ط، W= و، X= ش، H= ء، Z= ز[2].

أمّا لماذا لم يَطَّرِدْ إبدال الحروف ويجري على قاعدة ثابتة، فلذلك أسباب عدّة منها تعدّد اللّغات التي أخذت منها العربية وتباين خصائصها وطبائع أصواتها، ومنها التطور الصوتي الذي يطرأ على اللّغات ، ومنها التعريب عن لغة ثالثة وبسيطة، "ومنها أمْنُ اللَّبْس، فلو قالوا مثلاً (بادية) لِوِعاءٍ، وهذا لفظه بحروفِهِ ذاتها في الفارسية، وهي في غير حاجة للإبدال، لا التبست (ببادية)؛ أي الصحراء بالعربية، وربما من أجل هذا عدلوا عن حروفها إلى (باطيَة)"[3].

ومهما يكن من أمر، فإنّ أهم أغراض الإبدال في الكلمة المعربة هو تجنّب إدخال حرف أعجمي إلى حروف العربية، وكذلك الابتعاد عن التنافر الذي يمكن

1)– ينظر: د. إبراهيم بن مراد: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، 1978، ص221.

2)– مسعود بوبو: أثر الدخيل على العربية الفصحى، ص197.

3)– مسعود بوبو: أثر الدخيل على العربية الفصحى، ص197.

أن يقع بين حروف الكلمة المعرّبة، بحيث يصعب نطقها بالعربية، وتحقيق أكبر قدر من التآلف والتَّوافُق بين أصواتها[1].

كما أنّ معظم المحدثين لم يخرجوا عن هذه القواعد التي وضعها القدماء ولم يزيدوا عليها، بل اِكتفوا بما وضعه سلفهم، وقد حاول بعضهم، وضع قواعد جديدة للمعرّب الصوتي نظرًا لاختلاف الوضع الحالي لهذا العصر عن القديم، لأنّ مجال العلوم شهد وفودًا كبيرًا لبعض المصطلحات العلمية الأجنبية دعت إليها ضرورة النهوض باللغة. ويعدّ أمين معلوف[*] أول المحدثين الذين اِهتموا بقضية المعرّب الصوتي في العصر الحديث اِهتمامًا علميًا بعد المحاولات السابقة، فقد اِعتنى اعتناءً نظريًا وتطبيقيا في الوقت نفسه بمسألة نقل الأصوات الأعجمية إلى العربية، بعدما أثَار اهتمامه ما يقع فيه النقلة العرب المعاصرون من الخلط والاضطراب، لأنّ معظم المعرّبين في العصر الحاضر وفي أيامنا هذهِ ينقلون عن الإنجليزية أو الفرنسية فيكتمون الأسماء كما تلفظ في إحدى هاتين اللغتين. وقد وضع معلوف أصولاً يعتمد عليها في تعريب الألفاظ الأعجمية في إحدى عشرة قاعدة معتمدًا فيها على القواعد التي جرى عليها العرب في القديم[2] في نقل هذه الكلمات وتمثل القاعدة السابعة في حرف (H) نموذجًا للقواعد التي سار عليها وهو ما عبر عنه

1)- نفسه، ص134.

*)- أمين معلوف هو طبيب وعالم في الحيوان والنبات والفلك واللغة، ولد وتوفي في لبنان (1871م-1943م).

2)- ينظر: د.إبراهيم بن مراد: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، ص25.

بقوله: "وكان كتاب العرب يعبّرون عنها بالهاء غالبًا مثل "هوميروس" (Homerus) على أنّ كتّاب العرب لم يعبّروا عن ذلك دائمًا، فقالوا أوميروس وهوميروس"[1].

ج- التحقيق الصرفي والنحوي:

لم يشترط سيبويه الوزن العربي في الكلمة المعرّبة حين قال في باب ما أعرب من الأعجمية: "واعلم أنّهم ممّا يغيّرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوهُ ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه، فأمّا ما ألحقوه ببناء كلامهم كدرهَم ألحقوه بِهِجْرَع، وبَهْرَج ألحقوه بسَلْهَبٍ، ودينار ألحقوه بديماس... وقالوا إسحاق فألحقوه بإعصار، ويَعْقُوب فألحقوهُ بيَرْبوع، وجَوْرَبُ فألحقوه بفَوْعَلٍ. وقالوا آجُور فألحقوهُ بعاقول، وقالوا شبارق فألحقوه بعُذافِر. لما أرادوا أنْ يُعْرِبوه ألحقوه ببناءٍ كلامهم كما يُلْحِقون الحروف بالحروف العربية... وما لا يَبْلَغون به بناءهم وذلك نحو آجر أو إِبْرَيْسَم وإسماعيل وسَراويل ونَيْروز... وربّما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن، نحو خُراسان وخُرَّم والكركم"[2].

وهذا نصٌ صَريحٌ على أن البناء ليس شرحًا في التعريب اللّفظي، عند معظم القدماء، ومع ذلك فبعضهم يشترط الوزن العربي كالفرّاء والجوهري والحريري. يقول الفرّاء: "يُبْنَى الاسم الفارسي أي بناء كان إذا لم يخرج عن أبنية العرب"[3].

---

1)- نفسه، ص27.

2)- سيبويه: الكتاب، 4/303-304. وينظر: شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص26.

3)- ينظر: ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللّفظي، 541.

ويرى بعض القدماء في تعريب الكلمة الأعجمية استعمال القياس، إذْ عدّ ابن جنّي ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب مشيرًا إلى أنّ ما أعرب من أجناس الأعجمي فقد أجرته العرب مجرى كلامها، ويقول أبو علي الفارسي (ت.377هـ): "ويؤكد ذلك إنّ العرب اشتقت من الأعجمي النكرة، كما تشتق من أصول كلامها، قال رؤبة:

"هَلْ يُنْجِيَنِّي حلف سِخْتيت أو فضة أو ذهب كبريت

قال: فسختيت من السَخْت(*)، كزحليل من الزحل"[1] ويحكى عن أعرابي قال:" يقال دَرْهَمْتَ الخُبَّازَى، أي صارت كالدراهم، فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجميّ، وحكى أبو زيد: رجل مُدَرْهَم. قال ولم يقولوا منه: دُرْهِمْ"[2].

وقد وضع اللّغويون القدماء بعض القواعد في الصرف لضبط أوزان بعض الكلمات المعرّبة، فقال سيبويه في باب ما كان من الأعجمية على أربعة أحرف: "وقد أعْربَ فكسّرته على مثال مَفَاعِلَ... زعم الخليل أنّهم يلحقون جمعه الهاءَ إلاّ قليلاً. وكذلك وجدوا أكثره فيما زعم الخليل، وذلك: مَوْزَجُ ومَوَازِجةُ، وصَوْلَجُ وصَوَالجةُ، وكُرْبَجُ وكَرَابِجةُ، وطيْلَسَانٌ وطيالِسَةُ، وَجَوْرَبُ وجَوَارِبَةُ. وقد قالوا: جواريد وكَيَالِجُ، جعلوها كالصّوامع والكواكب. وقد ادخلوا الهاء أيضًا فقالوا: كَيَالجةٌ"، فجمع التكسير لهذه الكلمات كان قياسًا على بعض الكلمات العربية، وقال

---

*)- السّخت: الشديد، ومنه يقال حلف سختيت: موثّق قوي.

1)- ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، د.ت، ج1، 358.

2)- المصدر نفسه.

أيضًا: "ونظيره في العربيّة صَيْقَلُ وصَيَاقِلَةُ، وصَيْرَفُ وصَيَارِفَةُ، وقَشْعَمُ وقَشَاعِمةُ، فقد جاء إذا أعْرِب كمَلَك ومَلاَئِكَةٍ"[1].

وقصد أبو حيان النحوي الأندلس في الأوزان المعرّبة بقوله: "الأسماء الأعجميّة على ثلاثة أقسام: قسم غَيّرته العرب وألحقته بكلامها، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد والوزن، حكم أبنيته الأسماء العربية الوَضْع؛ نحو درهم وبَهْرَج. وقسم غيّرته ولم تلحقه بأبنيةِ كَلاَمها، فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قَبْلَه، نحو: آجر وسفْسير. وقسم تركوهُ غير مُغَيّر؛ فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعدّ منها، مثال الأول: خراسان، لا يثبت به فعالان، ومثال الثاني: خُرّم ألحق بسُلم، وكُرْكُم ألحق بقمْقُم"[2].

ومن التغيير الذي يلحق بالكلمة المعرّبة زيادة حروف أو إنقاصها نحو الدِّرْهَمَ أصله (دِرَم)، فغير بزيادة الهاء إلحاقًا له بصيغة فِعْلَلْ[3]، ومما أنقصوا منه (سابور) وهو اسم ملك، وأصله (شاه بور)[4] بحذف الهاء و(الباري) قال ابن قتيبة: "البورياء بالفارسية، وهي بالعربية بَارِيُ وبوريٌّ"[5] وهي الحصير المنسوج. ومثل هذا التغيير وقع في المعرّبات اليونانية كذلك، إذْ عُربت (أوقيانوس) إلى

1)- سيبويه: الكتاب، 620/3.

2)- السيوطي: المزهر، 269/1-170.

3)- ينظر: ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص547.

4)- الخفاجي: شفاء الغليل، ص147.

5)- الجواليقي: المعرّب، ص 94.

قاموس و(ياكنثوس) إلى ياقوت[1]، بحذف كثير وتبديل وعُرّبت (GREC) إلى (إغريق) بزيادة فيها.

ولكن هناك كلمات معرّبة لا يمكن معرفة التغيرات إلى أجريت أثناء تعريبها، لأنّها انتقلت إلى العربية بواسطة لغة أخرى وبناؤها الأصلي مجهول لدى الدارسين.

وفي بعض الأحيان اكتفى القدماء بتعريب جزءٍ من تلك الكلمات الأعجميّة، وهذا ما نجده في كلمة (ناي) للآلة الموسيقية المعروفة. قال شهاب الدين الخفاجي:"وأصله بالفارسية ناي نرمين ثم عرّب في الشعر القديم، وكَثُرَ استعماله في كلامهم ومنهم من أبدل يَاءَهُ هَمْزَة كابن المعتز في قوله:

أَيْنَ التورع من قلب يهيم إلى ساق بهيج وحسن العود والنائي؟

وعربيته زمخر وإسمه القصب وصاحبه قاصب وقصاب، جمعه نايات"[2]، ومن ذلك (النّشا) للمادة الغذائية المألوفة وأصلها في الأعجمية (نَشَا سْتَه)، قال الجواليقي:" وهو النَشَاسْتَجُ: فارسي معرّب حذف شطْرُه تخفيفًا، كما قالوا للمنازل (منا)"[3].

على أنّ شهاب الدين الخفاجي يرى: "أنّ المعرّب إذا كان مركبا أبقي على حاله لأنّه سماعي فلا يجوز استعمال أحد أجزائه كشهنشاه"[4].

---

1)- مسعود بوبو: أثر الدخيل على العربية الفصحى، ص154.

2)- الخفاجي: شفاء الغليل، ص259.

3)- الجواليقي: المعرّب، ص388.

4)- الخفاجي: المرجع السابق، ص31.

ويتم التعريب أيضًا من كلمتين أعجميتين بكلمة واحدة ك(السّجّيل) وهي من الألفاظ القرآنية وأصلها بالفارسية "(سَنْكْ) و(كِلْ)، أي: حجارة وطين"[1]. ومن هذا القبيل كلمة (جاموس) المعرّب عن (كاومش) وهي كلمة مركبة في الأصل من (كاو) بمعنى بقرة و(ميش) بمعنى مختلط أو مختلطة[2]. ومنه كلمة (مَجُوسُ) المعرّبة من كلمتين (مُنج) و(كوش) وهي اسم علم أعجمي لرجلٍ وضع دينًا ودعا إليه، وهذه الكلمة وردت في القرآن الكريم[*][3].

وللعربية قواعد صوتية متعلقة بالنطق، بحيث لا تجيز البدْءَ بساكن أو إلتقاءَ ساكنين إلاّ بشروط خاصة.

وللتخلّص من التقاء الساكنين في كلمة (كَمَانْ كَرْ) الفارسية المركبة عرّبوها إلى (قَمَنْجَر، قال الجواليقي: "يقال للقَوَّاس القَمَنْجَرُ والمِقَمْجِرُ، وهو معرّب أيضًا أصله بالفارسية كَمَانْ كَرْ"[4]، فبحذف الألف قبل النون الساكنة-كما هو واضح- أدّى هذا التغيير إلى إدخال الكلمة الأعجمية في إطار إيقاع عربي هو (فَعَلَّلَ) الذي لا تنفره الأذنُ العربية.

ومن مراعاة القواعد الصوتية والصرفية إلتزم القدماء عدد الأحرف القصوى في الكلمة العربية، بحيث لا تزيد على سبعة أحرف، وذلك أنّ اللّغة العربية تأبى أن تشتمل الكلمة على أكثر من سبعة أحرف إذا كانت اسمًا، وعلى أكثر من ستَّةِ

---

1)- الجواليقي: المرجع السابق، ص229.

2)- المصدر نفسه، ص 152.

*)- سورة الحج، الآية: 17.

3)- الخفاجي، المصدر السابق، ص 368.

4)- الجواليقي: المعرّب، ص301.

إذا كانت فعلاً، نجد في معرّبات عصر الاحتجاج كلمة تزيد حروفها على هذا العدد، وما ذلك إلاّ لِنُفُورِ طبع العربي عمّا ألفه واعتادَهُ[1].

كما يعرّب الاسم الأعجمي إذا لحقته الألف واللام لقول سيبويه: "اِعْلَمْ أنّ كُلّ اِسمٍ أعجمي أعْرِبَ وتمكَّنَ في الكَلاَمِ فدخلته الألف واللام وصار نكرة، فإنّك إذا سمّيت به رَجُلاً صَرَفْتَهُ، إلاّ أنْ يمنعه من الصرفِ ما يمنع العربيّ، وذلك نحو: اللّجام، والدّيباج، واليَرَنْدج، والنّيْرُوز، والفرند، والنرنجبيل، والأرَنْدَج، والياسمين"[2]، وما كان معرفة في لغة الأعاجم أشباه إبراهيم، وإسماعيلُ وإسحاق، ويعقوبُ، وفيروزُ، وهُرْمُزُ، وقارونُ، وفرعونُ، فإنّهم لم يلحقوا بها الألف واللام.

وهناك من أسماء الأعلام تعرّف على عجمة أصلها لقول سيبويه:" أما صالح فعربي، وكذلك شعيب وأما نوح وهود ولوط، فتنصرف على كلّ حال لخفتها"[3].

كما قد يدخل الاسم الأعجمي إلى كلام العرب بمجرد إظهار الحركة الإعرابية على آخره. ويرى بعض القدماء أنّ ذلك ارتجالاً في اللّغة، بينما يراه ابن جنّي قياسًا على كلامهم قائلا: "أَلاَ ترى أَنَّكَ تقول: طَابَ الخُنْسُكَانُ فتجعله من كلام العرب، وإن لم تكن العَرَبُ تكلّمت بِهِ. هكذا قال؛ فبرفعك إيّاه كرفعها ما صار لذلك محمولاً على كلامها، ومنسوبًا إلى لغتها"[4].

1)- سيبويه: الكتاب، 230/4.

2)- المصدر نفسه، 234/3.

3)- سيبويه: الكتاب، 235/3.

4)- ابن جني: الخصائص، 359/1.

ومما نستخلصه من هذا كله أن المعرّب اللفظي يعامل معاملة عربية من حيث الاشتقاق والتثنية والجمع والتصغير ويذكر ويؤنث، ويضاف ويضاف إليه، قال سيبويه: "وقالوا: البرابرة والسَّيَابِجة، فاجتمع فيها الأعجمية وأنها من الإضافة، إنما يعني البربريين والسَّيْبَجِيّين، كما أردت بالمسامعة المِسْمَعِيّين"[1]، كما عدوه عربيا بعد تعريبه، فقالوا في زنديق زندقة وتزندق، واشتقوا من فيلسوف فلسفة وتفلسفا. وينبغي لهذا المعرب ألا يخالف شروط الفصاحة التي وضعها علماء العربية وهي خلوص اللفظ المعرب من تنافر الحروف ومن الغرابة، ومخالفة القياس، والكراهة في السمع.

وأغلب المحدثين لم يعارضوا القدماء في القواعد التي وضعوها في اللفظ المعرب وفي اعتبار أنه لا يخلو من أن يكون فصيحا غير أن بعضهم مثل حسن ظاظا يرى أن اللفظ المعرب قد لا يتلاشى أصله بالتغيرات أو في القوالب العربية، وإنما أجنبيا وحيدا لا تحيط به عائلة من المشتقات المختلفة نحو "صراط" الكلمة القرآنية التي وإن بدت على صيغة "فعال" فهي ليست سوى صورة نهائية للكلمة اللاتينية ستراتا[2].

ويرى فريق آخر من المحدثين الذين فهموا التعريب فهما غريبا أن الكلمة المعربة يجب أن تكون على أقرب صورة ينطق بها أصحاب الكلمة الأعجمية، فبعد أن كان مفهوم القدماء للتعريب أن تتفوه العرب بالاسم العجمي على منهاجها

---

1)- سيبويه: المرجع السابق، 621/3.

2)- ينظر: حسن ظاظا: كلام العرب في قضايا اللغة العربية، ص68.

صار مفهوم هؤلاء المحدثين له أن تتفوه العرب بالاسم الأعجمي على منهاج العجم أي بإخضاع لسانها للكلمة الأعجمية[1].

د- التحقيق عن طريق الدراسة الاجتماعية والاقتصادية:

إن اتصال العربية باللغات الأعجمية لابد وأن ينجر عنه تقاطع وتشابك يحمل في ثناياه آثارا عميقة، وخاصة أن هذا الاتصال توسع بصفة مكثفة في العصر الإسلامي، بحيث شهد المجتمع المسلم هجرات فردية وجماعية، فأخذت العربية تؤثر وتتأثر، فتأثير العربية في غيرها من اللغات كان كبيرا وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية، والذي جعل منها لغة قوية تبزّ غيرها من اللغات هو ارتباطها بالقرآن الكريم الذي نزل بها. ويضاف إلى ذلك طبيعتها التركيبية والدلالية الغنية بالأوزان وكثرة المترادفات وانسجامها الصوتي، مما جعلها تنتشر بصفة كبيرة في الأقطار المفتوحة وتأخذ مكان لغات تلك الأقوام.

لقد تعدى تأثير العربية حدود إفريقيا وآسيا، فشمل بعض لغات أوربا كالإسبانية والفرنسية والبرتغالية ضمن الألفاظ الإسبانية المقتبسة من اللغة العربية نجد "السانية (Acegna)، الزيت (Aceite)، الزيتونة (Aceituna)، الساقية (Acequia)، الدليل (Adalil)، الطوب (Adobe)،الدف (Adufe)، الخزانة (Alacena)، العمود (Alamud)، البيطار (Abeitar)،...الخ"[2]. ومنها ماهو باليونانية المقتبسة من العربية نحو: "بقال (Bakalis)، بخار (Boukhariche)، دف

1)- ينظر: ممدوح خسارة: طريقة القدماء في التعريب اللفظي، ص550.

2)- رفائيل نخل اليسوعي: غرائب اللغة العربية، ص144.

(Défi)، دلال (Delalis)، دولة (Dévléti)، دنيا (Dounias)، إمام (Imamis)، خبر (Khabari)، حلال (Khalali)"[1].

وثمة آلاف الألفاظ كلها مستعملة في معظم أوربا، فمنها ماهو من الألفاظ الإسلامية، كالإسلام، والخليفة، وصوفي، وقرآن، ومؤذن، ومسجد، ومسلمين، ومنارة،...الخ، ومنها ما هو متعلق بخصائص العرب الاجتماعية والسياسية كالشرقيين تحولت إلى (Sarrasins) في القرون الوسطى وهم العرب الفاتحون لشمال إفريقيا وأوربا، ومنها الألفاظ المتعلقة بالمنتوجات والأسعار في الحياة الاقتصادية مثل: تعريف تحولت إلى (Tarif)؛ بمعنى جدول أسعار، وكلمة شراب تحولت إلى (Sirop) الدالة على ماء كثير السكر يحتوي على مادة طبية أو نباتية عطرية، ومنها ماهو من الموسيقى نحو العود: اسم آلة الطرب المعروفة تحولت إلى (Luth) الدالة على آلة قديمة شبيهة بالعود أخذها بعض أهل أوربا عن العرب، ومنها أيضا الكلمات المتعلقة بأنواع النسيج والأقمشة نحو الموصل الذي هو اسم مدينة عراقية مشهورة اشتق منه (Mousseline) بمعنى نسيج سخيف من القطن، أو الصوف أو الحرير كان الأوربيون يشترونه من الموصل، أما الألفاظ المتعلقة بالمصطلحات العلمية، فهي كثيرة جدا، فمن الرياضيات نجد (Algèbre) مأخوذة من الجبر العربية، والكيمياء كالكحل تحولت إلى (Alcool) وغيرها[2].

أما تأثر العربية بغيرها من اللغات، فتتمثل في دخول بعض الكلمات إليها تحمل معاني جديدة منها ما يدل على بعض العادات والطقوس التي كانت تمارسها تلك الشعوب الأعجمية نحو: "النّيروز و[النَّوْروز] فارسي معرب ومعناه يوم جديد،

---

1)- المرجع نفسه، ص164.

2)- رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللغة العربية، ص129-131.

وأريد به يوم فرح وتنزه"[1]، وهو يمثل عند الفرس أول يوم من أيام السنة الشمسية، أما ما يتعلق بالجانب المادي للحضارة الفارسية، فقد دخلت بعض الأسماء إلى اللغة العربية من أطعمة وأشربة وألبسة وأسماء الأدوات والنباتات والأدوية.

1- الأطعمة: "منها الطباهجة لطعام من بيض وبصل ولحم وأصلها تباهه، والسكباج مرق يعمل من اللحم والخل أصله سكبا وسك؛ بمعنى حل وبالمعنى طعام. والزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم"[2]، ومن ألوان الخبز أيضا: الكعك، الدّمرك وهو الدقيق الأبيض، والجردق، والسّميذ[3].

2- الأشربة: منها "السّكنجبين"، وهو شراب ينفع في تسكين العطس مركب من سك وهو خل، وأنجبين بمعنى عسل، والدوشاب وهو نبيذ التمر، والجلاب لماء الورد وأصله گلاب ورد"[4].

3- أسماء النبات والأزهار: منها الأوفاويه نحو الدارصيني ومعناه شجر الصين، والفلفل، الكرويّا، والزّنجبيل، والخولجنجان والقرفة[5]، ومنها ماهو للخضر والفواكه مثل: "الخرشف نوع من الخسّ البرّي، والتوت وأصله توث أو ثود"[6]، ومن أسماء الرياحين: النرجس، والبنفسج، والنسرين، والخِيريّ، والسّوسن،

---

1)- ينظر: الجواليقي: المعرب، ص388.

2)- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص18.

3)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 275/1.

4)- شفاء الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص19.

5)- ينظر: جلال الدين السيوطي: المزهر، 175/1.

6)- شفاء الدين الخفاجي: المصدر السابق، ص19.

والمرزنجوش، والياسمين، والجلنّار؛وهو زهر الرمان[1]. ومنها أيضا البستان وهو مغرس الزهر، وأصله بوستان وبو: معناها رائحة، وستان: معناها الموضع[2].

4– أسماء الأواني: منها الكوز، والجرّة، والإبريق، والطشت، والخوان، والطبق، والقصعة والسكرجة[3].

5– أسماء الملابس: منها السمور، والسّنجاب، والقاقم، والفنك، والذّلق، والحر، والديباج، التاجتج، والسندس[4].

1)– جلال الدين السيوطي: المصدر السابق، 176/1.

2)– شفاء الدين الخفاجي: المصدر السابق، ص19.

3)– جلال الدين السيوطي: المصدر السابق، 175/1.

4)– المصدر نفسه.

6- أسماء الجواهر: منها الياقوت، والفيروز، والبلور[1].

7- أسماء الحيوان: منها السّنجاب والخشنشار لطير الماء[2].

8- مصطلحات العلوم والصناعات: منها الإسطرلاب وهي آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب، والزبج لخيط البناء، والمهندز، والزرياب وهو ماء الذهب، والزئبق، والإكسير ويسمى الحجر المكرم، والسفتجة؛ بمعنى الوثيقة، ومثلها صك معرب جك، والدورق لمكيال الشرب[3].

فإذا تنازعت العربية واللغات الأعجمية في الكلمة، فإن دلت على شيء يختص به الأعاجم كانت دخيلة، فالجمل والغزال، والزرافة والقهوة كلها عربية، وإن وجدت في الألسن الأخرى، لأن هذه الكلمات تدل على محصولات زراعية أو حيوانات اختص بها العرب دون الأعاجم، وبينما الفلفل تدل على نوع من المحصولات لا توجد إلا في الهند[4].

فالمصطلحات الزراعية والتجارية عموما تمثل ألوانا من العلاقات بين اللغة والمجتمع، وتختلف من بيئة لأخرى، فالتطور الاقتصادي في أمة من الأمم يتبعه تطور لغوي، ووجود المعرب اللفظي في هذا المجال في القديم يعد شكلا من أشكال التطور الحضاري للعرب في جانبه المادي، ويدل على تفتح القدماء على غيرهم ومحاولتهم توسيع المبادلات التجارية والصناعية وغيرها مع الأمم المجاورة لهم، والأمر نفسه ينعكس بالنسبة إلى تلك الأقوام في معاملتهم مع الاقتصاد العربي القديم،

---

1)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 275/1.

2)- المصدر نفسه.

3)- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص19، 210.

4)- جلال الدين السيوطي: المصدر السابق، 276/1.

وتعاملهم مع المصطلحات العربية المتمثلة في أسماء المحصولات وغيرها؛ فينشأ من ذلك مجال لغوي مشترك بين العرب والأعاجم قابل للتطور عبر التاريخ.

لقد طرح بعض المحدثين مسألة مهمة حول قضية التعريب اللفظي في القديم وهل كان لحاجة أم لا؟ فمحمد الأنطاكي مثلا يرى أن القدماء العرب اصطنعوه دون أي حاجة إليه[1]، ويذهب شهاب الدين الخفاجي إلى أن العرب كانوا يعربون حبا في التظرف والتأنق مع اختيار الألطف من الألفاظ. وفي ذلك يقول: "ومما تركوه على حاله خراسان وخرّم... وهم يلعبون به كثيرا وربما استعملوه على سبيل التلطف كما قال عليه الصلاة والسلام اشكنب درد[*]"[2].

فأغلب الكلمات المعربة في القديم كان لها ما يقابلها في اللغة العربية، وقد خصص لذلك السيوطي في مزهره فصلا كاملا للمعرب الذي له اسم في لغة العرب، وأعطى أمثلة كثيرة من الكتب والمعاجم اللغوية، ففي "الجمهرة: البط عند العرب صغاره وكباره إوز الواحدة إوزة، وإن الهاوون يسمى المنحاز والمهراس، وإن الطاجين يسمى بالعربية المقلى. وجاء في الصحاح: والميزاب يسمى المثعب وأن العرب كانت تسمي المسك المشموم، وإن الجاسوس يسمى النّاطس، والتوث يسمى الفِرْصَاد. والكوسج يسمى الأثط، كما جاء في كتاب العين للخليل أن الياسمين يسمى بالعربية السّمسق، والسّجلاط، وإن اللوبيا تسمى الدّجر، وإن السُّكَّر يسمى المنبر لغة أهل اليمن. وفي المجمل: أن الكزبرة تسمى التّقدة[*]، وأن

---

1)- ينظر: محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص451.

*)- لفظ فارسي بمعنى: هل وجع بطنك.

2)- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص27.

*)- في الأصل النقدة بالنون، والتصحيح عن اللسان.

الباذنجان يسمى الحدج، وأن النرجس يسمى العَبْهَر، وفي شرح التسهيل لأبي حيان: أن الباذنجان يسمى الأنب. وفي شرح الفصيح لابن درستويه: الرصاص اسم أعجمي معرب، واسمه بالعربية الصّرفان وبالعجمة أرززز. وفي الصحاح: أن الخيار الذي هو نوع من القثاء ليس بعربي، وفي المحكم أن اسمه بالعربية القثد. وفي أمالي ثعلب: إن الباذنجان يسمى المِغْدُ"[1].

وأثار السيوطي أيضا في مزهره ملاحظة مهمة وهي أن تلك المعربات أغلبها موجود ومشهور في اللغة العربية منذ القدم، ولكن معانيها مختلفة لمعاني الفارسية وهذا ما يجعلنا نظن أن تلك الكلمات استعارها الفرس من العربية واستعملوها لدلالات تخص حضارتهم، ثم دخلت إلى العربية بشكلها ومضمونها الجديدين. قال السيوطي: "وهي عربية في معان أخرى غير ما اشتهر على الألسنة، من ذلك الياسمين للزهر المعروف فارسي، وهو اسم عربي للنمط يطرح على الهودج، والورد للمشموم فارسي، وهو اسم عربي للفرس، ومن أسماء الأسد"[2].

ولاحظ القدماء في بعض الكلمات المعربة في أنها غير أعجمية الأصل، كما شكوا في أصلها العربي واختلفوا في ذلك، ومن ذلك ما جاء في الجمهرة لابن دريد: "الآس الشموم أحسبه دخيلا على أن العرب يسميه السّمسق، ولا أدري ما صحته، وفيها: تسميتهم النحاس مسا لا أدري أعربي هو أم لا، وفيها دُراقن بالتخفيف الخَوْخُ، لغة شامية، لا أحسبها عربية"[3].

---

1)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 283/1-284.

2)- المصدر نفسه، 284/1-285.

3)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 284/1-285.

فاللغويون القدماء كانوا على معرفة ببعض اللغات الأعجمية وخاصة اللغة الفارسية، مما مكنهم من متابعة بعض المعربات بدءا من معناها وشكلها الأصلي الأعجمي إلى وضعها العربي والتغيرات التي أجريت عليها حتى أصبحت كمثيلاتها في اللغة العربية. قال شهاب الدين الخفاجي في معرض شرحه بعض الأسماء للأعلام: "إبراهيم فيه لغات ابراهام وابراهيم وابرهم، ابراهم. وفي إسماعيل: يقال إسماعين بالنون، قال السبكي: ويستحب لمن رزق ولدا في الكبر أن يسميه إسماعيل اقتداء بالآية ولأن معناه عطية الله"[1].

على أن بعضهم اكتفى أحيانا بذكر الأصل الأول للمعرب دون تفصيل في التغيرات اللغوية كلفظ "المسك" الذي قال عنه الثعالبي إنه فارسي[2]. كما اختلفوا أحيانا أخرى في اللغة الأصلية لبعض المعربات ومن ذلك "هيت لك" يعني عند ابن عباس "هلم لك بالقبطية، وقال الحسن هي بالسريانية، وقال عكرمة هي بالحورانية عن أبي زيد الأنصاري هي بالعبرانية وأصله هينلج؛ أي تعاله"[3].

هـ- التحقيق عن طريق المقارنة:

توضح المقارنات اللغوية تاريخ كثير من الألفاظ العربية فالألفاظ التي وردت في الشعر الجاهلي أو المعاجم العربية أو في القرآن الكريم لا ترجع من الناحية

---

1)- شهاب الدين الخفاجي: شفاء الغليل، ص33.

2)- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 140/1.

3)- السيوطي: المزهر، 283/1-284.

الاشتقاقية التاريخية إلى مرحلة واحدة، ففيها ألفاظ مغرقة في القدم وفيها ألفاظ أحدث عهدا[1].

ويرى محمد الأنطاكي إذا تنازعت العربية وغيرها من اللغات في كلمة ولم تجد الطرق السابقة في تعيين أصلها، يلجأ إلى مقارنة العربية بأخواتها الساميات، فإذا وُجدت هذه الكلمة فيها دلّ على عربيّتها، وإلا فهي دخيلة[2]، ونقول إن للغة العربية قدرة هائلة على الاشتقاق والاستفادة من الجذور الأصيلة أو الدخيلة فيها، ولذا صيغت كلمات كثيرة من مادة (ز.و.ج) زواج، ومزاوجة، ومزدوج، ازدواج، ...الخ.

فوجود بعض الألفاظ في العربية لانعدامها في أخواتها الساميات لا يعني أنها معربة أو دخيلة فيها، لأن أي لغة خاضعة لقوانين التطور اللغوي عبر التاريخ.

وتعد اللغة العربية أقرب اللغات إلى السامية الأم، لقول رمضان عبد التواب: "جميع سكان بلاد العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس البشرية، لهم مميزات الجنس السامي الخلقية والخُلقية، ولغتهم على ما يرى المحققون من علماء الساميات من أمثال: بروكلمان، ورايت، ونولدكه، أقرب اللغات إلى السامية الأم"[3].

ويمكن اعتبار الألفاظ المشتركة في اللغات الساميات أو المشتركة بين العربية والآكادية بصفة خاصة من ذلك التراث اللغوي الذي عرفته اللغة السامية الأم قبل

---

1)- ينظر: محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية –مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية–، ص213.

2)- ينظر: محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ص453-454.

3)- رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص42.

أن تبدأ الهجرات إلى العراق والشام؛ أي أن هذه الألفاظ ترجع إلى ما قبل سنة 2500 ق.م[1].

ولم يكن جميع القدامى من اللغويين العرب على جهل باللغات السامية، بل كان بعضهم يعرف العلاقة بين العربية وبعض هذه اللغات؛ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت.175هـ): "وكنعان بن سام بن نوح إليه ينسب الكنعانيون وكانوا يتكلمون بلغة تقارب العربية"[2].

وجاء في المزهر قول ابن جني: "يقال إن التنّور لفظ اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم، وإن كان كذلك فهو ظريف، وعلى كل فهو فعّول أو فعنول، لأنه جنس، ولو كان أعجميا لا غير جاز تمثيله لكونه جنسا ولاحقا بالمعرّب، فكيف وهو أيضا عربي، لكونه في لغة العرب غير منقول إليها، وإنما هو وفاق وقع، ولو كان منقولا إلى اللغة العربية من غيرها لوجب أن يكون أيضا وفاقا بين جميع اللغات غيرها"[3]، كما رأى الجواليقي في اطراد القوانين الصوتية تقاربا يميز الألفاظ المشتركة بين العربية والآرامية، فقال: "والنّبط تجعل الظاء طاء، ألا تراهم يقولون برطلة، وإنما هو ابن الظّلّ، وسموا الناظور ناطورا لأنه ينظر"[4].

بقي لنا أن نقول إن علماءِ العربية اعتنوا عناية كبيرة بالمعرب ولم يدخروا أي جهد في تمحيصه، وقد مكنهم من ذلك علمهم باللغات التي أخذوا عنها وكانت الفارسية أقربها إليهم منالا لشدة اختلاط العرب بالفرس خاصة في ظل الحياة

---

1)- ينظر: د.محمود فهمي الحجازي: علم اللغة العربية، ص215.

2)- خليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مادة (ك.ن.ع).

3)- جلال الدين السيوطي: المزهر، 267/1.

4)- الجواليقي: المعرّب، ص382-383.

الإسلامية، ولهذا نجد إشارات واضحة إلى هذه الظاهرة في كتب اللغة العربية والمعاجم.

4- المعرّب والدخيل في المصادر اللغوية العربية:

لقد نشأت الدراسات العربية بفروعها المختلفة، متعلّقة بالقرآن الكريم، كتاب الله الشريف، فكان القرآن هو المحور الّذي دارت حول تلك الدراسات المختلفة، سواء منها تلك الدراسات التي تتعلّق تعلقًا مباشرًا لتفسير القرآن، وتوضيح آياته، وتبيين معناه، واستنباط أحكام الشريعة منه، أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها، بالبحث في دلالة اللّفظ، واشتقاق الصيغ، وتركيب الجمل، والأسلوب والصور الكلامية، واختلافها باختلاف المقام، حتى تلك الدراسات التي تتعلّق بالرسم الإملائي والفلك، والرياضة، واستكناه أسرار الطبيعة، كل هذه الدراسات قامت أساسا لخدمة الدّين الإسلامي ولغرض فهم القرآن الكريم[1].

والبحث في فن المغرب والدخيل شكّل جزءًا من بحوث اللغويين القدماء في اللّغات واللّهجات العربية القديمة من أجل فهم نصوص القرآن الكريم وفي هذا قال "حسين نصار": "وثار البحث عن لغات القبائل والمعرّب من زمن قديم، بل إنّه من أقدم البحوث اللّغوية عند العرب لأنّه من الأبحاث الدائرة حول القرآن مباشرة، فهو والبحث عن معاني الألفاظ القرآنية تِربان"[2].

1)- ينظر: رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص108.

2)- حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوّره، دار مصر للطّباعة، مصر، ط4، 1408/1988هـ، ج1، ص59.

وكان الدافع والحافز في هذا البحث الآية الكريمة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[1]، والحديث الشريف أنزل القرآن على سبعة أحرف، والخلاف في هذا الحديث مشهور ولكن ما يهمنا ما يفهم من الأحرف على أنّها لغات عربية قبلية.

فاتّجه اللّغويون القدماء بالبحث والدرس في لغات القبائل العربية ولم يخف عنهم ذلك التنوع والاختلاف بينها، سواء في بعض المفردات اللّغوية وطرق اللّفظ بها، وتأليفها في العبارات والمظاهر التي تصاحب التركيب، مع انحدار هذه اللّغات جميعها من أم واحدة، واشتراكها في قدر كبير. كما تنبه القدماء إلى تلك الخصائص المختلفة والمتميزة بين القبائل، ولقّبوها ألقابًا مثل: كشكشة ربيعة وهوزان، وكنعة قيس وتميم، وقحفحة هُذيل، ووكم ربيعة، ووتم كلب.

ونظر هؤلاء العلماء إلى اللّغة أو اللّهجات نظرة عملية صرفة، فنعتوا بعضها بالفصاحة، كلغة قريش وثقيف وهذيل، وغزاعة وكنانة وغطفان وأسد وتميم، وبعضها الآخر بالرداءة، ولاحظوا أن أهل هذه اللّغات الرّديئة أو معظمها يعيشون على أطراف بلاد العرب، ويختلطون بأهالي البلاد الأعجمية، التي تتاخمهم. فكان ذلك من أسباب تحررهم من بعض القواعد التي جرت عليها اللّغة الفصحى وأخذهم كثيرا من المفردات الأعجمية، الّتي تعدّى بعضها مناطق الحدود، وتسرب إلى داخل البلاد العربية، ودخل في اللغات القبطية، وأطلقوا لغويوا العرب على هذه اللّغات الإقليمية أو القبلية: اللّغات واللّهجات. أمّا المفردات الأعجمية والأجنبية فسمّوها الدخيل والمعرّب[2].

1)- سورة الزخرف، الآية: 03.

2)- ينظر: حسين نصار: المعجم العربي، 58/1.

وقد تعرّض لهذين الاصطلاحين عدّه علماء في مؤلفاتهم، ووضعوا قواعد عامة لمعرفة الألفاظ المعرّبة أقاموها على جرس ألفاظ وائتلاف حروفها؛ وتعرّض الخليل في مقدّمة "كتاب العين"، وابن دريد والفارابي والجوهري في معاجمهم، لأمثال هذه القواعد، وقد استمدّ الجواليقي ومن جاء بعده منهم.

ولا يعرف بالتحديد عن تاريخ الّذي نشأ في فن المعرّب في اللّغة العربية كلّها، وصفه بن نصار في الرتبة الثالثة ضمن الدراسات ومؤلفات اللغوية القديمة؛ وقال: "نرى في هذا الكتب أربعة أصناف متميّزة، أوّلها خاص بلغات القرآن، وثانيهما باللّغات القبلية، وثالثهما بالمعرّب (نطلقه على المعرّب والدخيل) ورابعها المعاجم الّتي تعالج العربية مع لغة أخرى"[(1)].

كما عني به أصحاب الموضوعات اللّغوية، مثل أبي عبيد القاسم بن سلام (ت.224هـ) الّذي أفرد له بعض الفصول في غريب المصنف معتمدا على ما قاله الأصمعي وأبو عبيدة، فلعلّه استمدّ هذه الأقوال من كتابيهما في اللغات.

وقد سمى أبو عبيد القاسم بن سلام فصله هذا "ما دخل من غير لغات العرب في العربية" وهو قصير في صفحتين من القطع المتوسط وافتتحه بأقوال أبي عبيدة وختمه بالأصمعي[(2)].

ثم أفرد ابن قتيبة (ت.276هـ) فصلا من كتابه "أدب الكاتب" لما تكلم به العامة من الكلام الأعجمي، وجاء فيه: "قال الأصمعي: "الزَرجون: الخَمر، وأصله بالفارسية زَركون؛ أي لون الذَّهب، قال: والخَندريسُ، الخمرُ الإسفنطُ والإسفندُ

---

1)- ينظر: المرجع نفسه، 60/1.

2)- ينظر، حسين نصار: المعجم العربي، 70/1.

الخمر، قال: وأحسبها بالرومية، قال: والسَّجنجل المرآة، بالرومية فيما أحْسب، والبَرنسَاء: الخلقُ وأصله بالنبطية ابن الإنسان، يقال في المثل: ما أدري أي البرنساء هو..."[1].

كما يجد الدارس في كتاب الجمهرة لابن دريد (ت.321هـ) في جزئه الثالث بابا "ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة. من ذلك الديالون وهو الدُّوايون بالفارسية أي ثوب ينسج على نيرين..."[2].

وبين فيه الألفاظ الفارسية الأصل والرومية والنبطية والسريانية، والملاحظ أيضا أنّه قسم الكلمات المعرّبة إلى أصناف بحسب الأصل، قال: "ومما أخذوه من الرومية (قُومس) وهو الأمير والقراميد الآجر يسمى بالرومية قرميدي..."[3]، والملاحظ أيضا أنّه وضع في خلط إنشاء التصنيف لهذه الكلمات إذ يعود ويذكر بعض الكلمات الفارسية الأصل ضمنها، فقال: "القيروان الجماعة وهو بالفارسية كَاروان قال الشاعر امرؤ القيس:

وغَارة ذات قَيروانٍ كانَ أسرَابها الرعَالُ"[4]

كما يلاحظ في بابه هذا أنه يذكر الأصل الفارسي والنبطي لكل كلمة من هذا النوع أما المفردات الرومية والسريانية فيذكر أنها معربة بل كان ينقل أيضا عن أبي حاتم والأصمعي[1].

---

1)– ابن قتيبة: أدب الكاتب، مراجعة د.درويش جويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 2004، ص325.

2)– ابن دريد: كتاب جمهرة اللّغة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1345، ج3، ص399.

3)– ابن دريد: كتاب جمهرة اللّغة، 501/3.

4)– المرجع نفسه، 501/3.

ثم نختصر المسافة والزمن ونقفز إلى القرن الخامس للهجرة، إذ خصّ ابن سيدة (ت.458هـ) في السفر 14 من كتابه المخصص بابين للمعرّب وفي السفر 16 قسمًا صغيرًا له أيضا، أمّا الباب الأول فهو "باب ما أعرب من الأسماء الأعجمية" وتعرض فيه لمذاهب العرب، والباب كلّه مأخوذ من سيبويه ويشغل قريبا من الصفحة، والباب الثاني هو باب اطراد الإبدال في الفارسية، ويشغل نحو 45 صفحة، وصدره بأقوال استمدها من سيبويه في الحروف التي تبدلها العرب، وشغلت هذه القواعد في الإبدال صفحة منها[2].

ثم أورد باب الغريب المصنف لأبي عبيد كله، دون تصرف منه سوى أنّه حذف اسم الأصمعي وأبي عبيدة منه، وزاد في أثنائه قولين موجزين من "ابن دريد"، متصلين بكلام ابن عبيد. أمّا عدا ذلك فلم يحدث فيه أي تغيير وجاز ذلك منه حوالي صفحة أو ثلث صفحة، أمّا الجزء الأخير من الباب فاستقاه من جمهرة "ابن دريد" من المعجم والأبواب الأخيرة الملحقة به ثم ختم الباب بكلمات قلائل من كتاب العين، وذكر في أثناء ذلك كلمتين من ابن السكيت، وأخرى من أبي علي الفارسيّ، ولم يتصرف فيما نقله في هذا الجزء أيضا إذ حافظ على عبارة ابن دريد كل المحافظة، وعلى تركيبه أيضا، وكان هذا محاول لأن يفرد الفارسي عن الرومي، وهذين عن النبطي والسرياني، وكذا فعل ابن سيدة مع محافظة على اضطراب أبن دريد في هذه المحاولة، ولم يكن يحاول أن يعطي أصل كل كلمة في لغتها[3].

---

1)- ينظر: حسين نصار: المعجم العربي، 70/1.

2)- ينظر: المرجع نفسه، 71/1.

3)- ينظر: حسين نصار: المعجم العربي، 71/1.

والقسم الثالث الّذي تناول فيه المعرّب عنوانه "ومن نادر الأعجمي": "يتناول الأعلام والأسماء الأعجمية المقصورة والممدودة، لأن الباب كلّه لهذا النوع من الأعلام وهو قصير في أربعة أسطر والواضح أن هذا القسم لا أهمية له، لأن أغلب ألفاظه أعلام وهي في غالب الظنّ من الأمثلة النحوية الصرفية"(1).

ونجد في القرن السادس أول كتاب خاص بالمعرّب، وهو كتاب "المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم "لأبي منصور الجواليقي (465–540هـ) وهو من أكبر وأهم الكتب التي تعرضت لهذا النوع من البحث، وهو مطبوع ومحقق من قبل أحمد محمد شاكر، وجاء في مقدمة الكتاب "قال الشيخ الإمام الأجلُّ الأوحد العالم، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضير الجواليقي أطال الله بقاءه، وحرس مدّته وحوباءه: هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين، وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليُعرف الدّخيل من الصّريح. ففي معرفة ذلك فائدة جليلة، وهي أن يحترس المشتق فلا يجعل شيئًا من لغة العرب لشيء من لغة العجم"(2).

ثمّ ألّف عبد الله محمد العذري المعروف بالبشيشي (762–820هـ) كتاب "التذييل والتكميل بما استعمل من اللفظ الدخيل"، وأحمد بن كمال باشا (ت.940هـ) رسالة في تعريب الألفاظ الفارسية، وشهاب الدّين أحمد بن محمد

---

1)– ينظر: المرجع نفسه.

2)– أبو منصور الجواليقي: المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص15.

الخفاجي (ت.1069هـ) كتاب "شفاء الغليل، فيما في كلام العرب من الدخيل" ومصطفى المدني (القرن 11) كتاب "المعرّب والدخيل".

ويتّفق هؤلاء المؤلفون جميعًا في بعض الظواهر العامة، التي أهمها أنّهم يحكمون على المعرّب معتمدين على اللّغويين الأقدمين، وكان هؤلاء يحكمون على الألفاظ بالسماع في أغلب الأحيان، ومن هنا كانت أحكام هؤلاء العلماء القدماء وأصحاب المجاميع من أمثال أبي عبيد وابن السيدة سماعية، لا تقوم على البحث والتمحيص ومقابلة اللغة[1].

وهذا ما نلاحظه أيضا في كتاب الجواليقي، فقد أباح لنفسه الاعتبار من الرجوع إلى القدماء مع الاعتراف بذلك حينًا وعدمه حينا، مع التصرف في أقوالهم إذ قال في المعرّب: "وحكي عن أبي علي قال: رأيت أبا بكر يدير هذه اللّفظة "بوصيّ" ليشتقها... أخبرني غير واحد عن الحسن بن أحمد عن دعلجٍ عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال: سمعت أبا عُبيدة يقول: من زعم أن في القرآن لسانًا سوى العربية فقد أعظم على الله القول"[2].

ونهج بعده النهج نفسه العذري وابن كمال باشا خاصة، فظهرت عنهم أسماء المعاجم، ولكنهما زاد عليه في إيراد الأقوال الكثيرة في اللّفظ الواحد لتعدّد مصادرهما، واتفقوا أيضا في اعتبارهم الأعلام الأجنبية التي عرفها العرب من الألفاظ اللّغوية المعرّبة، وفي الاعتماد القرآن والشعر والحديث في الاستشهاد، إلاّ أنّ الجواليقي كان مكثرا من الأشعار.

1)- ينظر: حسين نصار: المعجم العربي، 1/71-72.

2)- الجواليقي: المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ص4.

واتفقوا في طريقة علاجهم لموادهم بتقديم الكلمة وتفسيرها ثم الإشارة إلى أصلها في اللّغة التي عربت منها ثم الشواهد، وبعض الأمور الأخرى ومن الطبيعي كان المتأخر يجب أن يجتهد ويتفوق على المتقدم بالإكثار من الألفاظ والتوسع في شرحها، والإتيان بأصول بعض الكلمات التي ذكرها الأول وأهمل أصلها، وكثيرا ما كانوا يفعلون ذلك، مكتفين بالنّص على أنّها معرّبة، أو بالاستطراد إلى الأخبار الأدبية والفوائد كما فعل العذري، أو مناقشة الأحوال بعضها ببعض كما فعل ابن كمال باشا، وإن كانت ألفاظه قليلة بالنسبة لما عند غيره، أو التنبيه على المفرد والجمع واللّغات في اللّفظ كما عند الخفاجي، وكانت هذه الاستطرادات بسبب الاختلاف بينهم[1].

كما اختلفوا في ترتيب كتبهم، فارتضى ابن كمال باشا أن يجعل كتابه أربعة أقسام: المعرّب الّذي غيّر وألحق بأبنية العرب، وما لم يغير ولم يلحق بها، وما لم يغير ولكنّه ملحق بها، وما غير ولم ويلحق. ولم يرتّب الكلمات في داخلها، وارتضى الباقون الترتيب الألف بائي باعتبار حروف الكلمات كلها أصلية ومزيدة، فرتب الجواليقي والخفاجي كلماته بحسب حرفها الأول وحده، ورتبها العذري والمدني بحسب حروفها كلّها، ولكن العذري خالف نظامه في لفظ الجلالة (الله) وقدّمه في صدر كتابه.

وقد اختلفوا أيضا في المولّد، فلم يعنى به الجواليقي وابن كمال باشا، وخفف منه "العذري" و"المدني"، ولكن أكثر منه الخفاجي وسندرسه في الباب الثاني من البحث وكذلك الألفاظ العامية وهذان النوعان من الألفاظ كثير في اللغة

---

1)- حسين نصار: المعجم العربي، 72/1.

العامية لأن ليس لديها حواجز التي تجعلها تردّ المولد والدخيل عن حوزتها كالعربية الفصحى فاهتمت به أكثر كتب لحن العامة.

ونستنتج مما سبق ذكره أن الخفاجي كان يعتمد على الجواليقي في كتابه كثيرًا، وأن كتاب مصطفى المدني يكاد يكون مختصرا من كتاب العذري، ومسودّتا هذين الكتابين الأخيرين محفوظتان في دار الكتب المصرية في مخطوطتين.

أمّا في العصر الحديث فقد عرفت اللّغات التي جاورت العربيّة وعاصرتها زمنا طويلاً، وأثرت فيها وتأثرت بها، فقام الباحثون بمقابلة كثير من ألفاظ هي اللّغات بالعربية، واستطاعوا أن يصحّحوا كثيرا من أحكام القدماء، وأرادوا أن يضع بعضهم معاجم صغيرة بهذه المعرّبات التي بحثت بحثًا علميّا دقيقا، فظهر نوع جديد من كتب المعرّب.

ومن أوائل الرسائل التي عثر عليها، وتنحو هذا المنحى "كتاب الألفاظ الفارسية المعرّبة" لأدي شير طبع ببيروت 1908م وطبع بالقاهرة بدار العرب في سنة 1988م وجاء في فاتحة كتابه: "قد صار البحث في تحقيق أصل الألفاظ المعربة من أصعب وأدق المباحث اللغوية، وقد جمعت هذه الألفاظ الفارسية المعرّبة منذ سنة 1897 كما أشرت إلى ذلك في مقالتي الدواعي لغنى اللغة العربية (المشرق 3، 1721)"[1].

وقد رتب هذا المؤلف ألفاظه وفقا لحروفها الأول والثاني، فالثالث...الخ، وراعى في ذلك حروفها الصامتة وحدها، أمّا الصائتة (العلة) فأسقطها من اعتباره،

1)- أدي شير: الألفاظ الفارسية المعرّبة، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1987-1988، ط2، ص3-4.

واضطرب في الحروف المزيدة فاعتبرها أحيانًا مثل بعض الألفاظ المبدوءة بالميم، وغض النظر عنها في أحيان أخرى، مثل بعض الألفاظ المبدوءة بالتاء[1].

واتسعت دائرة البحث عن المؤلف فشملت اليونانية واللاتينية والتركية، والآرامية، والإيطالية والألمانية، والانجليزية، والفرنسية، والأرمينية، والروسية، والكردية، والسريانية وغيرها، بالرغم أنه يعنى بالألفاظ الفارسية الأصل. واعتمد المؤلف في جمع الألفاظ الفارسية على معجم البرهان القاطع لحسين بن خلف التبريزي، وهذا الكتاب ترجمة من الفارسية إلى التركية السيد أحمد عاصم العنتابيّ في عهد السلطان سليم خان الثالث (1807م)[2].

أما من الكتب العربية لم يكن بين يديه سوى محيط المحيط، وأقرب الموارد كما صرح في مقدمته، ويرى حسين نصار المرجعين العربيين غير كافيين وغير مرضيين[3].

واتفق أدي شير مع المؤلفين السابقين في إيراد الألفاظ ومعانيها وأصولها، ولكنّه اختلف عنهم في إطالته التي لا يستطرد فيها إلا في النادر وإنما بقي في دائرة بحثه عن الأصل ومعانيه، ومرادفاته في اللّغات الأخرى إن كانت تشترك معه في المادة. وكان يورد هذه الألفاظ الأعجمية بحروفها الأجنبية، ولكنه اعتمد في كثير من الألفاظ على القدماء، فأتى بها كما ذكروها وربما بدون أصلها، لأنّه لم يجدها في مراجعه في غالب الظن. واختلف أدي شير عن سابقيه في أنّه لم يحاول الاستشهاد على ألفاظه أو تتبع ورودها في اللغة العربية إلاّ في النادر. وقيمة هذا

---

1)- حسين نصار: المعجم العربي، 73/1.

2)- أدي شير: الألفاظ الفارسية المعرّبة، ص5.

3)- حسين نصار: المعجم العربي، 73/1.

الكتاب في جمعه وكونه الكتاب الأول في حجمه (161صفحة) الّذي يقوم على بحث علمي، لا على السماع وحده والاجتهاد[1].

وفي سنة 1948 كتب فؤاد حسنين علي وهو أستاذ بجامعة القاهرة مقالات في مجلة كلية الآداب بعنوان: "الدخيل في اللغة العربية" تقوم على أسس العلمية الدقيقة أيضا، وترتب فيها الألفاظ وفقا لصورتها بغض النظر عن أصالة حروفها وزيادتها، وكان الكاتب مختصرًا، فكادت تشبه الجداول، لولا إطالته في بعض الألفاظ، ولم يقتصر البحث على العربية الفصحى، بل بحث ألفاظًا عامية أيضًا[2].

ونستنتج من هذا العنصر الّذي يتبع ظاهر المعرّب في الكتب والمعاجم العربية، أنّ هذا النوع من المعرّب قد بدأ متأخرا في العربية، إذ لم يعثر عليه قبل أبي عبيدة الّذي خصه هو وابن دريد وابن سيدة بأبواب قصيرة من كتبهم، ثم انفرد بكتاب خاص به في القرن السادس، وكانت الفصول الأولى لا تراعي أي ترتيب، ثم راعت الكتب جميعها –عدا رسالة ابن كمال باشا– ترتيب ألفاظه وفقا لحروفها الأولى؛ مزيد كانت أو أصلية، مع غض النظر عما في كتاب "أدي شير" من اختلاط وراعى ابن كمال باشا ترتيبه على الأقسام وفقا لما يحدث في الألفاظ من تغيير وعدمه.

وكان منهج الأولين الحكم بالتعريب اعتمادًا على السماع أو المعرفة الساذجة، ولكن الأمر صار بحثًا علميًا جديا في القرن التاسع عشر والعشرين، وبدت آثاره عند أدي شير، ونضجت عند الباحث فؤاد حسنين، وكان البحث

---

1)– ينظر، المرجع نفسه، 74/1.

2)– ينظر، حسين نصار: المعجم العربي، 74/1.

مقصورًا على اللّغات الفارسية والعبرية والسريانية والساميات عامة عند القدماء، أمّا المحدثون فوسعوه إلى الهندية الأوروبية، وقد اختلف علاجهم أطنابًا وإيجازًا، فكان مؤلفوا القرن التاسع وما بعده إلى الحادي عشر ميالين إلى الإطناب والاستطراد، أمّا الأولون والمحدثون فموجزون، وتبع الإطباب والإيجاز الاستشهاد، فكان قليلاً مقصورًا على الشعر عن أبي عبيد وابن سيدة، وكثر وتعدى إلى القرآن والحديث عند الجواليقي ومن بعده ولكن قل في العصر الحديث ثانية[1].

وبهذا التدرج في معالجة فن المعرب في المعاجم والكتب اللغوية، سنعرج بالدرس والتحليل لهذا الفن في كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجي (ت.1069هـ)، إذ خصصنا له بابا الّذي سيأتي لهذه الظاهرة اللغوية.

1)- ينظر، حسين نصار: المعجم العربي، 74/1.